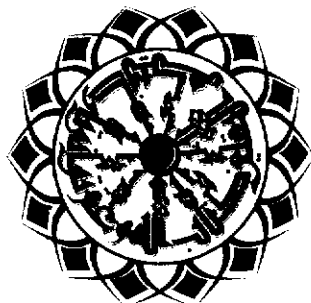


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المجمع العالمي لأهل البيت

سؤال الثقلين

مجلة إسلامية جامعة

العدد الرابع . السنة الأولى . شوال - ذوالحجة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

المراسلات والاتصالات مع هيئة التحرير على العنوان التالي :

* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم ص . ب : (٨٩٤ - ٣٧١٨٥) هاتف : ٣٧٢٩٠ فاكس : ٣٥١٧٩ .

رسالة الثقلين

مجلة إسلامية جامعة

- تعنى باحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنة الرسول الشريفة وخط أهل البيت الاطهار عليهم السلام.
- تستقبل نتائج العلماء والمفكرين والكتاب الاسلاميين التي تصب في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلامية وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم.
- الآراء الواردة في الموضوعات لا تعتبر بالضرورة من رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.
- يُرجى ممن يرفد المجلة بنتائج الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لاتعاد نشرت أم لم تنشر.

محتويات العدد

■ كلمة التحرير

■ دعوة كريمة لمعرفة أهل البيت عليهم السلام ٤

■ من فقه مدرسة أهل البيت (ع) -

■ أحكام الحرب والأسرى في الإسلام (١)

■ سماحة الشيخ محمد علي النسخيري ٧٠

■ من آفاق القيادة الاسلامية

■ في ذكرى الغدير

ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامني

(دام ظلّه) ٨

■ تحقيقات

■ من نصوص حديث الثقلين

■ عبدالكريم رؤوف (العراق) ١١٢

■ دراسات

■ موقع الشيخ المفيد في مسيرة الفكر العلمي الشيعي

ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامني

(دام ظلّه) ١٣

■ تقرير

■ ندوة حول ماضي التشيع وحاضره

■ الدكتور محمد علي أذرشب ١٢٠

■ دور أهل البيت (ع) في بناء الكتلة الصالحة (٣)

■ سماحة السيد محمد باقر الحكيم (العراق) ٥٩

■ شبهة ورد

■ السائح النائه

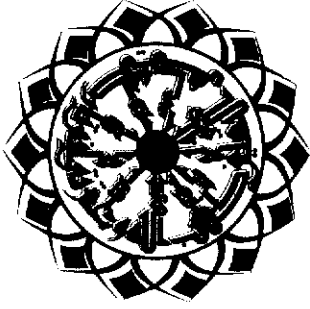
■ الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي ١٨٧

■ نظرة الاسلام إلى الحياة الزوجية

■ سماحة السيد كاظم الحائري ٨٨

■ الاسلام ومتطلبات الحياة المعاصرة (١)

■ الشيخ مجتبي المحمودي ١٤٢



المركز الإسلامي للدراسات والبحوث

العدد الرابع . السنة الأولى .

شوال - ذو الحجة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

■ فنون وآداب

- قصيدة : معلّم الأمة بين جذوره وفروعه
- السيد مصطفى جمال الدين (العراق) ٥٠
- خاطرة : الغدير أمانة في صدور المؤمنين
- أبو ثريا ٨٥
- قصة : رجلاّن في مجلس النبي صلى الله عليه وآله
- أبو أسامة (العراق) ١٠٧
- مختارات من الرواية الشعرية «سكينة بنت الشهيد» (٢)
- علي الصقلي (المغرب) ١٧٨
- قصيدة : يا مفيد الأجيال
- الشيخ جعفر الهلالي (العراق) ٢١٩

■ تعريف

- كتاب : الصحيفة الصادقية
- إعداد : الشيخ عباس كوراني (لبنان) ٢٠٠

■ إستطلاع

- المسلمون في البلقان (١)

■ سؤال وجواب

- أسئلة شرعية من المركز الاسلامي في واشنطن وأجوبتها (١)
- سماحة الشيخ محمد المؤمن ٢١٠

■ من أنباء القرى

- إعداد : المحرر السياسي
- ٢٢٢

■ من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

- الأخوة
- إعداد : عبد السلام فرج الله (العراق) ٢٠٥

■ قراءة في العدد الماضي

- تقويم عام لمجلة رسالة الثقلين
- السيد عبد الله الحسيني ٢٤٤

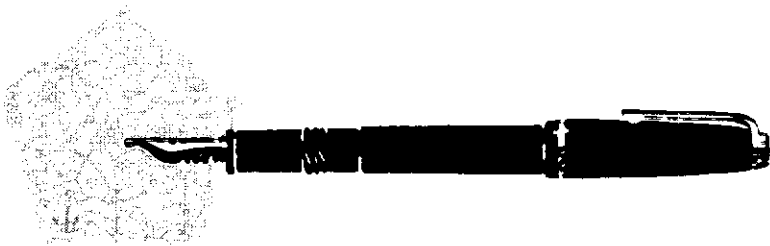
دَعْوَةُ كَرِيمَتِهَا

لِمَعْرِفَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

لم يختلف المسلمون منذ نزول الوحي والصدع بالرسالة إلى يومنا هذا على أن تنزيلاً إلهياً قد جاء بنص القرآن الكريم والسنة الشريفة بتنزيه أهل البيت عليهم السلام عن الرجس وتطهيرهم، ولزوم حبهم والولاء لهم. ولهذا نجد أنه لا يكاد يخلو كتاب حديث لأي محدث من فرق الاسلام وطوائفه إلا وأورد ذلك مسنداً بطرقه العديدة، معتبراً برواته ومناسباته، رغم ما طال الحديث من تحريف هادف ووضع مفرض لمقاصد سياسية حاول رجاله طمس معالم ومقام أهل البيت عليهم السلام وموقعهم العلمي والقيادي في حركة الرسالة والأمة، وتوظيف كل ذلك التحريف والوضع لإضفاء الشرعية على القيادات والحكومات الفاسدة للحكم الاسلامي في العهود الأموية والعباسية، وتبرير الجور والظلم الذي صبته تلك الحكومات على أهل البيت عليهم السلام وعلى الأمة الموالية لهم والسائرة على هديهم والقائلة بحقهم.

إلا أن الاختلاف جاء -كعادة من أعيته السبل لحرف النص الحق والذكر المبين- على صورة تكلف للتأويل، وتمحّل للدلالة إلى غير ما تفصح به النصوص على اختلاف صيغها ومناسباتها، حتى وصل الامر إلى التأويل الغريب للنص الواضح بحده المبين.

وقد خاض أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم المخلصون جهاداً مريراً ملؤه العلق والعرق والشهادة والسجون والتجويع والتشريد في الآفاق، دفاعاً عن التنزيل الإلهي والتأويل النبوي للكتاب الكريم والسنة الشريفة. فزادهم ذلك تجذراً في الأمة، وسطوعاً في حقيقتهم وموقعهم من الرسالة، وما زاد أعداءهم إلا خبلاً، فتخبّطوا ولم يحصدوا إلا



السقوط في مهاوي الدجل والضلال وسبل الظلم والجور.. وتداعت دولهم وتلاشت دعواتهم، دولة بعد أخرى وجيلاً بعد آخر، ولم تنزوَ الحقيقة في زوايا ظلامهم، ولم يُطمَر الحق في مقابر ضلالتهم، بل امتدت إلى كل طَلابها، واتسعت دائرة أتباع أهل البيت، فلا تجد مصرّاً إلّا ولهم فيه عَشْرٌ كُبرٍ أو صُفْرٌ، ظاهرٌ معلنٌ، أو خفيٌّ مستورٌ.

ولم نجد لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم - بحقّ - تخلفاً، عبر تاريخهم الطويل، عن كل ما من شأنه حفظ بيضة الاسلام، والدفاع عن كيانه السياسي وأصوله العقائدية أمام قوى المشركين ودولهم، خصوصاً بعد أن دالت لها الامور وقريت شوكتها، على أثر تداعي الحكومات التي نسبت نفسها للاسلام رسماً وإسماً، ونأت عنه حكماً وتطبيقاً. فبان على أثر ذلك عمق أطروحة أهل البيت عليهم السلام في قيادة الامة نحو حاكمية الاسلام المحمدي الأصيل، ودورها الاساسي في رسم الخط السياسي الثوري الذي وضع كل تلك الحكومات وأجهزتها الممتدة في أمصار البلاد الاسلامية أمام محكمة الأمة التي تربّت على أيديهم، ونهجت نهجهم، وصولة علمائها المجاهدين من رواد مدرستهم الكبرى، حتى جاء عصر الاستعمار الحديث الذي مهدّت له القوى الطامعة بأكبر حملة استطلاعية، وأعظم عملية استكشافية حاولوا بها معرفة الدين الاسلامي في مبانيه وأحكامه، ومدارسه وفرقه، وتراثه وآثاره، والامة الاسلامية بشعوبها وأقطارها، وعاداتها وتقاليدها، ونقاط قوّتها وضعفها، ومكامن العلم من الجهل لدى أبنائها، وذلك بهدف ضربها في مكامن الضعف وتضعيف نقاط القوة، وقد وضعت كل هذه المعلومات

والدراسات في خدمة وزارات المستعمرات الاوربية، وبدأت مهمّة التقويض الكبرى للاسلام وأُمته المجيدة.

وكان الركن الاساسي في الحملة تهرئة قدسية هذا الدين بتوهين أُمّهات عقائده وأصوله، وتفريق أُمته وتمزيق وحدتها بزرع مقولات الجاهلية الجاهلاء، وإحياء البدع والسنن الوضعية، ونشر الشاذ من الحديث والتأويل، وتتبع السقطات السوداء في تاريخ حكام المسلمين ودولهم. وأثمرت جهودهم رجالاً ومدارس تدعوا بدعواتهم، وتنهج نهجهم، وتحكم بأطروحتهم، وساد سلطانهم في أوساط الأمة، وقامت لهم دول وانتظمت على نموذجهم في أوروبا المشركة.

وخاضت شعوب الأمة الاسلامية بقيادة علمائها وقادتها المخلصين صراعاً شاملاً للوقوف في وجه هذه الموجه العلمانية الكافرة بقيم الدين ومثله العليا. فانتصرت في بقاع، وقام لها كيان ودولة، وأينع عودها، وقويت شوكتها. ولا زالت بين كَرّ وفَرّ في بقاع أخرى، وأدرك الممتحنون من أبناء هذه الأمة قيمة القيادة الإلهية، وضرورة الوحدة الاسلامية على صراط محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وراحوا يتساءلون عن سرّ النصر ومكمن الهدى الإلهي الذي يتمتع به أتباع أهل البيت الكرام عليهم السلام في جهادهم المتواصل وقدرتهم الفائقة، ومنهجهم المبدئي في إعلاء كلمة الله تعالى، وإجابة واعية المسلمين المضطهدين في كل مكان : في فلسطين ولبنان، وفي البوسنة والهرسك، وفي طاجكستان وآذربيجان، وفي مصر والجزائر، وفي العراق والحجاز، وفي كشمير والهند، وفي كل أرض دوى عليها نداء يا للمسلمين.

ولعلّ من أهم وأبرز أهداف قيام المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام هو تحقيق هذه الغاية السامية، والأمل الكبير لأمة محمد صلى الله عليه وآله في نفخ الغبار عن حقائق التنزيل الإلهي المبين والتأويل النبوي الشريف، واستجلاء حقيقة الثقلين، والتمسك بحبل القرآن الكريم والعتره الطاهرة، وذلك للتصدّي لقوى الاستكبار المشرك

والاستعمار الفاجر، بما لديهم من الحق بحدوده الإلهية المطلقة، والنهج بمعالمه
المحمدية الأصيلة التي أثبتت عبر هذا التاريخ الطويل صمودها ورسوخها أمام كل صور
المواجهة والكيد، وأعلت كلمة الله تعالى أينما حلت.

وليس بخاف عنا كيف حفظ أهل البيت عليهم السلام - بتسديد إلهي - الإسلام في كتاب
الله الكريم وسنة نبيه العظيم، وكيف قادوا الأمة وبنوا الكتلة الصالحة بعلمها السامق،
وجهادها اللاعب، واندكاكها في ذات الله، فاستحقوا وصف الحق بقوله العزيز: ﴿كنتم
خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾^١. وسار
أتباعهم الصالحون على نهجهم، لم يتحكم فيهم سلطان غير سلطان الله عز وجل، ولم
تلفهم دولة، ولا خضعوا لقيادة غير القيادات الشرعية.

وتحقيقاً لهذه المهمة الرسالية العظيمة يُدلي المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
بدلوه فيها، ويدعو كل أصحاب الفكر والرأي والقلم لخوض هذا الغمار، والانفتاح بكل
صدق وموضوعية وإخلاص على أطروحة أهل بيت النبوة عليهم السلام ومدرستهم
الكبرى، نظرية وتاريخاً وتجربة، لنصل معاً على بصيرة من أمرنا إلى معرفة الحق فتبّيعه،
وإلى معرفة الباطل فنرفضه، فإن العاقل من رفض الباطل وتمسك بالحق.

ومجلة رسالة الثقلين تطرح نفسها متبراً من منابر هذه الدعوة الكريمة، وتفتح أبوابها
لكل مجيب مخلص، وعالم مجاهد، ورائد وافد، وستواصل مهمتها هذه بعون الله
وتسديده حتى يتبين الحق وهداته فيتبع، ويتحقق الحق في قوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى
الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهلك﴾^٢.

وصدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

في ذكرى الغدِيرِ

ولي أمر المسلمين السيد الخامنئي دام ظله

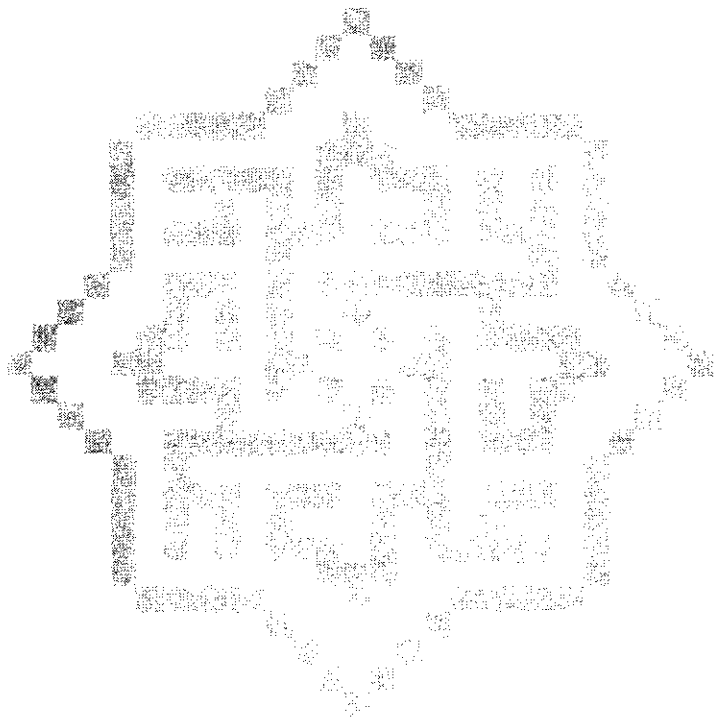
أبارك هذا العيد العظيم لجميع المسلمين والمستضعفين وطلاب العدالة في العالم، وللشعب الإيراني الشريف العزيز.



إن واقعة الغدير قضية مهمة في تاريخ الرسالة الإسلامية، وتكمن فيها حقائق كثيرة وخطيرة. فقد عالج نبي الاسلام الأكرم صلى الله عليه وآله مسألة الامامة والحكومة بمعناها الواسع للمجتمع الاسلامي اليافع، ونصب أثناء رجوعه من حجة الوداع - بعد حوالي عشر سنوات من انتصار الاسلام وإقامة المجتمع الاسلامي - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة له في «غدير خم». ولهذا التنصيب دلالة ظاهرية ملموسة ومهمة جداً، إذ أنها قضية تدبير إلهي كما يفهمها المتدبرون في قضايا المجتمع الثوري.

كما إن لهذه الدلالة الظاهرية باطناً يكمن وراءها، بحيث لو التفتت الأمة وانتبه المجتمع الاسلامي إلى حقائقه الجليلة لاثضحت لهم الطريقة المثلى لحياتهم. ومن البديهي أنه لو تركّز انتباه المسلمين عموماً واهتمامهم - بجميع فرقهم وطوائفهم - على قضية يوم الغدير (سواء كانوا من الشيعة الذين يعتبرون هذه القضية قضية إمامة وولاية،

(*) من خطاب للسيد الخامنئي حفظه الله بمناسبة يوم الغدير الأغر.



أم كانوا من غير الشيعة الذين يعترفون بأصل هذه القضية، ولكنهم لا يستنبطون منها الولاية ولا الإمامة، بل شيئاً آخر) فإنهم سوف يكتشفون الكثير من النكات المهمة في هذه المسألة، ولأغقب ذلك الاهتمام والتركيز لتحقيق مكاسب كبيرة لصالح المسلمين، وسأشير إلى اثنتين من هذه النكات باختصار:

النكته الاولى: هي أنه قد تبلورت مقاييس الحاكمية وقيمها بإبراز أمير المؤمنين خليفة، وتنصيب هذا الرجل العظيم بعنوان وليّ أو حاكم. حيث عيّن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله في يوم الغدير، وأمام عيون المسلمين وأنظار التاريخ، رجلاً يتمتع بكافة الضوابط الاسلامية الممهّدة للمنصب الالهى.

فعلي عليه السلام إنسان مؤمن في أقصى درجات الورع والتقوى، ويقف في قمة التضحية في سبيل الله والعقيدة الاسلامية، ويتمتع بالزهد في المطامع الدنيوية، وكان عليه السلام مجرباً في كافة الميادين الاسلامية (التي هي أعمّ من كونها ميادين تصحرية أو علمية أو قضائية...).

ومع هذا التوجّه لتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بعنوان حاكم وإمام للمسلمين، فإن عليهم جميعاً - وعلى مدى التاريخ - أن يعلموا أن الحاكم الاسلامي لا بدّ أن يكون إنساناً

مِنْ آفَاقِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

ملتزماً بهذه الضوابط، ومتصفاً بتلك القيم والمبادئ، وإن الذين لا يتمتعون بشيء من هذه المؤهلات والبعيدون كل البعد عن الفهم والعمل والجهاد الاسلامي، والإنفاق والعفو والتواضع أمام عباد الله لا يكونون جديرين بمنصب الحكومة الإلهية. ولقد وضع الرسول صلى الله عليه وآله - بما فعله يوم الغدير - هذه المقاييس وقدمها للمسلمين درساً لا يُنسى.

والنكته الثانية، التي يمكن فهمها من واقعة الغدير هي: أن أمير المؤمنين عليه السلام قد بين في السنوات القليلة من خلافته وحكومته أن الأولوية في مهامه القيادية هي لاستقرار العدل الإلهي، وتثبيت أركان العدالة الاسلامية. فمعنى العدالة في رأي الامام علي عليه السلام هو تأمين الهدف السامي الذي بينه القرآن من إرسال الرسل وإنزال الكتب والشرائع السماوية، وذلك الهدف هو إقامة القسط، وتحكيم النظام الإلهي العادل في الأرض.

ولا يتقوّم المجتمع الاسلامي إلا بالقسط والعدل، ولا يمكن أن يكون المجتمع الاسلامي شاهداً ومبشراً وهادياً وقدوة للمجتمعات البشرية وشعوب العالم إلا بتحقيق ذلك الهدف الرسالي، فالعدالة هي أبرز ظواهر الحياة السياسية لأمر المؤمنين عليه السلام، وإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يهدف من وراء تنصيب هذه الشخصية الفذة لولاية المسلمين وحكومتهم تبين أهمية العدل، وإعطاء الدور الريادي والاولوية في المجتمع الاسلامي.

فعلي عليه السلام ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو تلميذه المطيع له والمنفذ لأوامره وتعاليمه الرسالية. وإن العدالة التي كان يتمتع بها أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يطبقها بدقة وحزم على جميع المسلمين بالتساوي، تنم عن أنه كان يرى نفسه مؤتمناً،

(١) قال تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»

وأن جميع المسؤولين الآخرين هم أمناء على من تحت أيديهم، وهذه هي القمّة التي يجب أن نصل إليها، وأن ندرك أبعادها.

فقد كان عليه السلام يقسّم الاموال بالسوية بين الرعية، ولم يكن يفرّق بين الصحابي وغيره، والقرشي وسواه، والهاشمي ومن عداه، وحتى أنه لم يفرّق بين أهل بيت الرسول صلى الله عليهم أجمعين وبين غيرهم، بل كان يوزّع ما في بيت المال بنسبة واحدة، ممّا أدّى إلى اعتراض الكثيرين على سياسته، وابتعادهم عن الحق الذي نهجه، ولكن ذلك لم يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من المضي في طريقه، ولم يكن يأبه لأولئك الذين تحوّلوا إلى غير ولايته.

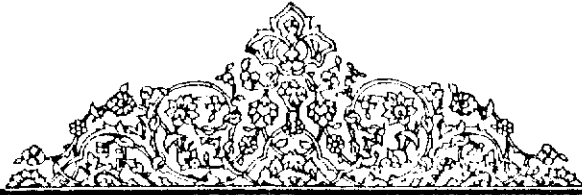
إننا جميعاً عاجزون عن الوصول إلى مرتبة أمير المؤمنين عليه السلام، وكل البشر لا يستطيعون تطبيق سيرته المباركة، ولا يقدرّون على أن يعيشوا مثله^١، وهذا أمر واضح، ولكن الواجب علينا هو أن نجعله قدوتنا الحسنة، إذ هو الانموذج الكامل، وإنّ علينا أن نسعى للاقتراب منه والتشبّه به.

إنّ التمحور حول العدالة والتعلّق بها هو السرّ الرئيسي لوقوف أعداء الاسلام بوجه الاسلام بصورة عامة، وبوجه أمير المؤمنين عليه السلام بصورة خاصة، وخصوصاً في عصرنا الحاضر، فلم يكن الامام علي عليه السلام ينظر إلى المجتمع الاسلامي على أساس القومية والطائفية، بل كان يتعامل مع الجميع بنحو واحد، ولم يكن يميّز في الحكم بين المسلم والمسيحي واليهودي، وكان يحفظ مصالح الجميع كأب لهم. وهذا ما يسعى المجتمع الاسلامي اليوم لتحقيقه، والقوى العظمى وأعداء الاسلام غير مستعدين لتحمل ذلك، إذ إنّ حياة القوى الكبرى مبنية على أساس منطلق القوة والتحكّم بمقدّرات الشعوب، وحرمانها من خيراتها.

(١) يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد...» وهو من كتاب له إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الانصاري، (نهج البلاغة، الكتاب: ٤٥).

مِنْ آفَاقِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

إنَّ العلاج الوحيد أمام الظلم والعدوان والتجاوز وغدر المستكبرين هو الوقوف والثبات على تلك القيم والموازين التي أرسى «الغدير» دعائمها، وحمل سرّها الحقيقي ومثلها، وهي العدالة والعمل المخلص لله سبحانه، والتقوى والجهاد في سبيل الله. والصبر على تحمّل المسؤولية هو الذي يمهد الطريق ويعبّده للوصول إلى الحرية والسعادة التي ينشدها جميع المسلمين في العالم.



أَوَّلُكُمْ وَارِدًا عَلَى الْحَوْضِ

أَوَّلُكُمْ كَيْفَ لَدَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

موقع الشيخ المفيد

في مسيرة الفكر العليّ الشيعي

ولي أمر المسلمين سماحة السيد الخامني دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل

صلواته وأزكى تحياته على سيدنا

النبي الأعظم محمد المصطفى وآله الغر الميامين

رسالة قائد الثورة الاسلامية وولي
أمر المسلمين سماحة آية الله السيد علي
الحسيني الخامني دام ظله العالي إلى
المؤتمر العالمي للذكرى الألفية لوفاة
الشيخ المفيد - شوال ١٤١٣ هـ. ق. وقد قام
بتعريبها الدكتور محمد علي آذرشب.

سيما بقية الله في الأرضين روعي له الفداء.

قبل ألف عام... وفي يوم مشهود من أيام بغداد... ضاق ميدان «الأشنان» بالجموع
الحاشدة التي هرعَت إلى ذلك المكان بعد أن هزّها نبأ الحادثِ الأليم. وذرفت آلاف
العيون دموعاً ساخنة على رجل كانت وفاته حدثاً جسيماً، وصلّى عشرات الآلاف على
جنازة إنسان كبير كان لخمسين عاماً مشعلاً وضاً أنار بعلومه ومعارفه أصقاعاً واسعة من
العالم الإسلامي، وشقّ إلى جانب دجلة في بغداد دجلةً أخرى من العلم والمعرفة... ولم
تستطع الحوادثُ المرّة الدامية وأمواج التعصّب والإحزَن التي عصفت بعاصمة الخلافة
العباسيّة، أن تطفئ مصباح علم وعمل استمدّ من شجرة زيتونٍ هي شجرة علوم القرآن
ومعارف أهل البيت عليهم السلام، وتلألأ بنور العقل البشري. ولم يستطع زبد الانحرافات
والأحقاد أن يصدّد ذلك البحر الهادر الذي تدفّق بفيض الفقه والكلام والعقل والنقل
صوب الأصقاع البعيدة الثرة.

في ذلك اليوم، إذ شَيَّعَ المفيدَ معشرٌ غفيرٌ من البشر، وصلُّوا عليه بإمامة السيِّد الشريف علي المرتضى... ظنَّنت قلوبٌ حاقدةً خاليةً من الحكمة والكياسة أنَّ هذه هي نهاية ذلك الرجل الكبير، وفرحت بموته عن تفاهة وسذاجة.

أما العينُ البصيرةُ فقد كانت قادرةً أن ترى بوضوح أنَّ موتَ هذا الرائد الكبير لا يمكن أن يكون نهايةَ مسيرة خمسين سنةً من العطاء تفجَّر خلالها ينبوعٌ دَفَّاق من العلم والمعرفة والأخلاق والحكمة في عالم الفكر البشري... وأنَّ الإرادة الإلهية وسنن التاريخ قد ضمنت خلود هذا التدفُّق عبر الأجيال والعصور والقرون حتى يبلغ مصبُّه في بحر الكمال البشري النهائي.

في ذلك اليوم أودع الجسد النحيف للشيخ المفيد ثرى داره بدرب رباح في بغداد لينقل يوماً إلى جوار مرقد الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام، ليرقد في دار سلام الرحمة الإلهية. لكنَّ شخصيته الكبيرة ما كانت لتُدفن أو تُنسَى بل بقيت ماثلة أمام عين الزمان، وما انمحت يوماً من الأذهان، وظلَّت تساهم بدور فعَّال في إبداع الفقه والكلام لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

واليوم، وبعد مرور ألف عام على ذلك الحادث الجلل، فإنَّ انعقاد ألفية الشيخ المفيد إنما هو تخليدٌ لذلك الحادث وتكريمٌ لقمة شامخة من العلم والتقوى... لم يستطع مرور عشرة قرون وما رافق هذه القرون العشرة من تطوُّر في العلم والمعرفة أن يقلَّ من سموخ تلك القمة أو أن يحطَّ من شأنها في الأنظار.

إنَّ جيل العلماء اليوم بتكريم المفيد ونشر آثاره المكتوبة إنما يؤدِّي واجب الشكر تجاه رجل سجَّل هو وأفكاره حضوراً مستمراً في موكب مدرسة أهل البيت عليهم السلام بتأريها الغني الفقهي والكلامي... وكان في عطائه كحجر زاوية وقاعدة بناءٍ لصرح الفقه والكلام الشيعيين عبر هذه الألف من السنين.

ليس حضور المفيد في محفل الآراء والأفكار العلمية والكلامية الحيَّة بنشر كتبه أو

ذكر آرائه، وإن كان نشر الكتب وذكر الآراء مما يقتضيه شكرٌ مئته على جميع من خلفه من الفقهاء والمتكلمين، بل إنَّ هذا الحضور الفاعل يتمثل في مواصلة الاتجاه الذي فتح أبوابه وأسسَه في الفقه والكلام.

إنَّ انعقاد ألفية التكریم والتقدير هذه تجعل الجيل المعاصر: أولاً على معرفة أكثر بهذه الشخصية الفذة، ويوفّر لهذا الجيل والأجيال القادمة فرصة التثمين ثم انتهاز الآثار. ثم هو يوفّر ثانياً للباحثين والمحققين في تاريخ الفقه والعلوم العقلية فرصة الحصول على معرفة جديدة حول مسيرة تطوّر هذه العلوم وتكاملها وكيفية تبلورها ونضجها وعناصر تكوينها في فترة تاريخية حسّاسة.

ويزيد هذه الدراسات أهمية أنَّ القرنين الرابع والخامس مقطع هامٌّ وضاء في تاريخ تطوّر الثقافة والعلم والأدب في العالم الإسلامي.

ثمَّ إنَّ هذا العمل العلمي ثالثاً ييسّر للباحثين المسلمين على اختلاف فرقهم ومذاهبهم وللرأي العام الإسلامي على مستوى واسع فرصة التعرف على المعارف الكلامية والاسس العقائدية للشيعه.

وأهمية هذه النقطة تتضح أيضاً لو لاحظنا ما تمجّه اليوم أقلامُ الأعداء الحاقدين أو العملاء الطيّعين من سُموم تلقّف فيها أكاذيب وافتراءاتٍ حول معتقدات الشيعة - وهم من أكبر المذاهب الإسلامية وطلّاع صحوة المسلمين - ممّا لا يمكن مقارنته بكل ما كتب في هذا المجال على مرّ التاريخ^١.

(١) فيما مضى بُذلت في هذا المجال جهود مفرّضة أو جاهلة تثير الاستغراب لدى كلّ باحث في أمر التشيع. على سبيل المثال ألف الصدوق كتاب التوحيد، وهو كتاب ضخم يشتمل على ٦٧ باباً و٥٨٣ حديثاً في مسائل معرفة الله سبحانه، ليرة - كما يقول هو في مقدمته - على المخالفين الذين يتهمون الشيعة بالجبر والتشبيه! بينما يكاد يكون الأصلان المعروفان: «الأمر بين الأمرين» و«لا تشبيه ولا تعطيل» من أشهر أسس عقائد الشيعة. وإنَّ ما نسبته الشهرستاني في «الملل والنحل» للشيعة وما كُتب قبله وبعده أيضاً على هذا النمط نماذج بارزة لهذه المساعي الظالمة تجاه أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وفي زماننا انبرى لهذه المهمة الوضيعة كتاب لا يشعرون بمسؤولية عمّا يكتبونه عن الشيعة، ولا يأتون أن يهتكوا حرمة كلّ حقيقة وأن يدوسوا على كل قيم التقوى والموضوعية إرضاءً لأصحاب القوة والدولار، متجاوزين في ذلك ما دونه ضد الشيعة في الجيل السابق

من المؤسف أن الدافع السياسي والاستعماري في هذه الحركة المضللة هو اليوم أوضح من أي زمن مضى... أوضح حتى من زمن خلفاء بني أمية وبني العباس الذين تبناوا نشر الأكاذيب حول الشيعة باعتباره جزءاً من حربهم الشاملة على أتباع أهل البيت عليهم السلام ومقدمة لازمة لقمعهم.

ومن هذا المنظار، فإنّ كلّ جهد علمي للتعريف بعقائد الشيعة ومعارفهم إنّما يسهم أيضاً بتوثيق عرى الوحدة والأخوة بين المسلمين، ذلك لأنّ أعداء الإسلام، من أجل أن يثيروا الفرقة بين المسلمين، سعوا إلى تشويه كلّ مذهب في عقائده وفقهه أمام المذهب الآخر.

إنّني - إذ أشكر الفضلاء الكبار الذين أقاموا هذا التجمّع السامي، وأشكركم أيها العلماء والباحثون على ما ستسهمون به من إثراء وعطاء - أودّ أن أشارككم في هذا العمل العلمي الكبير وأن أميط اللثام عن جانب من شخصية هذا الرجل الكبير الخالد على مرّ القرون والأعصار بطرح مسألة هامة ترتبط بـ «مكانة المفيد في مسيرة الفكر العلمي للتشيع في حقلي الكلام والفقه» وكوّنت قناعاتي في هذه المسألة من القرائن الموثوقة ومن الأقوال والآراء العلمية المكتوبة لذلك العَلم الرفيع أو من أقوال مَنْ كتب عنه من تلاميذه أو أصحاب التراجم.

وهذه المسألة باختصار هي : إن الشيخ المفيد في سلسلة علماء الإمامية لم يكن متكلماً وفقهياً متفوقاً شامخاً فحسب، بل أكثر من ذلك، فهو مؤسس حركة علمية متكاملة في فرعي الكلام والفقه، ومتواصلة حتى اليوم في حوزات الشيعة العلمية،

الكاتب المصري أحمد أمين الذي تجاوز كلّ الحدود في الافتراء ونشر الأكاذيب، حتى أصبح يُعد هذا الكاتب بين الكتاب الجدد من كتاب الدرجة الثانية والثالثة.

ويجدر أن نشير هنا إلى أن الكتابات المستدلّة الملتزمة بالأمانة العلمية في إثبات أي مذهب أو رده لا يمكن أن تكون موضع شكوى وعتاب، بل إنها ضرورية لنضج الفكر الإسلامي وفتح المجال أمام الاتباع الأحسن، وأين هذا من الاختلاق والتزوير والتضليل والافتراء.

وهذه الحركة لا تزال باقية في خصائصها الأصلية وخطوطها الأساسية رغم عدم انعزالها عن المؤثرات التاريخية والجغرافية والفكرية.

وتبيّن أهمية هذه المسألة لو لاحظنا أن هذه الحركة العلمية - في ما يقرب من نصف قرن بعد وفاة المفيد - قد شهدت تحولاً وتكاملاً سريعاً هائلاً غطى على الدور التأسيسي للشيخ المفيد. التأكيد الأساس في هذه المسألة على أن النشاط العلمي المتميز بالباهر الذي نهض به تلميذ الشيخ المفيد السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) والذروة الرفيعة التي بلغتها هذه السلسلة في عهد شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ). إنّما هو امتداد لتلك الحركة التي أسسها ودفعها محمد بن محمد بن النعمان المفيد. ولتوضيح هذه المسألة لا بدّ أن نبيّن دور الشيخ المفيد فيما يلي :

١ - التركيز على الهوية المستقلة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٢ - تأسيس الاطار العلمي الصحيح لفقه الشيعة.

٣ - إبداع أسلوب الجمع المنطقي بين العقل والنقل في الفقه والكلام.

إنّ الصرح الشامخ الذي شيّده فقهاء الشيعة ومتكلموهم - على مدى عشرة قرون والكنوز العلمية الفريدة التي قدّموها بأنارهم العلمية - تقوم بأجمعها على قاعدة أرساها الشيخ المفيد بجهاده العلمي على الأبعاد الثلاثة المذكورة.

قبل أن تتطرق إلى الأبعاد الثلاثة يجدر أن نذكر أنّ ظاهرة الشيخ المفيد والحوزة العلمية الشيعية في بغداد آنذاك لم يسبق لها نظير حتى ذلك الزمان في تاريخ الشيعة. قبل هذا التاريخ كانت حوزات الشيعة العلمية منتشرة طبعاً في جميع الأصقاع بين الشامات وما وراء النهر. فحوزة «قم» التي كانت المركز الكبير للحديث ووارثة دور «الكوفة» في القرنين الثاني والثالث، وحوزة «الري» التي نشأ فيها الكليني وابن قبة وغيرهما من الأعلام، هاتان الحوزتان كانتا تعتبران فقط جزءاً من المراكز العلمية الشيعية. وفي الشرق، كانت الحوزة العلمية في ما وراء النهر، ومن خريجيها المعروفين

العيّاشي السمرقندي وأبو عمرو الكشي. وفي الغرب كانت حوزة حلب ومنها رجال من أمثال الحسن بن أحمد السبيعي الحلبي وعلي بن خالد الحلبي اللذين يُعدّان من مشايخ المفيد، وبالحدس المؤيد بالقرائن فإن هذه الأصقاع لا بدّ أنها كانت من المراكز الهامة لعلوم الشيعة ومعارفهم. ونظرة في فهرست مشايخ الكشي تبيّن أنّ منطقة خراسان وما وراء النهر، على بعدها من الحوزات العلمية الشيعية الأصلية، ربّت عدداً كبيراً من العلماء والمحدّثين، ومن هنا يقوى الاحتمال بأن تلك المناطق كانت إلى جانب الحوزة العلمية مهتمّة بتربية وتخريج علماء من هذا القبيل. عشرة من المشايخ المذكورين - على الأقل - منسوبون إلى سمرقند أو كُش (قرب سمرقند)، ومثل هذا العدد تقريباً منسوب إلى مدن بخارى، وبلخ، وهرات، وسرخس، ونيشابور، وبيهق، وفارياب، ومدن أخرى من ذلك الصقع الإسلامي^١.

إن مشاهدة كلّ هذه الأسماء المنسوبة إلى مدن ما وراء النهر وخراسان، وهم على ما يظهر جميعاً أو ما يقرب من الجميع شيعةً، واستبعاد ذهاب شخص من قم أو الكوفة أو بغداد صوب كلّ هؤلاء المشايخ الخراسانيين والتركستانيين، لأن ذلك بعيد عن العادة، يقوّي احتمال وجود دار العيّاشي^٢ في سمرقند لا في بغداد^٣، وهي الدار التي قال عنها

(١) جيريل بن أحمد الفاريابي (فارياب : مدينة بين بلخ ومرو الرود)، وكان - كما يقول الشيخ الطوسي - يسكن «كُش»، وإبراهيم بن نصير الكشي (كُش : من قرى سمرقند)، وخلف بن حمّاد الكشي، وخلف بن محمّد الملقب بالمثّان الكشي، وعثمان بن حامد الكشي، ومحمّد بن الحسن الكشي، ومحمّد بن سعد بن مزيد الكشي، وإبراهيم بن علي الكوفي السمرقندي (يبدو أنه هاجر من الكوفة إلى سمرقند)، وإبراهيم الورّاق السمرقندي، وجعفر بن أحمد بن أيوب السمرقندي، ومحمّد بن مسعود العياشي السمرقندي، وأدم بن محمّد القلاسي البلخي، وأحمد بن علي بن كلثوم السرخسي، وأحمد بن يعقوب البيهقي، وعلي بن محمّد بن قتيبة النيشابوري، ومحمّد بن أبي عوف البخاري، ومحمّد بن الحسين الهروي، ومحمّد بن رشيد الهروي، ونصر بن الصباح البلخي، و...

(٢) هذا الاستنتاج أخذ بنظر الاعتبار أن الكشي من تلامذة العيّاشي وأن الكشي كان من غلمان محمّد بن مسعود العياشي كما أوضح لنا سماحة السيد حفظه الله (المترجم).

(٣) يؤيد ذلك أيضاً أن علي بن محمّد القزويني جاء لأوّل مرّة بكتب العيّاشي إلى بغداد سنة ٣٥٦ هـ. (راجع النجاشي : ٢٦٧).

النجاشي أنها: «كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم»^١. «وكانت داره كالمسجد - بين ناسخ أو مقابل أو قاريء أو معلق - مملوءة من الناس»^٢. وهذا يدل أيضاً على رواج علوم ومعارف أهل البيت ونشاط الحوزة العلمية الشيعية في تلك المدينة.

وفي الشامات وحلب حيث كثرة الشيعة وحكومة الحمدانيين وهم شيعة ملتزمون بإقامة الشعائر الشيعية^٣، كانت توجد دون شك حوزة علمية لا يستهان بها، ولو أن قربها من العراق وحضور محدّثيها وفقهائها في بغداد ثم في زمن الشيخ الطوسي في النجف، لا يجعلها من الحوزات الكبرى.

هذا هو باختصار وضع الحوزات العلمية للشيعة خلال العصر الذي انتهى بزمن الشيخ المفيد. وحوزة بغداد في ذلك العصر كانت أيضاً تتعاطى العلوم والمعارف الإسلامية، ولكن بظهور الشيخ المفيد وانتشار صيته العلمي، فإن بغداد - وهي مركز العالم الإسلامي سياسياً وجغرافياً - قد أصبحت أيضاً مركزاً أصلياً لعلوم الشيعة ومعارفهم. ولم تعد مرجعاً لحلّ ما يواجه الشيعة من مسائل فكرية ودينية فحسب^٤، بل أصبحت أيضاً كعبة لطلاب العلم.

ولا يتوفر لدينا فهرس كامل بأسماء تلاميذ الشيخ المفيد، ولا بدّ أن يكون عددهم أكثر بكثير ممّا ذكرته كتب التراجم. فما ذكر لا يتجاوز بضعة أفراد، وجهود المفيد العلمية

(١) النجاشي في ترجمة الكشي: ٣٧٢. (٢) النجاشي في ترجمة العياشي: ٣٥١.

(٣) المولوي في كتاب المثنوي ينقل قصة شاعر ورد حلب في عاشوراء ورأى المدينة مجلّلة بالسواد ومغطّلة الأسواق، فظنّ أن أميراً فيها قد مات. وحين سأل الناس قالوا له: يظهر أنّك غريب...

(٤) نلقت النظر إلى رسائل الشيخ المفيد في جوابه على أسئلة كانت تردّه من أكتاف البلاد، وإلى تنوّع هذه الأسئلة وسعة نطاقها... وفي بعض هذه الرسائل لا يكتفي الشيخ المفيد بحلّ ما يطرحه السائل من مشكلة فكرية، بل يدخل في حلبة مصارعة فكرية وكلامية، وكأنه من مركزه في بغداد يتصدّى للدفاع عن حريم مدرسته ويدافع عن أتباعها أمام هجوم خطر. انظر: المسائل الصاغانية وما فيها من هجوم قويّ يصعد فيه معنويات الشيعة المستضعفين في خراسان الذين كانوا يواجهون حملة على حريمهم الفكري. ومن هنا من المحتمل أن تكون الرسائل المكتوبة بأسلوب: «إن قيل فقل» مثل: النكت في مقدمات الأصول، والنكت الاعتقادية وأمثالها، قد دوّنت لسكّنة الأصقاع البعيدة الذين كانوا يتعرّضون دوماً لضغط أسئلة دينية موجهة وكانوا يطلبون أجوبة كلامية قوية وتوجيهات مناسبة.

تواصلت نصف قرن من الزمان. ولكن ثمة قرائن تبين لنا أنّ حوزة بغداد باشتهار الشيخ المفيد وتحركه العلمي قد احتلت مكانة لم تبلغ شأوها أية حوزة علمية شيعية من قبل. ومن تلك القرائن: رحلة نابغة مثل الشيخ الطوسي من طوس إلى بغداد، وعدم اختياره الحوزات العلمية القريبة من مسقط رأسه، أي حوزات خراسان وما وراء النهر، وعدم توقّفه في الريّ أو قم. ومنها أيضاً: عدم اشتهاار علماء كبار في تلك الحوزات حتى مدّة ليست بالقصيرة. كل ذلك يعني أنّ حوزة بغداد قد استوعبت كلّ العلوم الرائجة في مجموع حوزات التشيع، وغطّت على رونق سائر الحوزات الأخرى في العالم الإسلامي... وظلّت حتى ولادة حوزة النجف الأشرف (سنة ١٢٤٨ أو ١٢٤٩) درّة التاج بين مراكز الشيعة العلمية.

كان الشيخ المفيد -محور هذه الحوزة وريان سفيتها دون شك، فهو بنبوغه وكفاءاته الفذة ومساهميه الدائبة، وباستثمار مكانة بغداد الاستثنائية باعتبارها مركزاً سياسياً وجغرافياً للعالم الإسلامي، ومحلاً لتردد علماء المذاهب المختلفة - قد نال شموليّة منقطعة النظر، وأصبح قطباً ومحوراً وعنصراً متميزاً في حوزة بغداد في زمانه. ومما خلفه الشيخ الكبير من آثار علمية، ومن سائر القرائن يتّضح أنّ المفيد كان مجعماً التقت فيها بشكل مذهش كل الخصائص التي عُرف بها رجال الشيعة حتى ذلك الزمان.

فقد اجتمع فيه فقه القديمين، ابن بابويه وجعفر بن قولويه، وكلام ابن قبه وبني نوبخت، وعلم رجال الكشي والبرقي، وحديث الصدوق والصفار والكليني، إلى قدرة الجدل والمقارعة الفكرية القويّة، إلى غيرها من الخصائص البارزة.

كان كل واحد من أولئك الرجال - طبعاً - مشعلاً ينير درب واحد من معارف أهل البيت، لكن المفيد كان الثرباً التي جمعت كل تلك الأنجم الزاهرة. وهذا ما لم نجده في أيّة شخصية علمية شيعية قبله.

وفي تفردّه يكفي أن يشهد بحقه ابن النديم (ت ٣٨٠ هـ). أنه كان قبل الرابعة والأربعين من عمره^١ شيخ كل الشيعة في الفقه والكلام والحديث. والذهبي الذي تحدّث عنه في تاريخ الإسلام بلغة حاكمة بعيدة عن الموضوعية، يروي عن ابن أبي طي بشأن المفيد ما يبين أنه كان فريداً في كل العلوم : في الأصول، والفقه، والأخبار، ومعرفة الرجال، والقرآن، والتفسير، والنحو والشعر... وكان يناظر أرباب جميع العقائد^٢. إن المفيد اجتمعت فيه علوم السابقين متكاملة، وببركة هذه الشخصية الجامعة المستوعبة الشمولية استمرت الحوزة العلميّة لقرون بعده على النمط الذي أسّسه، وكانت تتكامل وتُحقّق وتُدّرّس فيها علوم الفقه والكلام والأصول والأدب والحديث والرجال منسجمة ويكمل بعضها الآخر. وهذه الحوزة نفسها انجبت في مرحلة ناضجة من مراحلها السيد المرتضى، وفي قَمّة كمالها شيخ الطائفة - محمّد بن الحسن الطوسي. انطلاقاً ممّا ذكرناه - عن عدم وجود سابق نظير لظاهرة الشيخ المفيد وحوزة بغداد في زمانه - فإن المفيد يعتبر حقاً مؤسس الحوزات العلمية للشيعة بشكلها الذي تواصل بعده لعدّة قرون، إنه الشكل الذي يجعلها مركزاً لتدريس مجموعة من العلوم العقلية والنقلية الإسلامية ويجعل من خريجها متبحراً في كل هذه العلوم أو أكثرها. وقد بقي هذا الشكل للحوزة العلمية على الأقل حتى زمن الشهيد الأوّل، أي إلى الزمن الذي اتّجهت فيه أغلب الحوزات نحو الاختصاص بالفقه ومقدماته، وهذا استمرار لحركة دفعها الشيخ المفيد وحوزته في بغداد حتّى سنة ٤١٣ هـ. من هنا فلا عجب أن يُدعى أنّ هذه الشخصية الفريدة الممتازة عملت على فتح طريق جديد يمتدّ على ثلاثة محاور ذكرنا عناوينها من قبل.

(١) كان المفيد المولود سنة ٣٣٦ لدن وفاة ابن النديم ابن الرابعة والأربعين، ولا ندرى متى ترجم ابن النديم للشيخ المفيد في فهرسته.

(٢) قول الذهبي هذا جزء من تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لم يطبع بعد، وما نقل فهو من نسخة يبدو أنها معدة للطبع.

ونبدأ بتناول الأبعاد الثلاثة في شخصية الشيخ المفيد العلميّة :

١ - التركيز على تثبيت الهوية المستقلّة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

بعد عصر الغيبة، وخاصّة بعد انتهاء مرحلة الأعوام الأربعة والسبعين من الغيبة الصغرى، وانقطاع الشيعة عن الإمام الغائب أرواحاً وفداءً، أضحت كيان مدرسة أهل البيت تتهدّده أخطار كثيرة:

منها : ثلم شيء من المدرسة او تحميل شيء عليها نتيجة الأخطاء والانحرافات العمديّة وغير العمديّة الصادرة عمّن ينتسبون إلى هذه المدرسة.

ومنها : ضмор الخصائص المميّزة الأساسيّة للمدرسة، وبالتالي اختلاطها بالخطوط المنحرفة، وامتزاج انحرافات الإتجاهات العقائديّة أو المذاهب المفتعلة بالحقائق. ففي زمن حضور الإمام عليه السلام، متى ما طرأت ظاهرة كهذه أو ظهرت بوادر خطر ظهورها فإنّ شخص الإمام كان المحور والمركز المطمئن الذي تقاس به الأمور وتصدر بعد ذلك الأحكام.

بوجود الإمام - إذن - بين الناس لم يكتب للانحرافات بقاء، بل إنّه يكشف عن الانحرافات الأساسيّة في الفترات الحساسة.

وكانت الشيعة واثقة أنّ الخط العامّ لمدرستها لو تعرّض في زاوية من زواياه لانحراف، فإنّ الحجة ستّضح، وإنّ طالب الحقيقة سيجد في النهاية مبتغاه.

في تاريخ حياة الأئمة عليهم السلام نرى أسماء أفراد تبرّأ منهم الأئمة وطعنوا فيهم بصراحة لاستحداثهم بدعة أو تأسيسهم طريقاً خاطئاً أو إشاعتهم عقيدة باطلة، مثل محمّد بن مقلّاص المعروف بابن أبي الخطّاب، وابن أبي العزّاقر المعروف بالشلمغاني (وهذا المورد الأخير حدث في عصر الغيبة الصغرى)، وكثير من أمثالهم، ونرى في مواضع أيضاً أنّ اختلافاً ينشأ بين جماعتين من أصحاب الإمام المخلصين الصادقين، وتعتمد إحدى الجماعتين إلى طرد الجماعة الأخرى ولعنّها بسبب معتقد من معتقداتها،

فينبيري الإمام للدفاع عن الفرد المطعون فيه أو الجماعة المطعون فيها ويمدحها، وبذلك يؤيد معتقدها ويردّ ما ظنّ بشأن انحرافها... كتأييد الإمام ليونس بن عبد الرحمن حين طرده القميون ورووا عنه روايات منكّرة، وإصداره بحقّه عبارات ثناء مثل: «رحمه الله، كان عبداً صالحاً...» أو «إنّ يونس أول من يجيب عليّ إذا دعيت»^١. وأيضاً بشأن أسرة بني فضال، الذين كانوا مرجعاً لطلاب علوم أهل البيت - لوثاقتهم وعلمهم، أصدر الإمام عبارة: «خذوا ما رووا وذروا ما دروا»، وبذلك منع نفوذ معتقدهم الإنحرافي (القطحية) بين جماهير الشيعة... وأمثال ذلك في موقف الأئمة من أصحابهم المعاصرين كثير.

بهذا المنظار، فإنّ الإمام عليه السلام في عصر الحضور كان الحارس اليقظ المتنّب الذي

حمل بنفسه مهمّة الحراسة عن الحدود التي تصون كيان المدرسة.

أمّا في عصر الغيبة، وخاصّة في عصر الغيبة الكبرى فقد اختلف الوضع تماماً. فمن جهة حدثت حاجات متزايدة تستدعي اتّخاذ موقف، وهذا الموقف يتّخذه في هذه المرحلة علماء الدين لا الإمام عليه السلام، ومن جهة أخرى هناك اختلاف وجهات النظر التي تبرز بشكل طبيعي بين العلماء والمفكرين، ولم يكن لهذه الاختلافات من محور بارز وقاطع يبيّن فيها... وهذا يعني انفتاح الطريق أمام مختلف الآراء والأفكار والنظرات بشأن أصول الدين وفروعه. وبين مختلف الآراء هذه، لا بدّ أن تجد عناصر - من المدارس المنحرفة أو المذاهب الشيعيّة التي خرجت عن خط الإمامة (كالزيدية، والإسماعيلية، والقطحية...) - طريقاً إلى مجموعة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ممّا يهدّد نقاءها وإتقانها... وقد يؤدّي الأمر في المدى البعيد إلى تغيير مسار المدرسة بشكل كامل.

ومن هنا يتّضح واحد من أهمّ واجبات قادة الأئمة في تلك البرهة من الزمان، والنهوض بهذا الواجب يستطيع أن يكون بمعنى صيانة الدين وبعادل الجهاد المصيري. وهذا الواجب عبارة عن تركيز الخصائص المميّزة للتشيع باعتبارها نظاماً فكرياً وعملياً،

(١) راجع: رجال الكشي في ترجمة يونس بن عبد الرحمن.

ورسم إطاره العقائدي والعملية بالاستمداد مما تركه الأئمة عليهم السلام من تراث قيم في أقوالهم. وبهذا الشكل يتضح ما لمذهب أهل البيت عليهم السلام من هوية مستقلة وخصائص مميزة، ويتيسر فهمه وتطبيقه لأتباعه. هذا العمل يتيح لعلماء الشيعة ومفكرهم إمكان الفرز بين الانحراف المبدئي أي الخروج عن أصول المذهب في الفقه والكلام، وبين اختلاف وجهات النظر التي تنشأ داخل إطار المدرسة.

ومما لا شك فيه أن هذا العمل لم يتم حتى زمن المفيد قدس سره، ولا أدل على ذلك من وجود اتجاه قياس في فقه ابن الجنيّد، وميول اعتزالية في كلام أسرة النوبخت. وهذان نموذجان فقط لنتائج وتبعات عدم تشخيص الخصائص المميزة لمدرسة التشيع في حقل أصول الدين وفروعه.

ففي مجال الفقه، عدم الاستفادة من المباني العقلية والأصولية للاستنباط، وتفرع الفرع على الأصل، وهو من التعاليم القطعية للأئمة عليهم السلام، وفي الطرف المقابل الإنزلاق إلى وادي القياس، وهذان لوان من الانحراف غير العمدي عن نهج المدرسة نتيجة لعدم وضوح الخصائص، وعدم رسم الإطار الواضح.

وفي مجال الكلام، فالمظهر الأساس الانحرافي - الناتج عن عدم تعيين حدود المذهب - يتمثل بالخلط بين الكلام الشيعي والكلام المعتزلي. وفي هذا المجال الأخير كانت تبعات عدم تعيين حدود المذهب كثيرة وفادحة. من ذلك :

- المتكلمون الكبار المشهورون كأفراد أسرة النوبخت كانت لهم في كثير من مسائل علم الكلام اتجاهات اعتزالية، وكانوا كالمعتزلة في توجيههم المفرط إلى العقل في فهم المباحث الكلامية.

- ثمة شخصيات من كبار الشيعة ادّعى المعتزلة أنهم منهم، ومنهم العالم المتكلم الشيعي المعروف الحسن بن موسى النوبختي المعاصر لكبير أسرة النوبختيين أبي سهل

إسماعيل بن علي النوبختي وابن أخته^١.

الإعتقاد بإمكان الجمع بين التشيع والإعتزال في شخص واحد، وتعريف شخصيات معروفة وكبيرة بأنها شيعية ومعتزلة، وحتى أن بعضهم قبل هذا الإدعاء وكرّره واعتقد به. من ذلك قول صاحب بن عبّاد:

لو شئتُ قلبي ليرى وشطّة سطران قد خطّا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانبٍ وحبُّ أهل البيت في جانبٍ^٢
أو قوله: «فقلت: إني شيعي ومعتزلي» بينما المعتقد الذي يميّز التشيع هو إمامة أهل البيت عليهم السلام التي لا يقبل بها أي معتزلي. والمعتقد الذي يميّز الإعتزال هو «المنزلة بين المنزلتين» وهو ممّا يتعارض ويتنافى مع بديهيات التشيع.

- بعض علماء الشيعة آمن بأصل من أصول المعتزلة الخمسة، دون أن يعتبره نفسه أو يعتبره أحد أنه معتزلي. محمّد بن البشر الحمدوني - مثلاً - يقول عنه النجاشي: كان رجلاً حسن الإعتقاد، ويؤمن بالوعيد^٣.

- بشكل عامّ هناك من اعتقد بأنّ الكلام الشيعي مأخوذ من المعتزلة. واستدلّ على ذلك بأصل التوحيد والعقل، وهما - على زعمهم - انتقلا من الإعتزال إلى التشيع. وتكرّر هذا الزعم كثيراً في أقوال أرباب الملل والنحل والمتكلمين غير الشيعة منذ القديم حتى العصور المتأخّرة، وهكذا في أقوال من استقوا معلوماتهم غالباً عن مصادر غير شيعية كالمستشرقين، حتى في زمن الشيخ المفيد نفسه، ظنّ الصاغانبي (وهو المتكلم والفقيه المعتزلي الحنفي الذي يسمّيه الشيخ المفيد في «المسائل الصاغانبيّة» بالشيخ الضالّ) مثل هذا الظنّ الباطل بالمفيد إذ يقول مشيراً إلى الشيخ المفيد: إنّ شيخاً في بغداد أخذ أفكاره من المعتزلة يقول كذا وكذا^٤...

(١) تاريخ العلوم الإسلامية (فارسي)، جلال هماني: ٥١.

(٢) الكنى والألقاب ٢: ٤٠٣.

(٣) رجال النجاشي: ٣٨١.

(٤) المسائل الصاغانبيّة: ٤١.

وبقي الباحثون المتعمقون وكتاب الشيعة مصونين من الوقوع في هذا الزلل. اللهم إلا أولئك الذين حذوا حذو المستشرقين في أنهم رجعوا أكثر ما رجعوا إلى مصادر استشراقية أو غير شيعية^١.

مما تقدم تتضح أهمية دور الشيخ المفيد في تعيين حدود مدرسة أهل البيت وخصائصها المميزة. هذا النابغة تفهم حاجات زمانه، معتمداً على قدرته العلمية الفائقة، وورد هذا الميدان الصعب، ونهض بمهمة على غاية الأهمية والحساسية، والحق أنه كان على مستوى أداء هذه المسؤولية الكبرى.

لا نريد من هذا طبعاً أن ندعي عدم وقوع أحد بعد عمل المفيد في خطأ أو جهالة في فهم محتوى التشيع، أو بعدم إمكان وقوعه، بل نرى أن فهم هذه المدرسة ومعرفة حدودها وخصائصها أضحت ميسراً لمن يطلبه، وأصبح فقه مدرسة أهل البيت وكلامها معروفاً أمام الباحثين بخصائصه المتميزة ويستطيعون أن يفهموه دون أن يشتبه عليهم الأمر أو يختلط بين حلٍ آخرى.

ولتحقيق هذا الهدف الكبير أنجز الشيخ المفيد مجموعة من الأعمال العلمية يستحق كل واحد منها بحثاً مستقلاً، ونكتفي بالإشارة إلى فهرس هذه الأعمال في مجالي الفقه والكلام.

ففي الفقه صنف «المقنعة» وهي دورة تكاد تكون كاملة في الفقه، وفيه نهج الصراط المستقيم والطريق الوسط في الاستنباط الفقهي، الذي هو مزيج من استخدام الأدلة اللفظية والقواعد الأصولية مع تجنب القياس والاستحسان، والأدلة الأخرى غير المعتبرة (وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد).

وكذلك ألف «التذكرة بأصول الفقه» ويمكن أن نقول عنه - بقدر ما نستطيع أن نستند

(١) ومن الغريب أن مستشرقاً (مارتين مكدرموت) في زماننا أيضاً كتب في باب الأفكار الكلامية للشيخ المفيد، وذهب فيه إلى أنه من أتباع مدرسة المعتزلة.

إلى المدونات الموجودة - أنه جمع لأول مرة قواعد الاستنباط الفقهي وأفتى على أساسها (سنعود إلى الحديث عن هذا الكتاب أكثر). وإلى جانب هذا وذاك دون كتاب «الأعلام» وفيه ذكر مواضع من إجماع فقهاء الشيعة على حكم، وإجماع فقهاء السنة على عدم الإفتاء بذلك الحكم. وإن بعض الأبواب الفقهية في هذا الكتاب بُحثت وحُققَت بقصد نقل الإجماع الموجود فيها. وفي حقل رسم الحدود الفقهية بين فقه الإمامية وفقه الحنفية دون كتاب «المسائل الصاغانية» وهو كتاب يقيم يجيب فيه المؤلف على إشكالات فقيه حنفي على عددٍ من مسائل فقه الشيعة.

وفي هذا المجال يعتبر كتاب «النقض على ابن الجنيدي» من الأعمال العلمية الأساسية للشيخ المفيد، ويظهر من عنوانه أنه نحا فيه نهج تبين الخصائص المميزة القاطعة لفقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

لا يمكننا أن نصدر طبعاً حكماً قاطعاً على محتوى هذا الكتاب لعدم توفره بين أيدينا، ولكن معرفتنا بنهج الشيخ المفيد وحجته القوية في البحث والجدل وسعة اطلاعه على المصادر واستحكام فكره في ترتيب مقدمات الاستدلال العقلي وموقفه الحاسم من الاتجاه القياسي لابن الجنيدي (نرى نموذج ذلك في المسائل الصاغانية)^١... كل ذلك يؤدي بنا إلى الاستنتاج بأن الكتاب المذكور ذو مضمون ومحتوى علمي مُقنع. وكان لهذا الكتاب دون شك تأثير كبير على عدم استمرار إتجاه القياس بين فقهاء الشيعة.

كان للشيخ المفيد في مجال تثبيت الهوية المستقلة للتشيع على صعيد علم الكلام نشاط أوسع وأهم، وفي هذا الميدان تصدّى شيخنا الكبير بدقّة وذكاء إلى بيان الفاصل بين عقائد الشيعة وسائر النحل الكلامية. والحيولة دون ورود عناصر من معتقدات الفرق الإسلامية أو الشيعية إلى دائرة عقائد الإمامية، ودون نسبة أفكار خاطئة لاصلة لها

(١) المفيد يطعن في «المسائل الصاغانية» بابن الجنيدي، ويعبر عن أقواله بالهذيان، ويصفه بعدم سداد الرأي. (راجع المسائل الصاغانية : ٦٢).

بالشيعة الإمامية إلى مدرسة التشيع. فهو في مقام مجادلة المذاهب الأخرى يتصدى لمباحثة كل مدارس زمانه، فيناقش الأشعرية والمعتزلة والمرجئة والخوارج والمشبّهة وأهل الحديث والغلاة والنواصب وغيرها من الفرق الصغيرة والكبيرة المنتسبة للإسلام... لكنه يواجه مدرسة الإعتزال وشُعبتها المعروفة مواجهة فكرية أكثر من غيرها، ويهتم في كتبه ورسائله الصغيرة والكبيرة العديدة بنقد وردّ نظرات المعتزلة في المباحث المختلفة، وسرّ هذا الاهتمام هو أنّ المعتزلة من بين الفرق الإسلامية - بسبب وجود تشابه بين بعض أصولهم وبين أصول التشيع - قد تعرّضوا إلى شبهة مفادها أنّ الإعتزال منشأ كثير من عقائد الشيعة، وأكثر من ذلك أنّ الإعتزال هو التشيع مع بعض الاختلاف... وهذه الشبهات أدّت بدورها إلى ظنّ خاطيء يرى أنّ مجموعة كلام الشيعة وليدة الكلام المعتزلي، أو إنّ أصول كلام الشيعة هي نفسها أصول الكلام المعتزلي. وذكرنا من قبل ما ترتّب على هذا الظنّ الخاطيء من تبعات.

إنّ تناوّل عقائد المعتزلة في كتب المفيد إنّما هو في الواقع مصداق بارز لما ذكرناه من دور الحراسة والمراقبة لحدود وثغور مدرسة التشيع وإثبات ما لها من استقلال وأصالة في الجانب الكلامي.

أهم آثار الشيخ في هذا المجال كتابه المعروف «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» وقد ألفه لبيان الفرق بين الشيعة والمعتزلة، ويذكر في مقدّمة الكتاب أنّه تناول أيضاً الاختلاف بين ما اتّفقت عليه الفرقان في بعض المسائل الأصولية كالعدل، والفرق في فهم كلّ فرقة لهذه الأصول^(١).

وتدلّ عبارة المفيد في هذه المقدّمة القصيرة على أنّ هدفه من تدوين هذا الكتاب تقديم مرجع عقائدي لمدرسة التشيع تيسّر السبيل لمن يريد أن يؤمن بتفاصيل الأسس

(١) فصل ما بين العدلية من الشيعة ومن ذهب إلى العدل في المعتزلة والفرق ما بينهم من بعد وما بين الإمامية فيما اتّفقوا عليه من خلافهم فيه من الأصول. (أوائل المقالات : ٤٠).

الفكرية لهذه المدرسة، وهو في هذا الكتاب ينقد حتى عقائد بعض علماء الشيعة الذين سبق أن التقطوا بعض نظرات المعتزلة وشابوا كلام الشيعة بها، ومنهم بنو نوبخت. وهذا هو نفس دور حراسة النظام الفكري للتشيع والدفاع عنه، وهو دور رفع لواءه المفيد رضوان الله عليه لأول مرة على ما نعلم بالتفصيل.

ولا ينحصر تعيين الفاصل العقائدي بين الشيعة والمعتزلة بكتاب «أوائل المقالات» فالشيخ الكبير قد تناول هذه المسألة في كتب أخرى بأساليب مختلفة بلغ في بعضها ذروة الروعة والتأثير، لكنه في «أوائل المقالات» قد تناول الموضوع بشكل كامل وشامل. نرى أنه يصل في بعض المواضع إلى اشتراك في العقيدة بين الشيعة والمعتزلة وفي بيان هذا الإشتراك ينتهج أسلوباً يوضح استقلال مدرسة أهل البيت في تبني تلك العقيدة، وينفي تماماً احتمال تبعية الشيعة للمعتزلة في هذا التبني. يقول مثلاً في باب نفى رؤية الله سبحانه وتعالى: «أقول إنه لا يصح رؤية الباري سبحانه بالأبصار، وبذلك شهد العقل ونطق القرآن وتواتر الخبر عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وعليه جمهور أهل الإمامة وعامة متكلميهم إلا من شذ منهم لشبهة عرضت له في تأويل الأخبار، والمعتزلة بأسرها توافق أهل الإمامة في ذلك وجمهور المرجئة وكثير من الخوارج والزيدية وطوائف من أصحاب الحديث»^١.

فالشيعة يستندون إلى الأدلة المعتبرة وهي الكتاب والسنة المتواترة، والدليل العقلي يؤيد ذلك أيضاً. فلا حاجة إذن أن يأخذوا هذا الكلام من المعتزلة أو غيرهم. بل إن المعتزلة هم الذين اتفقوا في هذه المسألة مع الإمامية، وهذا يعني أن المعتزلة في هذه المسألة مدينون للشيعة.

وفي باب علم الله تعالى بالأشياء قبل وجودها يقول:

«أقول إن الله تعالى عالم بكل ما يكون قبل كونه وأنه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه، ولا

معلوم وممكن أن يكون معلوماً إلا وهو عالم بحقيقته، وأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وبهذا اقتضت دلائل العقول والكتاب المسطور والأخبار المتواترة عن آل الرسول وهو مذهب جميع الإمامية، ولسنا نعرف ما حكاه المعتزلة عن هشام بن الحكم في خلافه، وعندنا أنه تخرّص منهم عليه، وغلط مَن قلّدهم فيه فحكاه من الشيعة عنه... ومعنا فيما ذهبنا إليه في هذا الباب جميع المنتسبين إلى التوحيد سوى الجهم بن صفوان من المجبرة وهشام بن عمرو القوطي من المعتزلة^١.

وهنا أيضاً نرى لحن الحديث في الاستناد إلى القرآن والحديث المتواتر يتجه إلى بيان استقلال الشيعة في منشأ الإِستناد، ولو أنّ المعتزلة مثل الفرق الأخرى قد قبلت ذلك أيضاً.

وفي بعض الموارد يشترك الشيعة والمعتزلة في قسم من مسألة واحدة. والشيخ المفيد في مثل هذه الموارد يبيّن نقاط الإفتراق بين الشيعة والمعتزلة كي لا يؤدي اشتراك الفريقين في عنوان المسألة إلى ظنّ الاشتراك في كلّ التفاصيل والجوانب. على سبيل المثال : يقول كلّ من الشيعة والمعتزلة باللطف والأصلح، لكنّ المفيد يهتم برفع أيّ اشتباه يمكن أن يحدث في فهم المسألة، ويبعد عن الشيعة ما وقعت فيه المعتزلة من اشتباه حين يتحدّث في باب اللطف، فهو بعد بيان الأصلح يقول مباشرة : «وأقول إنّ ما أوجبه أصحاب اللطف من اللطف إنّما وجب من جهة الجود والكرم، لا من حيث ظنّوا (المعتزلة وآخرون) أنّ العدل أوجبه (أي أوجب اللطف على الله) وآنه لو لم يفعل لكان ظالماً»^٢.

حتّى في المواضع التي اتّفق فيها رأي شاذّ من آراء متكلّمي الشيعة مع المعتزلة، يصرّ على ذكر الشواذ بالإسم أو الإشارة، كي لا يتخذ ذلك الرأي الشاذّ طابع عقيدة شيعيّة ويحسب على مدرسة التشيع.

في مسألة العصمة مثلاً بعد أن بيّن رأي الإمامية في عصمة الأئمة عليهم السلام عن الصفات وحتى عن السهو والنسيان، يقول: «وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم وتعلّق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب، والمعتزلة بأسرها تخالف في ذلك ويجوزون صدور الكبائر عن الأئمة والردة عن الإسلام»^١.

ويبدو أنه يشير إلى كلام الشيخ الصدوق رحمه الله عليه. وفي هذه الأمثلة وفي جميع كتاب «أوائل المقالات» يتبيّن الدور العظيم الذي نهض به الشيخ المفيد في تحديد معالم مدرسة أهل البيت وفي حراسة الإطار المميّز لهذه المدرسة حراسة الذكي اليقظ المصّر على حفظ عقائد المدرسة وكلامها من الإختلاط بأيّة فرقة أو نحلة أخرى.

ونفس هذا الهدف ينشده في كتبه الأخرى أيضاً، ولو بأساليب متفاوتة تقريباً، ففي «الحكايات» مثلاً حيث اختصّ القسم الأكبر برّد عقائد المعتزلة في الموضوعات الكلامية المختلفة، عقد فصلاً تحت عنوان: «إتهام التشبيه» وفيه يقول راوي الحكايات (ويبدو أنه السيّد المرتضى): «فإني لا أزال أسمع المعتزلة يدعون على أسلافنا: أنهم كانوا كلّهم مشبهة... وأرى جماعة من أصحاب الحديث من الإمامية يطابقونهم على هذه الحكاية، ويقولون: إنّ نفي التشبيه إنّما أخذناه من المعتزلة». ثم يطلب من الشيخ المفيد رضوان الله عليه أن يروي حديثاً يرّد به على هذه التهمة الباطلة...

والمفيد في الجواب بعد أن بيّن جذور هذه التهمة وسوابقها ويذكر أنّ الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت في ردّ التشبيه لا تعدّ ولا تحصى، يذكر رواية عن أبي عبد الله عليه السلام ثم يقول: «فهذا قول أبي عبد الله عليه السلام... فكيف نكون قد أخذنا ذلك من المعتزلة؟ لولا قلة الدين؟»^٢ (أي لولا قلة الدين عند من يقول هذا الكلام).

وهذا الإهتمام من الشيخ الكبير في ردّ تهمة التشبيه والجبر والرؤية عن عقائد الشيعة إنّما هو مصداق بارز آخر على دور الشيخ المفيد في الحراسه وفي تثبيت الهوية

المستقلة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو ما ندرسه في هذا البحث.

مما طرحه الشيخ المفيد في كتاب «أوائل المقالات» وسائر كتبه الكلامية مثل : «تصحيح الاعتقاد» و«الفصول المختارة» وغيرها في بيان عقائد التشيع والفارق بينها وبين عقائد الفرق الكلامية الأخرى وخاصة المعتزلة نستطيع أن نستنتج أنه استهدف تقديم نظام فكري منسجم ذي حدود وخصائص واضحة للتشيع. ولا شك أن النقطة الشاخصة المميّزة في هذا النظام الفكري هي مسألة الإمامة. أي إن أية نحلة أخرى لا تشترك مع الشيعة في هذه المسألة. والمناطق في نسبة فرد أو جماعة إلى مذهب الشيعة هو الاعتقاد بهذه المسألة.

نعم، الشيعة في كثير من المسائل العقيدية تختلف مع سائر الفرق في روح هذه المسائل ومعانيها أو في بعض فروع وجزئيات هذه المسائل رغم وجود الإشتراك في العناوين، مثل التوحيد والعدل والصفات وأمثالها، غير أن التمايز في مسألة الإمامة بين الشيعة وغيرهم أوضح من أية مسألة أخرى. لذلك افتتح الشيخ المفيد كتبه الضخمة مثل «أوائل المقالات» ونظائره بالكلام عن الإمامة، بل وكتب رسائل صغيرة وكبيرة عديدة أيضاً في موضوع الإمامة تحت عناوين مختلفة.

ومن المناسب أن نشير هنا أن كون الإمامة «نقطة شاخصة» في فكر المفيد - كما يتّنا - هو غير ما ذهب إليه أحد المستشرقين في هذا المجال، حين قرّر أن الإمامة هي «محور النظام الفكري» لدى المفيد.

إن محور النظام الفكري لدى الشيعة ومتكلميهم (المفيد وغير المفيد) هو مسألة الصانع وتوحيد الله سبحانه وتعالى. والمسائل المهمة الأخرى مثل : صفات الله تعالى، عددها ومعناها ونسبتها إلى ذات الباري عز اسمه، ومسألة النبوة وفروعها، ومسألة العدل، وكذلك مسألة الإمامة والمسائل المرتبطة بالتكليف والقيامة وغيرها... كلّها فروع تلك المسألة ومبتنية عليها.

والمستشرقون ومن ليست له إحاطة علمية كافية بالمفاهيم الإسلامية يقعون مع الأسف في مثل هذه الإشتباهات عند دراستهم لأشخاص عظام مثل الشيخ المفيد. ولا بدّ لمثل هذه الجلسات والبحوث أن تصحّح هذه الانحرافات وتلقي الضوء على الحقائق.

إنّ الباحث الغربي الذي كتب عن أفكار الشيخ المفيد يقول عنه حيناً إنّهُ يفتقد النظام الفكري الواضح، ويقول عنه حيناً آخر إنّهُ صاحب نظام فكري يقوم على أساس الإمامة. وكلا القولين - كما ذكرنا - يجانبان الصواب.

إنّ النظام الفكري للمفيد قد بيّنه في كتب ورسائل عديدة بوضوح، ومحوره - بعد مسألة «المعرفة» التي هي المقدّمة الطبيعية للمسائل العقائدية - مسألة الذات وصفات الباري، وسائر المسائل الأساسية متفرّعة عنها حسب مراتبها.

ومسألة الإمامة كما ذكرنا شاخص هذه المدرسة ونقطة تميّزها عن سائر المدارس، وعقيدة يعرف بها أتباع التشيع، لعلنا نستطيع أن نقارنها بمسألة «المنزلة بين المنزلتين» في مدرسة المعتزلة، ففي أصول المعتزلة الخمسة هذه المسألة ليست أهمّ المسائل وأولها وأعماها، إذ هناك التوحيد والعدل أيضاً. لكنّ مسألة «المنزلة بين المنزلتين» قد أوجدها الاعتزال واختصّ وتميّز بها. وليس ثمة معتزلي يصدق عليه هذا الاسم ولا يؤمن بهذه المسألة. هذه الميزة في النظام الفكري الشيعي تتمثّل بالإمامة.

ونفهم ممّا تقدّم أنّ الشيخ المفيد... النابغة الكبير في تأريخ التشيع... أوّل من رسم وضبط حدود مدرسة التشيع في الفقه والكلام. ففي علم الكلام بنى نظاماً فكرياً منسجماً من مجموع عقائد الشيعة، وحال دون أن يظنّ الشبه بينه وبين المذاهب والفرق الأخرى بما في ذلك المذاهب الشيعية غير الإمامية. وفي علم الفقه قدّم دورة في الفقه استناداً إلى طريقة الاستنباط القائمة على الأصول المتّخذة من تعاليم أهل البيت عليهم السلام، وسدّ الطريق أمام الأساليب غير المعتبرة مثل القياس أو الأساليب

الابتدائية والناقصة مثل أسلوب أهل الحديث.

بعبارة أخرى: إنَّه الرجل الذي ركَّز الهوية المستقلَّة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. وهذا هو البعد الأول من الأبعاد الثلاثة التي تبتني عليها شخصيَّة الشيخ المفيد باعتباره المؤسِّس والحلقة الأولى للتَّيار العلمي المتكامل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٢- تأسيس الإطار العلمي الصحيح لفقه الشيعة:

الفقهاء، بمعنى استنباط حكم الشريعة من الكتاب والسنة، لها جذور عريقة عند الشيعة. فالإمام الباقر عليه السلام يقول لأبان بن تغلب: «إجلس في المدينة وأفت الناس»^١. ويقول لعبد الأعلى: «يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزَّ وجلَّ. قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾»^٢. هذه وأمثالها من الروايات تدلُّ على أنَّ أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا يمارسون استنباط الأحكام من القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وكلمات الأئمة.

والفقه، بمعنى معرفة الأحكام، لم ينحصر في دائرة شيعة الأئمة بالتقليد والعمل بكلمات الأئمة عليهم السلام، بل اتَّسع ليشتمل على مزيد من التفاصيل والتعقيد في الاستدلال.

ومع ذلك ثمة بون شاسع بين ما كان يمارسه فقهاء أصحاب الأئمة عليهم السلام في باب الفقه والإفتاء. وبين الفقه في عصر ازدهار فقه الشيعة أي عصر ردِّ الفروع على الأصول واستنباط مئات القواعد العامة وآلاف الأحكام الفقهيَّة المعقَّدة والصعبة من الكتاب والسنة وحكم العقل، وتفرع الفروع الهائلة القادرة في زمن غيبة الإمام المعصوم على الإجابة عن أسئلة المكلفين في حقول الشريعة وتبيين الحلال والحرام في جميع الأبواب ويكُلِّ التفاصيل. وهذا البون الشاسع يجب أن يُملأ بمرور الزمان وعلى مدى

(١) رجال النجاشي: ١٠.

(٢) الوسائل ١: ٣٢٧. والآية من سورة الحج: ٧٨.

التطوّر التدريجي للفقه.

إن من سبق المفيد من الفقهاء - دون شك - قطع أشواطاً قيّمة على هذا الطريق. ولكن هذا الشيخ الكبير بنبوغه الفكري يعتبر في هذا المجال مبدأ تطوّر تاريخي وبداية تيار خلاق متنام متعمّق. ويظهر أنّه بعد قرون من جمع المصادر الفقهيّة المتمثّلة بنصوص المعصومين والإفتاء على أساس ظواهر هذه النصوص، اقتضى الأمر في مرحلة من تاريخ الفقه أن تُصبّ هذه الكنوز القيّمة في قالب أفكار علميّة وأن يُبتكر أسلوب فني للإستنباط.

وقبل الشيخ المفيد كان ثمة اتجاهان متفاوتان في فقه الشيعة. أحدهما اتّجاه برز فيه علي بن بابويه (ت ٣٢٩ هـ)، وقد نستطيع تسميته اتجاه القميين. وأغلب الظنّ أنّ أستاذ المفيد في الفقه أعني جعفر بن قولويه (ت ٣٦٨ هـ) هو من هذه المجموعة.

والفقاهاة في هذا الإتّجاه تعني الإفتاء حسب نصوص الروايات، بحيث أنّ كلّ فتوى في كتب هؤلاء الفقهاء تحكي عن وجود رواية في مضمونها. ولذلك حين يكون صاحب الفتوى ثقة ثبّاتاً فإنّ فتواه تستطيع أن تقوم مقام حديث، من هنا قال الشهيد رضوان الله عليه في الذكري: «قد كان الأصحاب يتمسكون بما يجدونه في شرائع الشيخ أبي الحسن بن بابويه رحمه الله عند إعواز النصوص لحسن ظنّهم به وأنّ فتواه كروايته»^١.

بديهي أنّ الفقاهاة بهذه الكيفيّة بسيطة جدّاً، وعارية عن الأسلوب الفنيّ المعمّق. والفروع المذكورة في الكتب الفقهيّة لهذا الإتّجاه تنحصر بالفروع المنصوصة، وهي قليلة ومحدودة. وهذا هو الذي أدّى إلى أن يوجّه المخالفون طعونهم لفقه الشيعة متّهمين إيّاهم بقلّة الفروع. والشيخ الطوسي رحمه الله ألف بعد ذلك كتاب «المبسوط» دفعاً لهذا الطعن.

الإتّجاه الثاني يقع في النقطة المقابلة للإتّجاه الأوّل، ويستند إلى الإستدلال والظنّ

الغالب، متّخذاً من فقه أهل السنّة منطلقاً وقدوة. والشخصيتان المعروفتان في هذا الإتجاه الحسن بن أبي عقيل العماني، وابن الجنيد الإسكافي (ت حوالي ٣٨١هـ). ولا تتوفّر لدينا معلومات كافية عن هذا الإتجاه ولا حتّى عن الفقيهين المعروفين تستطيع أن توضّح لنا بدقّة طبيعة اجتهادهما في استنباط المسائل الفقهيّة، ولكن ممّا قال المفيد وآخرون عن ابن الجنيد يظهر أنّه كان يميل إلى القياس والرأي، وبذلك ابتعد عن الطريقة المعروفة والمقبولة لدى الشيعة.

أمّا العماني فلم ينسب إلى هذا الإتجاه بل أنّه كما يقول النجاشي: «وسمعت شيخنا أبا عبد الله يكثر الشّاء على هذا الرجل رحمه الله»^١. وممّا قاله هو والشيخ في الفهرستين حول كتابه^٢ نستطيع أن نفهم أنّه فقيه مستقيم، ولعلّه كان قريباً من الطريقة التي انتهجها الشيخ المفيد وألف وحقّق فيها وربّئ تلاميذه عليها...ولكن مع ذلك تعتبر آراؤه غالباً في عداد الشذوذات الفقهيّة والمتروكة.

ولعلّ هذا هو سبب عدم بقاء شيء من كتابه سوى الإسم بعد العلامة والمحقّق رضوان الله عليهما. وممّا تقدّم يمكن الحدس بأنّ فقاهته لم تكن سليمة ولا يمكن أن يكون قد خلّف بعده إتجاهاً في الفقه. ولا شك أنّ هذا العالم الأقدم الذي يقول عنه بحر العلوم: «هو أوّل من هذب الفقه واستعمل النظر وفتق البحث عن الأصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى»^٣، كان له تأثير على ما توصّل إليه الشيخ المفيد لأوّل مرّة من قاعدة صحيحة للفقاهة، بل كان المقدّمة لعمل المفيد العلمي.

وكما يلاحظ فإنّ كلّ واحدٍ من الإتجاهين الفقهيّين ناقص في جانب من الجوانب.

(١) رجال النجاشي: ٤٨.

(٢) عبارة النجاشي على النحو التالي: «كتاب مشهور في الطائفة، وقيل: ما ورد الحاجّ من خراسان إلّا طلب واشترى منه نسخة (الصفحة ٤٨) وعبارة الشيخ في الفهرست: «له كتب أخر منها كتاب التمسك...في الفقه، كبير حسن» (الفهرست: ٣٦٨، ومع قليل من الاختلاف في الصفحة ٩٦).

(٣) فتاوى المعلمين: ١٣.

فالفقهاء في الاتجاه الأول نفس نص الرواية، دون تفريع ودون رد الفرع على الأصل، ودون بحث ومناقشة ونقد واستنتاج. والاجتهاد بمعناه المصطلح لا دخل له في هذا اللون من الفقه ولا تأثير.

والإتجاه الثاني، مع وجود النظر والاستدلال فيه، يبدو أنه ليس وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهو يقرن بالقياس أو ينحو منحى ينتهي بالآراء الشاذة، ولا يُقدّر له البقاء في الحوزة الفقهية الشيعية.

إنّ فقه المفيد مبرأ من هذين النقصين، وله كلتا المزيّتين: مزية الاستناد إلى الأساليب المعتبرة لدى الإمامية، ومزية الاستفادة من الاجتهاد المصطلح وإدخال عنصر الاستدلال والاستنباط النظري في الفقه. من هنا فهو الذي توصل إلى القالب العلمي المقبول والمعتبر لدى الشيعة، وأكسب المواد الماثورة والأصول المتلقاة نظاماً عملياً، وأودعه حوزة الفقه الشيعية، وبعده استمرّ نظام الفقه هذا عبر القرون حتّى وصل إلى ما عليه اليوم من نضج وازدهار.

ومن أجل الإطلاع بشكل إجمالي على قيمة عمل المفيد في حقل الفقه وأهميته، نتحدّث فيما يلي عن العناوين الثلاثة التالية :

أ - كتاب المقنعة.

ب - رسائل فقهية صغيرة للمفيد.

ج - كتاب التذكرة بأصول الفقه.

أ - كتاب المقنعة :

«المقنعة» دورة كاملة في الفقه، لم يسبقه كتاب فقهي بهذه الخصائص، وإنّ مقنع الصدوق لا يبلغ هذا الكتاب في شموليّة مباحثه الفقهية، على أنّه مثل كتاب ابن بابويه يضمّ نصوص الروايات، وأنّ مباحثه أكثر اختصاراً.

إنّ المفيد لم يذكر أدلته في هذا الكتاب على فتاويه، ولذلك ليس من السهل فهم طريقة استدلاله على هذه الفتاوى، ولكن بالقرينة المطمئنة يمكن القول: إنّ ما أفتاه في هذا الكتاب يستند إلى استدلال فقهي محكم. وإذا كان هذا الاستدلال غير مدوّن وغير معروض لاستفادة الخلف، فإنّ تلاميذه وطبقة الفقهاء المتّصلة به قد اتّخذوه قدوة لأعمالهم وأضافوا إليه. والقرينة المطمئنة كتاب «التهذيب» للشيخ الطوسي. وكما نعلم، أنّ التهذيب شرح للمقنعة، وبيان لاستدلالاته الفقهية.

والشيخ الطوسي رضوان الله عليه في مقدّمة ذلك الكتاب يبيّن دوافع تأليفه، ويذكر أنّ الصديق الذي طلب منه تأليف كتاب «يحتوي على تأويل الأخبار المختلفة والأحاديث المتنافية...». اقترح عليه أن يقصد إلى رسالة «المقنعة» للمفيد لأنها كافية شافية خالية من الحشو والزوائد. ثمّ يبيّن طريقته في الاستدلال، وهي باختصار كما يلي: الاستدلال على كلّ مسألة بظاهر أو صريح القرآن أو أنواع دلالاته المفهومية (مثل: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة والدلالة الإلزامية ونظائرها)، وهكذا الاستدلال بالسنة القطعية بمعنى الخبر المتواتر أو الخبر المحفوف بالقرينة، وهكذا إجماع المسلمين أو إجماع الإمامية، ثمّ ذكر الأحاديث المشهورة في كلّ مسألة، ثمّ النظر في الدليل المعارض (إن وُجد)، والسعي في الجمع الدلالي بين الدليلين، وإن تعذّر الجمع الدلالي، يُردّ الدليل المعارض لضعف السند أو لإعراض الأصحاب عن مضمونه، وإن تساوى الدليلان في السند وأمثاله (مثل جهة الصدور أو إعراض المشهور وغيره) ولا ترجيح لأحدهما على الآخر، فالترجيح للخبر الموافق للأصول والقواعد الكلية المستخرجة من الشريعة، والترك للدليل المخالف للأصل والقاعدة. وإن لم يكن ثمة حديث أصلاً فالحمل على ما يقتضيه الأصل، وترجيح الجمع الدلالي على الترجيح السندي، والجمع الدلالي وفق «شاهد الجمع» المنصوص، وعدم تخطّيه قدر الإمكان.

هذا هو أسلوب الشيخ الطوسي في الاستدلال على كتاب المقنعة كما ورد في مقدّمة

كتاب التهذيب. وأهل الفن يعلمون جيداً أنه الأسلوب الجامع في الاستدلال على مرّ عصور فقهاء الشيعة حتّى يومنا هذا، والطابع العام للاستدلال الفقهي في جميع العصور التي تلت الشيخ الطوسي رضوان الله عليه حتّى عصرنا الراهن. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه:

هل إنّ الشيخ المفيد - مؤلف المقنعة - كان غافلاً عن طريقة الاستدلال الجامعة هذه التي تستطيع أن توصل الفقيه إلى فتاوى كلّ الكتاب؟ وهل توصل إلى تلك الفتاوى دون معرفة بطريقة الاستدلال هذه؟ بعبارة أخرى: هل إنّ الشيخ الطوسي رضوان الله عليه مبتكر هذه الطريقة في الاستدلال؟ أو إنّه تعلّمها من استاذه المفيد؟ يبدو أنّ الجواب واضح لو أخذنا كلّ جوانب الموضوع بنظر الاعتبار، إذ نعلم أنّ الشيخ الطوسي بدأ بتأليف كتاب التهذيب في حياة الشيخ المفيد أي قبل سنة ٤١٣ هـ وهذه المقدّمة كتبها آنئذٍ. فقد ورد الشيخ الطوسي العراق سنة ٤٠٨ هـ حين كان شاباً في الثالثة والعشرين من عمره، وترقّى في مدارج العلم والبحث على يد استاذه الشيخ المفيد، ثمّ واصل تلقّيه العلمي على السيّد المرتضى مدّة ٢٣ سنة. ومن هنا لا يبقى مجال للشك أنّ الشيخ الطوسي تعلّم هذا الأسلوب الاستدلالي الفقهي على الشيخ المفيد، وبسبب تعرّفه على أسلوب استدلال استاذه استطاع أن يجعل الكتاب مستدلاً وفق أصول استدلال الأستاذ نفسه.

هذا الاستنتاج يزاد قوّة وقاطعيّة حين نلاحظ المباني الأصوليّة للشيخ المفيد في كتاب الأصول الذي سنتناوله فيما بعد. بملاحظة ذلك الكتاب وما نهج فيه المفيد من أسلوب الاستناد إلى الكتاب والسنة المتواترة والمحفوظة بالقرائن أو المرسلة المشهورة المعمول بها عند الأصحاب وغيرها من آرائه في الأصول، يتّضح بجلاء أنّ الأسلوب الاستدلالي الذي بيّنه الشيخ الطوسي في مقدّمة التهذيب هو نفس ما كان يؤمن ويعمل به أستاذه ويعلمه لتلامذته. ممّا تقدّم نفهم أنّ كتاب المقنعة - وإن لم يقترن بالاستدلال -

قد توصلَ ذلك الفقيه الكبيرُ إلى ما فيه من فتاوى بنفس الأسلوب الاستدلالي الذي تواصل ألف عام بعده في الحوزة الفقهية الشيعية.

هذه الطريقة الاستدلالية هي نفس النهج الاستدلالي الكامل الذي لم يكن موجوداً دون شك عند أي واحدٍ من الاتجاهين الفقهيين للشيعية أي إتجاه ابن بابويه واتجاه القدماء، وشيخنا الكبير مبتكر هذا الإتجاه ومؤسسه وواضع قواعده.

ب - الرسائل الفقهية :

هذه الرسائل على قلة حجمها تعبر عما كان يتمتع به الشيخ الكبير من عمق علمي فقهي. بعض هذه الرسائل مثل رسالة «المسح على الرجلين» و«ذباح أهل الكتاب» تشمل على استدالات جدلية شبه عقلية، لكن بعضها الآخر يحتوي حقاً على أسلوب فقهي مستحكم وقوي ومنظم مثل رسالة «المهر» أو «جوابات أهل الموصول في الرؤية والعدد» أو «المسائل الصاغانية». في رسالة الرؤية والعدد التي تختص برد القول المنسوب إلى الصدوق رضوان الله عليه وبعض الفقهاء القدماء بشأن عدد أيام شهر رمضان وأنها ثلاثون يوماً، فالشيخ المفيد يقرن الإستهظهار من الآيات، والإستنباط من اللغة، والإستهظهار بالأحكام الفقهية المسلمة، والبحث في فقه الحديث بشأن الروايات التي يستدل بها الخصم، والمناقشة في السند، وذكر أحوال الرجال، وذكر نكات كثيرة في فهم الأحاديث والإستنباط منها مستفيداً من كل واحد منها على أفضل وجه وأنضجه. ومن أعماله الرائعة في هذه الرسالة أنه في موضع منها بعد ذكر الحديث الذي يستدل به الطرف المقابل، يضعف سنده، ويعتبر مضمونه غير معقول وبعيداً عن الأسلوب الحكيم للإمام، وناتجاً عن جعل عامي وجاهل، وإضافة إلى ذلك يشير احتمال إرسال سنده، وهذه النكتة الأخيرة تدل على تبحره وإحاطته بالحديث^١.

(١) راجع الرسالة المذكورة : ٢٣، وما بعدها، الفصل المرتبط برواية يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله (ع).

إن رسالة «المسائل الصاغائية» التي يجيب فيها على إشكالات فقيه حنفي من أهل صاغان في عشر مسائل فقهية، نموذج آخر على ما عند الشيخ الكبير من قوة استدلال وتبحر فقهي. هذه الرسالة - وإن كانت ذات طبيعة كلامية أي إنه يواجه فيها الخصم غير الشيعي الذي يتهمه بالبدعة، بنسبة الإفتاء والبدعة إليه وإلى إمامه - فهي تبين بوضوح لكل قارئ خبير قوة الاستدلال والروح العلمية والفقاهة الاجتهادية لدى الشيخ المفيد، لأنّ المسائل المعروضة فيها فقهية بشكل عام.

هذه الرسالة ورسالة «العدد والرؤية» تستطيع أن تكون أفضل شاخص لما بلغه الشيخ المفيد من مكانة إبداعية، وأحسن دليل على أنّ ما يشاهد في طبقة تلاميذه وتلاميذ تلاميذه من أسلوب علمي في الفقاهة إنّما هو ناشيء تماماً عن الأسلوب الذي أسسه ووضع قواعده ذلك الرجل الكبير.

ج - كتاب التذكرة بأصول الفقه :

علم الأصول، (منهج الاستنباط الفقهي)... أسلوب للوصول إلى الأحكام العملية من الأدلة المعتبرة. وتنظيم القوانين والقواعد الأصولية بمثابة وضع منهج للفقاهة. إنّ انعدام مثل هذا المنهج يجعل ساحة الفقه بدون حدود وعرضة للخلط والإشتباه، والأحكام المستخرجة تفقد - لا محالة - اعتبارها المطلوب. أضف إلى ذلك إنّ أذواق الفقهاء وآراءهم الشخصية وفهمهم الفردي سيكون لها دور يتجاوز الحد في نتيجة الفقاهة، وتصاب آراء الفقهاء بالتشتت وعدم الانتظام.

صحيح أنّ علم الأصول كلّما ازداد عمقاً ونضجاً وتعقيداً ساعد على سلامة الآراء الفقهية، غير أنّ الذي يؤثّر في غاية الفقه ونتيجته أكثر من ذلك، أصل إيجاد هذا العلم ووضعه. إنّ أساس علم أصول الفقه وبنية نجاهه دون شك في كلمات الأئمة عليهم السلام،

وفيما يطلق عليه إسم «الأصول المتلقاة». ولكن أول كتاب في الأصول لدى الشيعة دُون - على ما نعلم - بيد الشيخ المفيد. وهو الكتاب الصغير في الحجم الضخم في محتواه المسمّى بـ «التذكرة بأصول الفقه» وإنه في أغلب الظنّ مختارات انتخبها تلميذه الشيخ ابو الفتح الكراچكي (ت ٤٤٩ هـ) من أصل كتاب المفيد الذي كان هو أيضاً صغير الحجم. هذا الكتاب على صغره له أهميّة فائقة لأنه :

أولاً - أول كتاب دُون في أصول الفقه عند الشيعة. يقول الشيخ الطوسي رحمه الله في مقدّمة كتاب عدّة الأصول : «ولم يُعهد لأحد من أصحابنا في هذا المعنى إلا ما ذكره شيخنا أبو عبد الله رحمه الله في المختصر الذي له في أصول الفقه»^١.

وثانياً - فيه مباحث كثيرة بعبارات مقتضبة، وفي مباحث الألفاظ خاصّة عناوين عديدة تشتمل على أبحاث هامّة.

وثالثاً - في بعض مباحثه توجد نظرات للشيخ الكبير تشبه إلى حدّ كبير ما ذكره المحقّقون الأصوليون في عصور متأخّره جداً. فما ذكره مثلاً في باب نسبة العام والخاص يشبه إلى حدّ كبير ما يسمّى بـ «الإرادة الجدّيّة والإرادة الإستعماليّة» في تحقيقات أسلافنا القريبين من زماننا. إنّ عبارة الشيخ المفيد في هذا المورد كما يلي : «والذي يخصّ اللفظ العام لا يُخرج منه شيئاً دخل تحته، وأنما يدلّ على أنّ المتكلّم به أراد به الخصوص ولم يقصد به إلى ما بُني في اللفظ له في العموم...»^٢.

رابعاً - الكتاب - وقد أريد له الاختصار^٣ - قدّمت فيه المباحث التي هي أكثر ضرورة وعمليّة في استنباط الأحكام الفقهيّة. وأهمّلت المباحث التي يغلب عليها الطابع النظري مثل بحوث حقيقة العلم أو حقيقة الكلام التي تعمّق وتوسّع فيها شيخ الطائفة رحمه الله في بداية عدّة الأصول.

(١) العدّة : ٥ (٢) التذكرة بأصول الفقه : ٣٧.

(٣) ثلّاحظ العبارات المنقولة عن العدّة «...في المختصر الذي له في أصول الفقه...».

في اعتقادي أنه من الرائع جداً أن لا يغفل الكتاب - على اختصاره - عن ذكر مباحث من قبيل : أنَّ العموم والإطلاق خَصَّ بالسنة القولية، وليس للعموم والإطلاق مجال في السنة الفعلية^١، أو أنَّ الأمر عقيب الحظر لا يفيد أكثر من الإباحة^٢، أو أنَّ الاستثناء عقيب الجمل المتعددة - إن لم توجد قرينة - يعود إليها جميعاً^٣ وأمثال ذلك... ولتأثيرها وتكررها في الاستنباطات الفقهية بينت بعبارات مناسبة.

مما ذكرنا يتضح أنَّ شيخنا الكبير... بتدوينه كتاب الأصول كان يعكف على إعداد المقدمات اللازمة لإبداع إطار علمي وفني للاستنباط الفقهي. وعلم الأصول - بالنسبة له - ليس مجموعة من المعارف الذهنية وشبه الكلامية. بل هو - كما صرح أيضاً تلميذه في مقدمة عدة الأصول - ما تبني عليه أحكام الشريعة، ولا يكتمل علم الشريعة دون إحكام هذا الأساس، ومن لم تكن الأصول عنده مستحكمة فهو حاكٍ ومقلد وليس بعالم^٤.

٣- إبتكار أسلوب الجمع المنطقي بين العقل والنقل في الفقه والكلام:

هذا هو البعد الثالث من شخصية شيخنا الكبير باعتباره مؤسساً ورائداً للحركة العلمية لدى الشيعة.

وفي هذا المجال أيضاً فتح الشيخ الكبير طريقاً جديداً بين الإتجاه العقلي المطلق للمعتزلة ومن حذا حذوهم من الشيعة - مثل آل نوبخت - وبين الإتجاه الحديثي عند الشيخ الصدوق.

(١) «وليس يصح في النظر دعوى العموم بذكر الفعل، وإنما يصح ذلك في الكلام المبني والصور منه المخصوصة. فمن تعلق بعموم الفعل فقد خالف العقول» التذكرة : ٣٨.

(٢) «إذا ورد لفظ الأمر معاقباً لذكر الحظر أفاد الإباحة دون الإيجاب»، الصفحة : ٣٠.

(٣) «والاستثناء إذا أعقب جملاً فهو راجع إلى جميعها إلّا...»، الصفحة : ٤١.

(٤) العدة : ٨.

المعتزلة في عصر نشاط الإعتزال - أعني في أواخر العصر العباسي الأول (المتنهي بأواسط القرن الثالث الهجري) - تأثروا بشدة بتيار الأفكار الفلسفية الأجنبية (اليونانية، والبهلوية، والهندية، وغيرها) الوافدة على العالم الإسلامي وبترجمة آثارها. وفي ذلك الزمان كان ذلك التيار الوافد وهكذا أفكار المعتزلة موضع تشجيع الخلفاء وخاصة المأمون.

إن ردة الفعل أمام هذا الاتجاه العقلي تمثلت في حركة أصحاب الحديث من أهل السنة والمحدثين الشيعة مثل الصدوق رحمه الله، الذين أرادوا أن يفهموا كل المعارف الكلامية والإعتقادية من الحديث.

واتجه المفيد في عمله العلمي الكبير إلى إثبات أن العقل - وهو مستقل - عاجز عن فهم جميع المباحث التي يتناولها علم الكلام، ففي باب صفات الباري - مثلاً - كالإرادة والسمع والبصر وأمثالها، العقل إنما يستطيع أن يلج باب المعرفة بمدد الوحي، ووروده لوحده في هذا الوادي المرتبط بحضرة الربوبية، هو ورود في التيه والضلالة. وهذا في الواقع مضمون نفس الروايات التي نهت عن الخوض في صفات الله تعالى.

لم يستهدف المفيد - إذن - حرمان العقل من أن يلج ساحته المرتبطة به - التي ليس للسمع والوحي فيها طريق - أي ساحة إثبات الصانع والاستدلال على وجود الباري أو التوحيد أو النبوة العامة بل استهدف حدّ العقل بنفس الحدود التي عيّنها له خالق العقل كي لا يسقط في التيه والضلال.

جاءت عبارة أوائل المقالات في موضع: «إن استحقاق القديم سبحانه بهذه الصفات (أعني كونه تعالى سميعاً بصيراً ورائياً ومدركاً) كلّها من جهة السمع دون القياس ودلائل العقول»^(١). وفي موضع آخر: «إن كلام الله تعالى محدث وبذلك جاءت الآثار عن آل محمد صلى الله عليه وآله»^(٢). وفي موضع آخر: «إن الله تعالى يريد من جهة السمع والإتباع

والتسليم على حسب ما جاء في القرآن، ولا أوجب ذلك من جهة العقول»^١. وفي موضع آخر في عبارة عامة: «إنّفقت الإمامية على أنّ العقل يحتاج في عمله ونتائجه إلى السمع، وآته غير منفك عن سمع ينبّه العاقل على كيفية الاستدلال... وأجمعت المعتزلة... على خلاف ذلك وزعموا أنّ العقول تعمل بمجردها عن السمع والتوقيف...»^٢.

مثل هذه التصريحات كثيرة في كلمات المفيد. مع ذلك فهو يقبل سندية النقل حيث لم يقم برهان عقلي على امتناعه. ولذلك في باب ظهور المعجزات عن الأئمة عليهم السلام، قبل أن يذكر ورود دليل سمعي عليها يقول: «فإنّه من الممكن الذي ليس بواجب عقلاً ولا ممتنع قياساً»^٣. مثل هذا الكلام كرّره في مواضع أخرى^٤. ولكنّه في «تصحيح عقائد الإمامية» الذي هو تعليق على «اعتقادات الشيخ الصدوق»، بعد أن يحكم برّد الحديث المخالف للقرآن يعلن بصراحة تفوق صراحته في المواضع الأخرى، ويقول: «وكذلك إنّ وجدنا حديثاً يخالف أحكام العقول أطرحناه، لقضية العقل بفساده»^٥. وفي هذا البيان - إضافة - إلى ردّه الحديث المخالف لحكم العقل - يرى أنّ أساس هذا الردّ هو حكم العقل أيضاً. وبذلك يؤكّد بشكل مضاعف على حجّة الاستدلال العقلي. إنّ الاعتماد على الاستدلال العقلي في مدرسة الشيخ المفيد يصل إلى حدّ نراه في بحث «الأئمّ للمصلحة دون العوض» بعد بيان رأيه الفريد الذي لا يشاركه فيه العدلية ولا المرجئة، يقول بثقة قلّ لها نظير: «وقد جُمعت فيه أصول يختصّ بي جمعها دون من وافقني في العدل والإرجاء، بما كشف لي في النظر عن صحّته ولم يوحشني من خالف فيه، إذ بالحجّة لي أتمّ أنس ولا وحشة من حقّ والحمد لله»^٦. ولَمّا كان قد استند في الأئمّ والبحوث المتفرّعة عن اللطف عامة إلى الأدلّة العقلية لا السمعية، لذلك فإنّ قصده من (الحجّة)

(١) أوائل المقالات : ٥٨.

(٢) أوائل المقالات : ٥٠.

(٣) أوائل المقالات : ٧٩.

(٤) أوائل المقالات، القول في سماع الأئمة عليهم السلام كلام الملائكة الكرام... : ٨٠.

(٥) أوائل المقالات : ١٢٩.

(٦) تصحيح الإعتقاد : ١٤٩.

في العبارة المذكورة هو الإستدلال العقلي نفسه.

ورود عنصر «السمع» في بناء المدرسة الكلامية للشيخ المفيد أدّى بالاستعانة بكلمات الأئمة عليهم السلام إلى أن تأخذ كثيرٌ من المباحث الشائكة - التي تتطلب مسيراً طويلاً للتوصل إلى كلام الحق فيها - مكانها بسهولة في المجموعة الكلامية لذلك الشيخ الكبير، وأدّى إلى إنقاذ المسيرة الكلامية للشيعة بعد المفيد من الإنحرافات والإضطرابات الفكرية.

على سبيل المثال نذكر أنّ المعتزلة في مسألة صفات الباري طوت طريقاً طويلاً ابتداءً من نفي الصفات كما جاء في كلام واصل بن عطاء ومروراً بنظرية نيابة الذات عن الصفات، حتّى الوصول إلى نظرية التوحيد بمعنى عدم زيادة الصفات على الذات، وإنّ صفات الله تعالى عين ذاته في الوجود. بينما نرى هذه المسألة في كلمات المفيد متخذة من السمع أعني نهج البلاغة والروايات الصادرة عن الأئمة عليهم السلام. ومن هذه الروايات يُستفاد أيضاً أنّ هذه المباحث كانت متداولة في زمن الأئمة عليهم السلام بين الشيعة، وكانوا ينهلون بشأنها من النبع الخالد لعلم أهل البيت^١.

والذي يلفت النظر أنّ الشيخ المفيد في الرسائل الكلامية المختصرة مثل: «النكت في مقدّمات الأصول» يلجأ حتّى في باب صفات الباري (حيث حصر استدلال هذا الباب في أوائل المقالات بالاستدلال السمعي) إلى الإستدلال العقلي إلى جانب الإستدلال السمعي.

يقول مثلاً: «فإن قال: ما الدليل على أنّه قادر؟ فقل: تعلّق الأفعال به مع تعذّرها في البداءة عن العاجز...». ويقول أيضاً: «ما الذي يدلّ على أنّه عالم؟ فقل: الصفة في البداءة على الجاهل»، ونفس الترتيب في باب السميع والبصير والحكيم^٢.

(١) راجع الكافي ١: ١٠٧، باب صفات الذات. والفصول المختلفة من توحيد الصدوق. وخطبة نهج البلاغة.

(٢) النكت في مقدّمات الأصول: ٣٣ و ٣٤.

وهذا لا يمكن اعتباره عدولاً عن الأصل المذكور في أوائل المقالات. لقد سبق أن ذكرنا أن الرسائل الموجزة التي دوّنها الشيخ المفيد على شكل سؤال وجواب هي بالإحتمال القويّ منهج عمليّ لمتعلّمي الجدل الكلامي من الشيعة القاصين الذين ما كان بإمكانهم أن ينالوا أستاذاً كالشيخ المفيد. والشيخ الكبير في تلك الرسائل، اختار طريق البحث العقلي باعتباره أجدى طريق لمواجهة أيّ مخاطب.

بهذا الشكل يتّضح أن الجمع بين الحجّة العقلية والدليل النقلي في المنهج الكلامي للشيخ المفيد من أبرز أعماله الكبيرة والمبتكرة.

أمل أن تحظى هذه العناوين الهامة والجوانب الوضاعة الكثيرة الأخرى من الحياة العلمية للشيخ المفيد باهتمام ومتابعة هذا المجمع العلمي والتحقيقي.

في خاتمة هذا المقال يجدر أن نؤكد أن ما قام به هذا النابغة الكبير من جهاد علمي طويل وتأسيس صرح علم الفقه وشقّ الطريق الوسط في الكلام كان في ظروف وأوضاع اجتماعية صعبة.

إن حكومة آل بويه في بغداد، وإن استطاعت أن توجد جواً مناسباً للبحث العلمي الحرّ، لم تستطع أبداً أن تحلّ مشكلة المواقف المتعصّبة لفقهاء الحنابلة، وضغوط جهاز الخلافة العباسية على الشيخ المفيد وعامة الشيعة.

إن مظلومية شيعة الكرخ في بغداد والمحن العظيمة التي مرّت عليهم وعلى زعيمهم الكبير حقائق يشهد لها التاريخ بصراحة. والمظنون أن الشيخ المفيد - فيما سوى المرات الثلاث من النفي التي ذكرتها كتب التاريخ - قد تعرّض لمحنة أخرى خلال مدّة دامت سنتين تقريباً بين ٤٠٥ و ٤٠٧ ولا نعرف طبيعة هذه المحنة. وهذا الظنّ يأتي من عدم وجود أيّ ذكر للشيخ المفيد في قضايا وفاة السيّد الرضي تلميذه المحبوب سنة ٤٠٦، مع أن الكتب ذكرت تفاصيل التشيع وخصوصياته، والقاعدة تقتضي ذكر الشيخ المفيد كراراً في هذا الحادث. وثمة قرينة أخرى تبعث على هذا الظنّ هي أن أمالي الشيخ

المفيد التي كان تلقى حوالي شهر رمضان من كل سنة عدد من مجالسها في بيت الشيخ أو في مسجده بدرب رباح واستمرت من سنة ٤٠٤ إلى سنة ٤١١، لم تلق خلال السنتين ٤٠٥ و ٤٠٦، ولا يوجد أي مجلس يرتبط بهاتين السنتين في مجموعة أمالي الشيخ المفيد.

وأيضاً هناك قرينة أخرى تتلمسها من قضايا محرّم سنة ٤٠٦ إذ اندلعت فتنة كبيرة أخرى من الفتن والمحن المكررة التي ألمّت بالشيعة. وفيها اختارت حكومة بغداد السيّد المرتضى ليكون ممثّل الشيعة ورئيسهم الذي يتحدّث عندها عنهم، لا الشيخ المفيد، والحال أنّ الرئيس المطلق للشيعة بلا منازع في تلك الأيّام وقبلها كان الشيخ المفيد، والسيّد المرتضى يعتبر تلميذه ومريده المتواضع ومن أتباعه.

هذه القرائن تبعث على الظنّ بمحنة الشيخ المفيد في تلك السنتين ممّا أدّت إلى غيابه عن بغداد، ويجب التحقيق في ذلك. ومن المسلّم أنّ الحياة في بغداد لعامة الشيعة وزعمائهم في القسم الأعظم من زمن حكم آل بويه على العراق وبغداد الذي استمرّ مائة وثلاثة عشر عاماً كانت قاسية مقرونة بالمحن والإشتباكات والمجازر والمظلوميّة^١. والشيخ المفيد وسط هذه المشاكل المتفاقمة ويتحمّل مسؤوليّات قيادة الشيعة في العراق بل في جميع العالم حقّق هذا النجاح الباهر في حقل معارف الشيعة.

والذي أريد أن أوكد عليه في نهاية هذا المقال هو توصية العلماء والمفكرين المشاركين في هذا التجمّع الثقافي أن يبذلوا كلّ وسعهم لجعل هذا اللقاء العلمي وسيلة تقريب فكري واتّحاد عملي بين المذاهب الإسلاميّة.

إنّ أسلوب الشيخ المفيد في مواجهة خصمه المذهبي في زمانه متأثر دون شكّ بالحوادث الاجتماعيّة المرّة وبالمصائب التي ألمّت بالشيعة المظلومين في ذلك الزمان، والتي أدّت إلى إضرام نيران التعصّب الأعمى. هذا الأسلوب لا يمكن أن يكون اليوم

(١) يستثنى من ذلك فترة حكومة عضد الدولة الديلمي على بغداد (٣٦٧ - ٣٧٢).

قدوة لمواقف الفرق الإسلامية من بعضها، حتّى في المجالات الكلاميّة.
 إنّ الفرق الإسلاميّة اليوم باستعراض تلك المشاهد التاريخيّة المؤلمة يجب أن تتلقّى
 تجربة التعاطف والمسالمة. عليهم في هذا العصر - حيث أصول الإسلام التي تحمّل ما
 تحمّل أمثال المفيد من كلّ مذهب لإحيائها، تتعرّض للخطر من قبل الأعداء العالميين -
 أن يفكروا في الوحدة والتقارب والتعاون بين كلّ الفرق وجميع مفكرّيها. وهذا هو
 الدرس الكبير لثورتنا، والتوجيه الخالد لإمامنا الراحل قدس الله نفسه الزكيّة.
 مرّة أخرى، أسأل الله تعالى لكم التوفيق أيّها الأعزّة، متضرّعين إليه تعالى أن يسفر
 ملتقاكم هذا عن نتائج لاثقة ومعطيات خالدة.
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مَنْ كُنْتَ مُؤَلَاهُ
 فَإِنَّ مَوْلَاهُ عَلَيَّ

المُسْتَدْرَكُ لِلْحَاكِمِ ٣ / ١٣٤

النَّبِيُّ الْكِرِيمُ (ص)

مَعْلَمُ الْأُمَمِ شَاهِدٌ بِهَيْئَتِ جُذُورِهِ وَفُرُوعِهِ*

السيد مصطفى جمال الدين (العراق)

جُذُورُكَ^١ فِي بَغْدَادَ ظَامِئَةٌ سَغْبِي
وِظْلُكَ فِي طَهْرَانَ يَحْتَضِنُ الْعُرْبَا
وَأَنْتَ رَبِيعٌ مِنْ جَنَانِ مُحَمَّدٍ
تَضَوَّعَ فِي أُرْدَانِ «سَابُور» إِذْ هَبَا
كَأَنَّ مَجَانِي «عُكْبَرَا» حِينَ أُخْصِبَتْ
تَذَوَّقَ فِي أَفْوَاهِ جَارَاتِهَا الْخِصْبَا

(٥) قصيدة الشاعر الكبير الدكتور السيد مصطفى جمال الدين بمناسبة الذكرى الالفية لوفاء الشيخ المفيد رحمه الله التي أقامتها جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة في ٢٥ شوال ١٤١٣ هـ - الموافق ١٧ نيسان ١٩٩٣ م.

(١) الخطاب للمعلم الأمة الشيخ ابن المعلم المفيد قدس سره.

وَأَنَّ دَمًا مِنْ قَلْبِ «قحطان» لَمْ يَجِدْ
 شَرَايِيْنُهُ فَاخْتَارَ مِنْ «فارس» قَلْبًا
 فَهَبَّتْ لَهُ أَوْدَاجُهَا وَعُرُوقُهَا
 وَلَاقَتْ عَلَى كَفِّهِ مِنْهَلَهَا الْعَذْبَا
 وَعُقْبَاكَ يَا بَغْدَادَ أَنْتَ عَاقِرٌ
 وَإِنْ كُنْتَ أَنْجَبْتَ الْعَبَاقِرَةَ الشُّهْبَا
 فَلِمَ الَّذِي أَرْضَعِيهِ الْعِلْمَ وَالْحِجَابَا
 وَوَهَجَ اللَّغْىِ، لَمْ يَرْتَضِعْ بَيْنَهَا الْحَبَا
 أَدْرَبْتَ لَهُ ظَهْرًا، فَأَفْقَرْتَهُ رُؤْيَا
 وَأَوْحَشْتَهُ دَرْبًا، وَبَدَّدْتَهُ صَحْبَا
 وَشَكَّكَ حَتَّى فِي مَدَبِّ عُرُوقِهِ
 فَخَنَنْتِ بِهِ حَقَّ الْأُمُومَةِ وَالْقَرِيبِ
 وَلَكِنْ مَوْفُورَ الْجَنَاحِينَ إِنْ يَضِيقُ
 بِهِ الْوَكُورُ يَوْمًا يَمْتَطِ الْأَفَقَ الرَّخْبَا



وما بَرِحْتُ أَغْصَانُكَ الْفِيحُ فَوْقَنَا
تَمَائِلُ زَهْوَاً، وَهِيَ مُثْقَلَةٌ كُتُبًا
وَتَسْتَأْفِكُ الدُّنْيَا عَصِيرًا، وَبَيْنَنَا
وَبَيْنَكَ «أَلْفٌ» مَا سَهَى الْعِطْرُ أَوْ أَكْبَى
سَتَبَقَى مَعَ الْأَجْيَالِ مَدْرَسَةٌ لَهَا
«بِرَامِجٌ» فِي «أَجْرِ الْمَوَدَّةِ فِي الْقَرَبِ»
تَفَرَّدَ فِيهَا «ابْنُ الْمَعْلَمِ» مَنَهْجًا
فَأَفْقَرَ مِنْ جَافِي، وَأَغْنَى الَّذِي رَبَّى

جُدُوزُكَ فِي بَغْدَادَ أَرْهَقَهَا الطَّوَى
وَنَخَّرَهَا الْحِقْدُ الدَّفِينُ بِمَا خَبَا
وَأَفْنَانُكَ الْخَضِرَاءُ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ
أَضَافَتْكَ.. هَبَّتْ رَوْحُهُائِخِصْبِ الْجَدْبَا
يَشِدُّكَ لِلْسَّارِينَ أَنَّكَ نَهَجُهُمْ
وَمَا ضَيَّعُوا - رَغَمَ الدَّجَى - ذَلِكَ اللَّحْبَا
وَتَسْتَتِكُ الْأَجْيَالُ مَنَا كَأَنَّا
صِغَارُكَ نَحْبُو بِسِينِ عَيْنِكَ أَوْ نُحْبِي
كَأَنَّكَ لَمْ تَبْرَحْ إِلَى الْآنَ وَقَفَا
عَلَى الْكَرْخِ مِنْ بَغْدَادَ تَسْتَطْلِعُ الدَّرْبَا

وحوْلَكَ أَشِيَاخٌ يَظُنُّونَ أَنَّنَا
نَسِينَا الْقِيَابَ الْحُمْرَ، وَالْقَتْلَ وَالسَّلْبَا
وَنَادَى «الرَّضِي» «المرتضى»: مَا مَقَامُنَا؟^١
وَهَذَا «الرَّضَا» هَلَّتْ كِتَابَتُهُ الشَّهْبَا
تَشْمَرُ مَهْتَاجاً وَخَلَفَ ضُلُوعِهِ
«خِرَاسَانٌ» رَفَّتْ سَوْدُ رَايَاتِهَا سِرْبَا
أَتَيْنَاكَ لَمْ يَقْعُدْ بِنَا خَوْفٌ ظَالِمٌ
وَلَمْ نَسْتَهَيِّبْ قَرْعَ كَأْسِ الرَّدَى نَحْبَا
أَتَيْنَاكَ وَالْفَارَاتُ حُمْرٌ وَفُوقَهَا
دُمُ «الصَّدْرِ» تَجْلُو نَارُهُ اللَّيْلَ وَالْكَرْبَا
أَتَيْنَاكَ نَبْنِي مَا تَهْدِمُ مِنْ هَوًى
تَفَرِّدُهُ الْبَاغِي فَأَوْسَعَهُ نَهْبَا
قِيَابَ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ.. فَهَلْ شَكْتُ
قُرَيْشٌ، وَلَامْتُ هُجْنَهَا الْعَرَبُ الْعَرْبَا؟^٢
وَهَلْ اضْرَبْتُ «فَاسٌ» وَأَنْكَرُ «أَزْهَرُ»
وَسَكَّرْتُ «الزَيْتُونُ» أَبْوَابَهَا نَذْبَا؟^٣
بَلَى.. زَارَ بَغْدَادَ «ابْنُ مُلْجَمٍ» فَانْحَنَتْ
نِيَاشِينُ «شِمْرِ» فَوْقَهُ تَمْسَحُ الْعَتْبَا^٤

(١) إشارة إلى قول الرضي يستنهض بالفاطميين في مصر ويثبت نسبهم عندما طلب العباسيون من الشيخ المفيد وطلابه التوقيع على محضر يطعن بنسبهم:

مَا مُقَامِي عَلَى الْهَوَانِ وَعِنْدِي مِقُولٌ صَارِمٌ وَأَنْفٌ حَمِي

(٢) إشارة إلى المحاولات المتكررة من ابن بلة وباسر عرفات وغيرهما في صقل وجه النظام العراقي وتسويقه

وَنَنَاهُ مَنْ عَلِيَا فِلَسْطِينَ «ثَائِرٌ»
لِيَنْفِضَ عَنْ أَظْفَارِهِ لَحْمَنَا الْغَبَا
وَيَغْسِلَ عَنْ شِدْقِي هَجِينَ مُعَرِّبِ
دَمِ الْعَرَبِ الْأَقْحَاحِ.. وَاللُّؤْمُ، وَالْعُجْبَا
وَهِيَهَاتَ يَجْلُو سَحْنَةَ الْعَبْدِ غَاسِلٌ
وَهَلْ طَهَّرَ الْبَحْرَانِ مِنْ دَنَسِ كَلْبَا

جُذُورُكَ فِي بَغْدَادٍ شَقَّتْ فِرْعَوْنَهَا
ثَرَى الْغِيِّ حَتَّى عَمَّتِ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَا
تَرْضَبُهَا فِي ثَغْرِ إِيْرَانِ «رَهْبِرٌ»
تَعْلَمُ مِنْهَا الْحَزْمَ وَالْمَوْقِفَ الصُّلْبَا
إِذَا سَارَعَتْ فِي «قِم» دَقَاتُ قَلْبِهِ
تَبَاطَأَ «رِيغَانٌ» فَطَارَ بِهَا رَعْبَا
وَإِنْ رَعُفَتْ أَقْلَامُهُ بِنَبِئَةِ
تَوَجَّسَ رُبَّانُ «الْكِرْمَلِينَ» فِي الْعُقْبَى
يَصُولُ عَلَيْهِ الْكَفْرُ لَهْفَانٌ أَصْفَرَا
فِيَلْقَاهُ جَمْرَ الْعَتَبِ مَخْضُوضَرِ الْعُتْبَى

من جديد الى العالمين : العربي والاسلامي.

(١) في البيتين وما بعدهما إشارة إلى محاولة الامريكان انقاذ الرهائن في اول الثورة الاسلامية واحتراق طائراتهم في صحراء طَبَس في الحادثة المعروفة.

فَيرْجِعْ مَخْزِيًّا، وَبَيْنَ شَفَاهِهِ
 حَصِي «طَبَّيس» يَجْتَرُّهُ لاذِعًا صَلْبًا
 وَلَكِنَّهُ يَخْتَارُ مِنْ غَدَرِ «جَارِهِ»
 بَدِيلًا... وَمِنْ حَرَّاسِ «بَتْرُولِهِ» الْبَا
 وَمَنْ قَالَ تَخْبُو شَعْلَةُ الشَّمْسِ فِي الضُّحَى
 إِذَا طَالَ نَفْخُ الرِّيحِ فِي وَجْهِهَا حُقْبَا
 أَعَادَ لَأَمْجَادِ «الْعِمَامَةِ» دَوْرَهَا
 فَأَلْبَسَهَا دِرْعَ الْإِمَامَةِ وَالْعَضْبَا
 وَأَجْلَسَهَا فِي قِمَّةِ الْعَرْشِ وَحَدَهَا
 لِيَعْرِفَ رَبُّ «التَّاجِ»: أَعْلَاهُمَا كَعْبَا
 وَهَوْمَ «طَلَّاعِ الثَّنَائِيَا» فَمَا وَهَتْ
 لِأَنَّ الَّذِي قَدْ لَانَ عِلْمُهَا الْوَثْبَا
 وَأَرْكَبَهَا الشُّوْطَ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ
 فَجَازَتْ رِعَانَ الصَّخْرِ وَالْمَرْتَقَى الصَّعْبَا
 وَنَمَّ يَا أَخَا «سُقْرَاطَ» جَفْنًا فَلَمَّا
 تَجَرَّعَتْ كَأْسَ السَّمِّ كِي تُوقِظَ الْهُدْبَا

جُذُوزُكَ فِي بَغْدَادٍ شَقَّتْ طَرِيقَهَا
 وَطَارَ بِهَا «الرُّوحُ الْخَمِينِيُّ» إِذْ شَبَّ

فَحَطَّتْ عَلَى «مِصْرَ» وَلَمَّتْ بِ«تُونِسَ»
 وَأُحْدِثَ فِي «وَهْرَانَ» «خُرُطُومُهَا» ثُقْبًا
 وَمَا ضَرَّهَا أَنْ الْمَنُونِ «مُبَارَكُ»
 عَلَيْهَا، وَ«كَافِيهَا» يَشُنُّ لَهَا الْحَرْبَا
 وَأَنْ نَوَاطِيرَ «الْجَزِيرَةِ» أَسْلَمَتْ
 مُحَارِبِيهَا لِلصَّ، وَاسْتَبَقَتْ النَّصْبَا
 وَأَنْ الْيَهُودَ اسْتَنْفِرَتْ حِينَ أَنْبَتَتْ
 بِ«مَرْجِ الزَّهَوْرِ» الْوَرْدَ فَاقْتَلَعَ الْعُشْبَا
 وَأَنْ الْهَضَابَ «الْعَامِلِيَّةَ» وَحَدَّهَا
 أَعَادَتْ لِمَجْدِ الْعَرَبِ مَا رَسَخَ الْهَضْبَا
 أَبَى صَخْرُهَا أَنْ يَسْتَرِيحَ بِجَمْرِهِ
 «جِزَامٌ» يَتَّقِي جِيرَانَهَا اللَّذْعَ وَاللَّسْبَا
 وَخَيْرٌ مِنَ السَّلَمِ الْعَقِيمِ حِجَارَةٌ
 تَقْلَبُ غَازِيَهَا عَلَى لَفْحِهَا جَنْبَا
 وَأَنْ حِمَاةَ الْمُسْلِمِينَ تَجَمَّعُوا
 بِتُونِسَ كَيْ يَحْمُوا مِنَ الْحَمَلِ الذُّبَا
 «مَسَاكِينُ» أَبْنَاءُ الْيَهُودِ تَشَقَّقَتْ
 أَكْفَهُمْ مِنْ طَوْلِ مَا ذَبَحُوا الْعَرَبَا
 وَطَالَتْ يَدُ «الْإِرْهَابِ» حَتَّى لَدَافَعَتْ
 عَنِ الرُّوحِ إِذْ يَغْتَالُهَا ظَالِمٌ غَضْبَا

وَأَنْ أَخَا «أُمَّ المَعَارِكِ» بَاذَلْ
 قُصَارَاهُ كِي تَسْتَمِرُّوْا الذَّلَّ وَالْكَذْبَا
 تَأْرَنْبَ فِي «الْخَفْجِي» وَ«الْحَفْرِ»^١ حَاقِذْ
 تَنْمَّرْ فِي طِفْلِ وَثَاكِلَةٍ تَعْبِي
 وَأَقَعْتَ صَوَارِيخَ إِلَى الْقُدُسِ وَجْهَهَا
 فَكَعَّتْ^٢.. وَمَالَتْ تَحْصَدُ الدِّينَ وَالشَّعْبَا
 وَيَا جَيْلَ «شُعْبَانَ»^٣ اصْمَدُوا إِنَّ خَلْفَكُمْ
 صِقَالُ الْمَوَاضِي، وَالْعَقِيدَةُ، وَالرَّبَّآ



(١) الخفجي وحفر الباطن مرقعان على الحدود السعودية الكويتية دارت بهما الموقعة التي سمّاها النظام العراقي : (ام المعارك).
 (٢) كَعَّتْ : جَبِنت.

(٣) (شعبان) هو الشهر الذي وقعت به الانتفاضة على النظام العراقي عام ١٤١١ هـ ، فأسقطت أربع عشرة محافظة، وكادت بغداد تسقط لولا دعم الامريكان والسماح لطائراته وصواريخه بالانقضاض على المدنيين النافرين.

دَوْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي بِنَاءِ الْكُتْلَةِ الصَّالِحَةِ

(٣)

في الجانب الثقافي

سماحة السيد محمد باقر الحكيم (العراق)

تأتي الثقافة في المرتبة الثالثة من الأهمية في بناء الكتلة الصالحة لأنها هي التي يمكنها أن ترسم المعالم الصحيحة للكتلة، وتمثل الخطوط التفصيلية للمضمون العقائدي والأخلاقي للجماعة الصالحة. كما يمكن لمؤسساتها ومناهجها وآثارها أن تحافظ على الجانب العقائدي والأخلاقي، حيث يصبح هذا الجانب جزءاً من الثقافة التي تلتزم بها الأمة. فالثقافة هي الحصن الحصين الذي يمكنه أن يحفظ للأمة والجماعة عقائدها وأخلاقيها، ويمدها بالروح المعنوية العالية، وبمسك جميع أطرافها، ويوحدها في مسارها ومواقفها وأهدافها. لأنها تفي بتفاصيل البناء الاجتماعي، وتمد جميع جوانبه وأبعاده بالتصورات والأطر التي يحتاجها سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التنظيمي أو الأمني، وعلى مستوى الشكل والمضمون والمحتوى.

ومن هنا نجد هذا الإمتاز الخاص لمدرسة أهل البيت عليهم السلام في الجانب

الثقافي، واعطائه الأهمية الخاصة في وجودهم وحركتهم، وكذلك في بناء الكتلة الصالحة والجماعة الايمانية.

فالإمام علي عليه السلام كان أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأقضاهم، وأعرفهم بالحلال والحرام ويتفسير القرآن، وكان باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله.

وكان على مستوى الممارسة أكثر الناس عطاءً في الجانب الثقافي والتربوي بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وأول من بادر لوضع المناهج وابتكار العلوم ذات البعد الثقافي، وهو المؤسس لجملة منها: كعلم الفقه والحديث والتفسير والنحو... وغيرها. وكان أتباع أهل البيت وشيعتهم المبادرون لتأسيس علوم الاسلام تبعاً لأئمتهم أو أخذاً عنهم^١. وعلى مستوى عمل الأئمة في الاهتمام بالجانب الثقافي لبناء الكتلة الصالحة والجماعة المؤمنة يمكن أن نلاحظ أنهم عملوا على خطين رئيسين:

الأول: المناهج الثقافية والتعليمية.

لا شك أن للمنهج الثقافي دوراً مهماً في ترسيخ الجانب الثقافي ونجاحه في الجماعة بحيث يكون قادراً على الوفاء بمتطلباتها وملء الفراغ في حاجاتها الثقافية. وقد اعتمد أهل البيت سلام الله عليهم في بناء الكتلة الصالحة والجماعة المؤمنة ثقافياً أربعة خطوط من المناهج الثقافية يكمل بعضها بعضاً:

الخط الأول: ويرتبط بالإطار العام للمناهج والقاعدة التي تركز عليها المناهج الثقافية - حرية الفكر والاجتهاد - وقد أشرنا إلى ذلك عندما تحدثنا عن الجانب الفكري والعقائدي. وكانت إحدى المميزات الأساسية التي امتاز بها الفقه الإمامي الإثنا عشري

(١) راجع كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، للسيد حسن الصدر. ومختصره: الشيعة وفنون الاسلام، ومؤلفو الشيعة في الاسلام، للسيد عبد الحسين شرف الدين.

عن فقه المذاهب الأخرى.

وفي هذا المجال يمكن أن نلاحظ أن الأئمة الأطهار كان لهم هدف واضح ومنهج صحيح تكوّنت على أساسه مدرستهم الثقافية، وتأطّرت به مؤسساتهم العلمية. وقد اعتمد هذا الإطار العام على الأسس التالية :

أولاً: أن يكون مصدر الثقافة الإنسانية سواء في فلسفة التاريخ والمجتمع أو في الفقه الإسلامي أو في الأخلاق أو علم العقائد أو فهم الكون والحياة أو الآداب واللغة، هو القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

ثانياً: مرجعية أهل البيت عليهم السلام في معرفة الإسلام ونظريته والشرعية الإسلامية، حيث واجه النص الإسلامي وكذلك التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية تأويلات وتفسيرات، وتعددت المواقف والاتجاهات تجاه ذلك. وبالرغم من أن أهل البيت عليهم السلام (هم ولادة الأمة وحكامها وخلفاء الرسول) في التصوّر المذهبي لأتباعهم. إلا أن هناك قضية أخرى في هذا المجال هي قضية المرجعية في الشؤون الدينية وفي فهم الإسلام والشرعية. ومنهج أهل البيت يعتمد على الحقيقة التي تقول بأنهم هم المرجع في فهم الإسلام، حتى لو صرفنا النظر عن الولاية والخلافة. وهذا ما يشير إليه «حديث الثقلين» الذي أشرنا إليه في الحديث السابق^١.

ثالثاً: استنباط مجموعة من القواعد الفقهية والاصول الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي يرجع إليها الفقيه والمجتهد لمواجهة الاحتمالات المستجدة، أو ملء منطقة الفراغ التي وضعها الشارع المقدس ليملاها الفقيه المجتهد والولي، حسب الظروف وطبق القواعد العامة والأحكام الكلية.

حيث أن الشريعة الإسلامية الخاتمة وضعت لكل عصر وزمان، فلا بد للفقهاء والمجتهدين أن يقوموا بدور استنباط الأحكام الشرعية الفرعية والتفصيلية لمواجهة

(١) راجع: وسائل الشيعة، أبواب صفات القاضي، باب : ٤، حديث : ١٤، ٣٤.

الظروف المستجدة، وطبق الأحكام الكلية العامة. كما عليهم أن يشخصوا الموقف والتكليف تجاه كل حدث وظرف.

رابعاً : الاهتمام بتعليم أتباعهم طريقة الاستنباط والاستفادة من النصوص الإسلامية (القرآن والسنة) والجمع بين هذه النصوص عند اختلافها، وإيجاد النسب والارتباط بينها، أو اختيار بعضها على أساس ضوابط وموازين خاصة.

ولذلك اهتم أهل البيت عليهم السلام بالتأكيد على أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمجمل والمبين، وكيفية التعامل معها وفهم بعضها على ضوء البعض الآخر. وكان هذا الأمر مما يفتخر به الامام علي عليه السلام على الصحابة.

وقد كان الهدف من وراء ذلك كله :

١ - إيجاد طبقة من المجتهدين القادرين على استنباط الحكم الشرعي من مصادره وينابيعه الأصلية، دون الاعتماد على «الرأي» كما صنع أصحاب اتجاه الرأي. ودون الوقوع في «الجمود» على النص الواحد كما صنع أهل الحديث دون إخضاعه للفهم الكامل من خلال النصوص الأخرى. حيث أن كلام الله تعالى «القرآن» والنبي صلى الله عليه وآله «السنة النبوية» والأئمة الأطهار عليهم السلام «الأحاديث» المروية عنهم عليهم السلام مجموعها كلام واحد يفسر بعضه بعضاً، شأنه شأن كلام المتحدث الذي لم ينقطع، بحيث يمكن أن يكون أوله أو وسطه أو آخره قرينة على بقية الكلام.

٢ - المحافظة على حيوية الشريعة الإسلامية وقدرتها على مواكبة الظروف والتطورات، دون الوقوع في أخطار التحريف والتزييف، أو الاستجداء من المذاهب الأخرى أو تأويلها، أو ضياعها بسبب الفوضى السياسية والثقافية التي مرّ بها العالم الإسلامي جرّاء الفتن والحوادث المؤلمة.

ولقد علمنا في الباب الأول أن أهل البيت عليهم السلام كان لهم فضل عظيم في حفظ

التراث الإسلامي والشرعية الإسلامية، كما كان لهم فضل في حفظ الأمة الإسلامية من الضياع والانحراف عندما خطّوا لها هذا المنهج، وسجلّوا هذه السابقة في تكوين هذا الإطار.

الخطّ الثاني : الحث على طلب العلم والشرعية بشكل خاص، بحيث أصبح واجباً شرعياً في مذهب أهل البيت، يتحمّل الإنسان مسؤولية الإخلال به. وقد وردت عنهم عليهم السلام أحاديث كثيرة في التأكيد على هذا الجانب، بحيث خصّص لها أصحاب كتب الحديث باباً مستقلاً منها :

روى الامام الرضا عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : طلب العلم فريضة على كل مسلم ... به يطاع الرب، وبه توصل الارحام، وبه يعرف الحلال والحرام، العلم إمام العمل والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء^١.

وعن الصادق عليه السلام : لو علم الناس ما في العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج^٢.

وعن زيد الزرّاد، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : قال أبو جعفر الباقر عليه السلام : يا بني اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الايمان، إني نظرت في كتاب لعلي عليه السلام فوجدت في الكتاب : أن قيمة كل امريء وقدره معرفته...^٣.

وعن الصادق عليه السلام : اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا، فإننا لا نعدّ الفقيه منهم فقيها حتى يكون محدّثاً، فقليل له : أو يكون المؤمن محدّثاً ؟

(٢) بحار الانوار ١ : ١٧٧.

(١) بحار الانوار ١ : ١٧١.

(٣) بحار الانوار ٢ : ١٨٤.

قال: يكون مفهوماً، والمفهوم محدث^١.

وفي هذا المجال لم يكتف أهل البيت بهذا الأمر العام بل رسموا خطوات لذلك :

١ - التأكيد على النهج العلمي في البحث، ودور العلم واليقين في المعرفة في مقابل اعتماد الظنون والأوهام في الحصول على المعرفة.

وقد ربط أهل البيت عليهم السلام العلم واليقين بالحكم الشرعي بالمصادر الصحيحة كما ذكرنا سابقاً. ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل أكدوا أن الاستفادة من هذه المصادر لا بد أن تكون وفق المنهج العلمي الذي يعتمد على الدرس والتعليم والأخذ من العلماء وهم أهل البيت. وبذلك أغلقوا الطريق أمام الاعتماد على الحدس أو الهوى أو الرأي وحتى الاستحسان والقياس والمصالح المرسلة وأمثالها. حيث أن الحقيقة الإلهية والأحكام الشرعية والمصالح والمفاسد المرتبطة بها، لا يمكن إدراكها إلا عن طريق الوحي والإلهام. كما هو حاصل بالنسبة إلى الأنبياء والصفوة المختارة من الناس. أو عن طريق التعلم والحفظ والكتابة والضبط والأخذ من العلماء الحقيقيين الذين هم أهل بيت الرسول الأئمة على الوحي الإلهي.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الناس ألوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ثلاثة، ألوا إلى عالم هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن غيره (ويقصد أهل البيت). وجاهل مدع للعلم لا علم له، معجب بما عنده، قد فتنه الدنيا وفتن غيره. ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة، ثم هلك من ادعى وخاب من افترى^٢.

وقال أبو جعفر عليه السلام: من أفتى بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه^٣.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عمل على غير علم، كان ما يفسد أكثر مما

(١) بحار الأنوار ٢: ٨٢

(٢) وسائل الشيعة ١٨: ٧. صفات القاضي، باب: ٣، حديث: ٤.

(٣) نفس المصدر. صفات القاضي، باب: ٤، حديث: ١٤، ١١، ١٠.

يصلح^١.

وعن أحدهم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما حَقَّ الله على خلقه ؟ قال : أن يقولوا ما يعلمون، وَيَكْفُرُوا عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ، فإذا فعلوا أَدَّوا إلى الله حَقَّهُ^٢.

٢ - رواية الحديث وحفظه وتدوينه فضلاً عن حفظ القرآن والتأمل فيه وفهمه. وقد سجل التاريخ في هذا المجال سابقة لأهل البيت وأتباعهم، حيث كانوا أول من دَوَّن الحديث واهتم بحفظه وتداوله. وذلك بعد أن واجهت السنة النبوية خطر الإنقراض بسبب الموقف السلبي تجاه تدوينها في صدر الإسلام من قبل الخليفة الثاني، الذي طرح عليه الفكرة فرفضها بادّعاء أن ذلك له تأثير سلبي على حفظ القرآن، وأنه يشغل الناس عن القرآن.

ولذلك نجد أصحاب الأئمة قد بلغوا درجة عالية في الفقه والمعرفة، بحيث أصبحوا متميزين على الناس بسبب هذا التوجيه^٣.

وعلى هذا الأساس نجد أن أصحاب الأئمة في عصر متقدم يعمدون إلى كتابة الأحاديث وتدوينها بحيث تتحوَّل إلى الأصول الأربعمئة المعروفة. ونجد إشارات إلى ذلك من بعض أصحاب الأئمة أمثال أبان بن تغلب، وعبيد الله بن علي الحلبي^٤.

ونجد الأئمة يمجِّدون أولئك الرجال الذين تحمَّلوا هذه المسؤولية الكبيرة في بداية الطريق أمثال : بريد بن معاوية العجلي، وأبي بصير ليث الراوي، ومحمد بن مسلم، ووزارة^٥.

٣ - بذل الحديث وتعليمه : فإنه بمقدار ما يكون الحديث وكتابته مهماً، كذلك نجد التأكيد على بذل الحديث وتعليمه. بحيث يصبح موازياً في درجة الأهمية لذلك. وبهذا

(١) وسائل الشيعة ١٨.

(٢) نفس المصدر ١٨ : ب : ٤، ح : ١١. وراجع صفات القاضي ب : ٨، حول حرمة القياس والظنون ح : ١٧، ٢٠.

(٣) نفس المصدر، صفات القاضي ب : ٨، ح : ٣٥.

٢١.

(٤) نفس المصدر، صفات القاضي ب : ٨، ح : ٨٠، ٨١ (٥) نفس المصدر، ب : ٨، ح : ١٤، ١٦، ٢١.

تمكن أهل البيت أن يخطوا الطريق لجعل العلم ميسراً وسهلاً في أوساط هذه الجماعة الصالحة بالرغم من الظروف الصعبة السياسية والحياتية. حيث كان اتباعهم يواجهون عمليات المطاردة والحصار الاقتصادي والثقافي^١.

وهذا المنهج هو الذي يفسّر لنا استمرار الزخم الثقافي، وبقاء مركز العلم والثقافة، بالرغم من الظروف الصعبة التي أشرنا إليها. وكذلك مجانية التعليم في مدارس أهل البيت عليهم السلام العلمية الذي يعتبر أحد المعالم والميزات الواضحة التي تتصف بها هذه المدارس والتي تمكنت فيها من الثبات أمام جميع الضغوط والمشكلات.

ففي الوقت الذي كانت الدولة تدعم بقوة وبإمكانات واسعة المدارس الرسمية للمذاهب الإسلامية الأخرى، كانت تطارد مدارس أتباع أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن عدم إمدادها بأي إمكانات ومساعدات. ومع ذلك استمرت هذه المدارس بوتيرة عالية، وفاقت في بعض الأحيان المدارس الأخرى التي كانت تتعرض للانهايار والضمور عند انقطاع المساعدات عنها.

وكان أحد الأسباب المهمة وراء ذلك هو أسلوب مجانية التعليم، واعتماد القرية إلى الله تعالى في التدريس. ولا زال ذلك هو الطابع العام لهذه المدارس، وطريقة التعامل مع مجمل العمل الثقافي في هذه الأوساط سواء على مستوى التدريس أو التبليغ أو تعليم الحكم الشرعي، أو التأليف للكتب، أو غير ذلك من القضايا الثقافية.

الخط الثالث: التنوع في أساليب التثقيف والتعليم. فبالإضافة إلى أساليب الخطابة والسماع والشعر المعروفة في الصدر الأول للإسلام، نجد الأئمة عليهم السلام يهتمون بأساليب أخرى لم تكن معروفة على مستوى التثقيف العام، بل كانت موجودة على شكل ممارسات فردية أو سلوكية خاصة.

ومن هذه الأساليب: الدعاء، والوصية، والرسائل والبيانات. بالإضافة إلى أسلوب

الزيارة والمجالس الحسينية. وقد تحوّل الدعاء إلى مدرسة كاملة لثقافة أهل البيت عليهم السلام تدرس فيه العقائد والأخلاق والمفاهيم الإسلامية والاجتماعية والعلاقات الإنسانية، والأدب العالي، بالإضافة إلى التزكية والتربية العالية.

وقد استفاد من هذا الأسلوب الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام إلى حد بعيد، وكان نتاجه في هذا المجال واسعاً ومتميزاً. بسبب أن هذا الأسلوب كان أنجع الأساليب في معالجة التدهور الثقافي والأخلاقي في المجتمع من ناحية، وفي التغلب على الظروف السياسية الصعبة التي كان يواجهها بعد استشهاد أبيه الحسين عليه السلام والحصار الذي ضربه الأمويون عليه من ناحية أخرى^١.

كما أن الوصية ذات الأبعاد الشاملة التي بدأها رسول الله صلى الله عليه وآله في وصاياه السياسية الثقافية التربوية لعلّي عليه السلام ثم استمر عليها الامام علي عليه السلام لولده الامام الحسن عليه السلام ولأولاده الآخرين، وأصبحت منهجاً لأئمة أهل البيت. بحيث يمكن أن نجمع كتاباً كاملاً لوصاياهم التي تشتمل على مختلف المعالم الثقافية^٢.

وهكذا يمكن أن نلاحظ الأمر في الرسائل والبيانات ذات الطابع التوجيهي التعليمي التي يتضمنها نهج البلاغة لخطب ورسائل الامام علي عليه السلام وكذلك في الرسائل التي يبعثها الأئمة كالامام الصادق عليه السلام لشييعته والتي كانت تتضمن مثل هذا التوجه الثقافي^٣.

(١) وصية النبي صلى الله عليه وآله لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، (تحف العقول : ١٣). ووصية أمير المؤمنين إلى ولده الحسن عليهما السلام، (تحف العقول : ٥٢) و(نهج البلاغة : ٣ : ٤٢). والصحيفة السجادية للامام زين العابدين عليه السلام.

(٢) من ذلك وصية الامام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي، (تحف العقول : ٢٠٦). ووصية الامام الصادق عليه السلام لأبي جعفر محمد بن النعمان، (تحف العقول : ٢٢٧). ووصية الامام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم، (تحف العقول : ٢٨٣).

(٣) رسالة الامام الصادق عليه السلام إلى شييعته، (الكافي : ٨ : ٣٩٧). ورسالة الامام الباقر عليه السلام إلى جماعة الشيعة وأصحابه، (الكافي : ٨ : ٢٣٠). ورسالة الامام علي الهادي في الرد على أهل الجبر والتفويض، (تحف العقول : ٣٣٨). وآداب الامام أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه، وهي أربعمائة باب، (تحف العقول : ٧٢ - ٨٩).

الخط الرابع: الثقافة المتنوعة والتخصص العلمي، حيث اهتم أهل البيت سلام الله عليهم في مجال المناهج الثقافية والتعليمية بتنوع الثقافة والتخصص العلمي، الذي لا بد لأتباعهم من أن يحصلوا عليه، في مختلف المجالات الانسانية والطبيعية.

ولم يكتفوا بمجرد التعددية والتنوع في المعلومات الثقافية، بل حثوا أتباعهم على فكرة الإختصاص بحيث يتمكنون من الوصول الى المستوى العالي في مختلف القضايا الثقافية، فإن أهل البيت كانوا قد أدركوا منذ البداية أهمية التوسع في مجالات العلوم الانسانية والطبيعية، وما سوف يشهده العالم الإسلامي من آفاق المعرفة، أو يواجهه من الصراعات الفكرية والانحرافات العقائدية كما حصل من قبل بتيارات الإلحاد والزندقة والغلو والتعصب وأتباع الرأي والهرى والاختلاط بالحضارات اليونانية والهندية والفارسية والبيزنطية.

ولذلك نجد المختصين في هذه العلوم ليس في العصور المتأخرة من التاريخ الاسلامي حيث تشعبت الأمور الثقافية واتسعت، بل نشاهد هذا النوع من التفكير في بداية القرن الثاني الهجري وبتوجيه خاص من الأئمة أنفسهم، حيث نشاهد مختصين بعلم الكلام مثل هشام بن الحكم، وفي الإفتاء مثل زرار بن أعين ومحمد بن مسلم، وفي القرآن مثل أبان بن تغلب، وفي التأريخ مثل أبان الأحمر البجلي، وسليم بن قيس، ولوط بن يحيى، وفي العلوم الطبيعية مثل جابر بن حيان الذي علّمه الامام جعفر الصادق عليه السلام علم الفيزياء والكيمياء، وكان واضع أسس هذا العلم، والمفضل بن عمر، وغيرهم من كبار العلماء المختصين.

إن هذه الشمولية من ناحية، والاختصاص من ناحية أخرى، كانت منهجاً في البناء الثقافي لهذه الكتلة من أجل مواجهة المتطلبات وملء الفراغات وسد الحاجات التي تحتاجها الجماعة من ناحية، وإعطاء الجماعة استقلاليتها في البناء والحركة والاعتماد على الذات من ناحية أخرى. ومن أجل أن تأخذ موقعها الطبيعي من الأمة الإسلامية

كجماعة رائدة تتحمل مهمتها في حفظ الاسلام والدفاع عنه من ناحية ثالثة.
ولا يعني هذا التخصص - بطبيعة الحال - الانصراف عن تعلّم بقية العلوم الأخرى، بل
كانوا يتناولونها بالبحث والمعرفة إلى جانب الاهتمام الأكبر بأحد العلوم والموضوعات،
لتصبح الحركة الثقافية ذات طبيعة شمولية تتسم بالعمق والقوة.

«يتبع»

عَلَى سِرِّ الْحَقِّ وَلَا تَحْجُزْ عَنِ الْحَقِّ

وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ

النبي محمد (ص) تأييد بفكر ١٤ / ٣٢١

مِنْ فَقَوْمَهُمْ سِوَاهِلِ الْبَيْتِ ۝

أحكام الحرب والأمن

في الإسلام

بين الرحمة والمصلحة

(١)

أحكام الحرب في الإسلام

مقدمة

سماحة الشيخ محمد علي التسخيري

الإسلام دين واقعي، بالمعنى الإيجابي للواقعية، ذلك إنها قد تعني التسليم الكامل للواقع، والرضوخ لمقتضياته دونما فاعلية، وهذا معنى سلبي.

وقد تعني الاعتراف بالواقع، وأخذه بعين الاعتبار، مع الطموح للارتفاع به إلى المثل الأعلى، وهو ما كنا نعنيه عندما أطلقنا هذه الصفة على الإسلام.

بل يمكننا أن ندعي - بكل اطمئنان - أن هذه الصفة هي أعم الصفات التي يتصف بها الإسلام. وربما كانت باقي الصفات مظاهر لها: كالشمولية والإيجابية، والخلود، والمرونة، والترابط، وغير ذلك.

بل هي تعبير آخر عن فطرية الإسلام؛ بمعنى أنه جاء منسجماً - تماماً - مع إمكانات الفطرة وأهدافها، عاملاً على إثارة دوافعها وطاقتها، وهدايتها - على أفضل سبيل - لأفضل الأهداف الممكنة.

ولسنا نحاول - هنا - شرح أبعاد هذه الصفة، بقدر ما نريد أن ننفذ - من خلالها - إلى تجلّي هذه الصفة، في التخطيط التشريعي الإسلامي للحياة. فأنت تجد هذه الصفة في كلّ نظام، سواء في المجال الحقوقي، أو الإقتصادي أو المجال السياسي، أو المجال

المعرفي، أو أيّ مجال آخر.

ومن مظاهر الواقعيّة والمرونة الإسلامية؛ أنها عالجت الجانب المتأثر بمُتغيّرات الحياة علاجاً مرناً إلى حدّ كبير^(١).

ونحن نعتبر أنّ كل الموارد التي يتمّ تسليم الأمر فيها إلى (وليّ الأمر الشرعي) إنّما هي من هذا القبيل. فعندما يتمّ إيكال أمر تنظيم التوازن الإقتصادي إلى وليّ الأمر، وعندما يتمّ إيكال بعض العقوبات إلى ولاة الأمور، وعندما يوكل أمر المباحات - عموماً - إلى وليّ الأمر لينطلق فيها من منطلق المصالح الإسلاميّة العليا؛ فإنّ ذلك يقوم - أساساً - على هذا المبنى الواقعيّ.

وإذا أردنا أن نركّز على مثال هو من صميم موضوعنا، أمكننا ملاحظة موضوع «الرقّ وموقف الإسلام منه» لنكتشف هذه المرونة وضرورتها، بشكل واضح، وسنجد في هذا أنّ الإسلام راعى التوازن المطلوب بين «الرحمة» وهي النزعة الإنسانيّة الاصيليّة، و«المصلحة» وهي ما يحقّق المثل التي يطمح إليها الإسلام، ويحافظ على عنصر تحقيقها، من قبيل السلطة الإسلاميّة، ووجود الأمة الإسلاميّة، وهيبة القانون الإسلامي.

الموقف من قضية الرق

كان الإستعباد سُنّة عالمية تعمل بها البشريّة كلّها، وتقرّها كلّ المباديء والاديان السائدة، بما فيها المسيحيّة واليهوديّة.

وكان العبيد يشكّلون العصب الحساس للمجتمع، وطبقة لها نفوذ لا بأس به في المجالات الحيويّة، وكانت الطرق التي يتكوّن منها أفراد هذه الطبقة كثيرة، أهمّها ما يلي:

(١) ومن الجدير بالذكر أنّنا نفرّق - تماماً - بين المرونة والميوعة، فإنّ هذه - أي الميوعة - تعني تقريباً عدم وجود أيّ نظام يوضح المعالم. في حين أنّ المرونة تعني وجود نظم مركزيّة وأضواء هادية. إلّا أنّ هذه النظم لها القابليّة المناسبة على الامتداد والتقلّص، بمقتضى مقتضيات الواقع والمثل التي يجب أن يسمو إليها.

مِنْ فِقْهِ مَدَنِيَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

- ١ - إسترقاق العدوِّ المحارب ومن ثمَّ الأولاد.
 - ٢ - إسترقاق الوليِّ الظالم لمن هم تحت ولايته، ومثله إسترقاق كلِّ متغلبٍ على مَنْ هم تحت سيطرته.
 - ٣ - تبعيّة الطفل للأمِّ الرقيقة ولو كان الأب حراً.
 - ٤ - الهروب من الجيش والإمتناع عن دفع الضرائب.
 - ٥ - الأشخاص الذين يعملون ضدَّ الدولة، ويهربون إلى دولة أخرى فتسلّمهم لدولهم.
 - ٦ - ارتكاب جرائم القتل .
 - ٧ - الغش في المعاملة.
 - ٨ - الفقر الذي يدعو الإنسان لبيع نفسه.
- هذه بعض أسباب الرق.

وجاء الإسلام، ونظر إلى الأمر نظرة واقعية، غير متسرّعة، وأستهدف أن يحقّق الحرية ويلغي نظام الرق - كما يبدو من تصرّفاته - طبعاً مع عدم الإخلال بالنظام الإجتماعي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعبيد - أولاً - وعدم الإخلال بالقانون العسكري الذي كان يقوم على إسترقاق الطرف الآخر - ثانياً - وهكذا نظر للأمر نظرة واقعية.

أما الأمور التي اتّبعها الإسلام من أجل المعالجة الواقعيّة لهذه الظاهرة فهي :

أولاً: انفتاح طريق التكامل المعنوي للجميع على حدّ سواء

وهذه فكرة إسلاميّة واضحة، وصّحتها الآية القرآنية الشريفة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^١.

فالتقوى هي تقدير السموّ والمنزلة في الإسلام، والعمل الصالح يؤثّر في رفع درجات الإنسان، أيّاً كان لونه ومقامه وجنسه :

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^١.

وقد رأينا أَنَّ المجتمع الاسلامي قدّر أشخاصاً كانوا عبيداً وجعلهم قادة، وأقتدى بالكثير من سلوكهم وحكمهم. ويتعبّر مختصر، فقد أمارت الإسلام تلك النظرة السخيفة إلى العبد كمخلوق حقير، وكحيوان لا أكثر، بعد أن كانت شائعة بين الناس، وركّز على أن لا فَضْلَ لأبيضكم على أسودكم، كما لا فَضْلَ لعربي على أعجمي.
ثانياً: الدعوة إلى جعل الخَوْل كالإخوان، والمعاملة الحسنة

فقد ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلَهُ قَوْلُهُ :

((إخوانكم خولكم))^٢.

وهو تعبير جميل عن الإخوة الإسلامية، وأسلوب المعاملة التي يجب أن يتبعها الناس تجاه العبيد، ولا يترفعوا عليهم، وقد جاءت بعض الروايات التي تبين حسن الاستيحاء من العبد، وإنَّ المال المعطى - في قبال ذلك - يجب أن يبقى في ملكه.

ففي الخبر عن الصادق عليه السلام كما رواه الصدوق عن إسحق بن عمار :

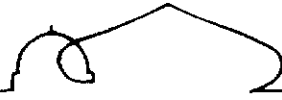
قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما تقول في رجل يهب لعبد ألف درهم أو أقل أو أكثر، فيقول : حلّني من ضربتي إياك ومن كلّ ما كان مني إليك.....ثمَّ إنّ المولى بعدُ أصاب الدراهم التي أعطاه في موضع قد وضعها فيه العبد فأخذها المولى، أحلال هي ؟ فقال عليه السلام : لا، فقلت له : أليس العبد وماله لمولاه ؟ فقال عليه السلام : ليس هذا ذاك، ثمَّ قال عليه السلام : «قل له فليردّها عليه، فإنّه لا يحلّ له، فإنّه افتدئ بها نفسه من العبد مخافة العقوبة والقصاص يوم القيامة»^٣.

والكتب التاريخية طافحة بما كان يعامل به القادة عبيدهم. فقد روى الكليني في «الكافي» عن رجل من أهل بلخ قال : كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا

(٢) نهج الفصاحة : ٢٠، ح ١١٣.

(١) الزلزلة : ٧.

(٣) وسائل الشيعة ١٣ : ٣٥ - ٣٦.



مِنْ فِقْهِ مَدِينَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت له : جعلت فداك، لو عزلت لهؤلاء مائدة، فقال : «مه، إنّ الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والاب واحد، والجزاء بالأعمال»^١.

وقال نادر الخادم : كان أبو الحسن عليه السلام إذا أكل أحدنا لا يستخدمه حتّى يفرغ من طعامه^٢.

ثالثاً : إغلاق كلّ المنافذ إلّا منفذ الحرب بشروط معيّنة

فقد رأينا أنّ العبيد كانوا يكثرّون عن طرق عديدة، ولكنّ الإسلام أغلق كل الطرق إلّا طريق الحرب، فالأسير في الغنيمة يقبل تطبيق أحد الأحكام التالية عليه : إمّا العفو، وإمّا الإطلاق بفدية، وإمّا الإسترقاق، ولا معنى للاعتراض على الإسترقاق إذا عرفنا الحقائق التالية :

١- إنّ وليّ الامر مسؤول عن تطبيق أفضل الحالات على الأسير، وأرفقها بالمصلحة العامة، كما صرّح بذلك الفاضل الهندي والشهيد الثاني^٣ وغيرهما.

٢- إنّ الحرب في سبيل حمل الدعوة إلى بلاد الكفر لم يسمح بها الإسلام سماحاً عاماً، وإنّما سمح بها في ظرف وجود قائد عادل، واشترط البعض العصمة^٤.

٣- إنّ العدو - آنذاك - كان يتّبع هذه الطريقة نفسها مع المسلمين، فلا اعتراض أو نقد في معاملته بالمثل.

٤- إنّ البديل عن الإسترقاق - في حالة لزومه - ليس إلّا القتل أو السجن. والأوّل لا تتصوّر من يفضّله على حياة الرق على الشكل الاسلامي، كما لا تتصور أنّ الإسلام يهدر دم الإنسان هكذا بمجرد وجود بارقة من الأمل في نجاته.

أمّا السجن فيعني إهدار الكثير من الطاقات التي يتمتّع بها الأسرى، بل وصرف الكثير

(٢) نفس المصدر ٤٩ : ١٠٢.

(١) بحار الأنوار ٤٩ : ١٠١.

(٣) الفاضل الهندي صاحب كتاب كشف اللثام والشهيد الثاني محمّد بن مكّي العاملي صاحب الشرح على

(٤) اقتصادنا : ٢٧٥ - ٢٧٦.

اللمعة الدمشقيّة.

من الأموال في سبيل الحفاظ على مثل هذه الطاقات المهدورة.
أما والمجتمع حاضر لأن يتكفل بهذه المهمة فإن الإسترقاق سيقضي هو الطريقة
الأنجح في علاج هؤلاء، لضمان مراقبتهم أولاً، وللإستفادة من طاقاتهم الإجتماعية ثانياً،
ولكي يختلطوا مع المجتمع المسلم، فيتشبعوا شيئاً فشيئاً بالتعاليم الإسلامية، مما يمهد
لهم طريق الهداية، وعلى أي حال فقد كانت هناك ضرورة لهذا المنيع ولذلك المقدار من
العييد.

رابعاً: التصريف الواسع للعييد والتحرير السريع لهم
وفي قبال هذا الباب فتح الإسلام الأبواب على مصراعيها للتحرير:
التحرير المستحب

وقد جعل الإسلام هذا من أعظم المستحبات، فتحرير رقبة يعني رفعاً للعقبة في
طريق الجنة. وما أكثر الروايات الواردة في هذا السبيل، ونحن نذكر بعضها:
قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(مَنْ أَعْتَقَ مُسْلِمًا أَعْتَقَ اللَّهُ الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ)^١.
وفي الخبر الصحيح الذي رواه الشيخ عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال في الرجل
يعتق المملوك:

(يعتق الله عز وجل بكلّ عضو منه عضواً من النار)^٢.
وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام:
(ولقد أعتق علي عليه السلام ألف مملوك لوجه الله عز وجل دبرت فيهم يده)^٣.
والأخبار كثيرة في شراء العبيد وإعتاقهم.
وقد جعلت بعض الروايات، لتأكيد استحباب العتق، أوقاتاً خاصة.

مِنْ فِقْهِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

ففي الخبر الصحيح عن الصادق عليه السلام :

(يَسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ عَرَفَةَ بِالْعَتَقِ وَالصَّدَقَةِ) ^١.

كما يَسْتَحَبُّ عَتَقُ الْعَبْدِ إِنْ خَدَمَ سَبْعَ سَنِينَ، وَيَسْتَحَبُّ إِعْطَاؤُهُ مَا يَكْتَسِبُ بِهِ ^٢.

التحرير الواجب

فلم يكتف الإسلام بالدعوة إلى تحرير العبيد، وخصوصاً الذين اعتنقوا المبدأ

الإسلامي، وأصبحوا من المؤمنين.

فقد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ :

(مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً كَانَ لَهُ بِكُلِّ عَضْوٍ فَكَأَكَ عَضْوٌ مِنْهُ مِنَ النَّارِ) ^٣.

لم يكتف الإسلام بذلك، بل أدخل ذلك في صميم النظام، كواجب يترتب على الإنسان أن يقوم به في ظروف خاصة. وهذه بعض المنافذ التي فتحتها الإسلام للتحرير، وهي :

١ - عتق الكفارة : فقد ورد لزوم تحرير العبد في الموارد التالية : الظهار، والإيلاء «أي الحلف على عدم وطء الزوجة الدائمة أبداً، أو أكثر من أربعة أشهر»، والافطار، وخلف النذر، والعهد، واليمين، والجزع المحرّم في المصاب، والقتل.

٢ - عتق الممرض : لحالات الإقعاد، العمى، والجذام. قال الصادق عليه السلام : «إذا عمي المملوك فقد عتق» ^٤.

٣ - عتق الاستيلاد : فَإِنْ أُمُّ الْوَلَدِ تَتَحَرَّرُ بِمَوْتِ الْمَوْلَى وَلَا يَجُوزُ لَهُ بَيْعُهَا.

٤ - عتق السراية : فلو عتق بعضه سرى العتق إلى الكل.

٥ - إسلام المملوك في دار الحرب قبل مولاه.

٦ - عتق التنكيل.

(٢) المصدر : ٣٦.

(٤) الكافي : ٦ : ١٨٩.

(١) وسائل الشيعة ١٦ : ٥.

(٣) المصدر : ٤.

٧ - العتق لتملّك الذكر أحد العمودين أو المحارم من النساء.

٨ - العتق لتملّك الأنثى أحد العمودين.

٩ - تبعية أشرف الأبوين.

١٠ - عتق التدبير : وهو تعليق عتق بعض عبده أو كلّه بوفاته.

١١ - عتق المكاتبه المشروطة والمطلقة.

١٢ - وهناك قوانين أخرى لشراء العبيد وإعتاقهم، فالزكاة يُشترى بها الأرقاء، وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿وفي الرقاب﴾^١ ، وغير ذلك.

التوازن بين الرحمة والمصلحة

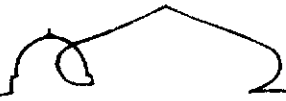
الإسلام دين التوازن الحكيم^٢ ، في مختلف المجالات، ولكننا نستطيع القول - كما أسلفنا - بأن التوازن بين «الواقع» و«المثال» هو من أشملها جميعاً.

و«الواقع» في موضوعنا يتمثل في توفير كلّ المظاهر الإنسانية، والحقوق البشرية، من «الكرامة، والحرية، والحياة المستقلة» ، لا بل يتجاوز ذلك إلى مجالات الايثار واللطف العميم. إلّا أنّ «المثال» - هنا - يتطلب تحقيق المصلحة الإسلامية العليا، لكي نضمن للمنطلق الاسلامي وجوده القوي المتكامل الفاعل، على طريق تغيير الحياة الإنسانية كلّها إلى حياة عابدة، مخلصه، تعبد ربّها لا تشرك به شيئاً، أمانة مطمئنة. ويعني ذلك أن تقتلع كلّ الاشواك، وتحذف كلّ العقبات، وتصادر كل الموانع التي تقف عثرة أمام تحقّق هذا الهدف الكبير.

وأين يتمّ التعارض بين هذا الواقع، الذي نعبّر عنه فيما يلي بـ«الرحمة»، وهذا المثال الذي نعبّر عنه بـ«المصلحة» ؟

(١) البقرة : ١٧٧.

(٢) راجع كتاب (التوازن في الإسلام) للمؤلف، لملاحظة معنى التوازن، وضرورة قيد الحكمة فيه.



مِنْ فِقْهِ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

إنه يتمّ عندما يدفع الجهل، والتعصّب، والطاغوت؛ أناساً لمحاربة النبتة الاسلاميّة والمسيرة الصاعدة للقضاء عليها، ومصادرة الأمل الكبير، ربما دون وعي لما يفعلون، ويحذق الخطر بالوجود، وبالتالي يحذق الخطر بالمثال كلّ، أمام واقع مرير، جاهل طاغ، فماذا العمل ؟

هنا ندّعي أنّ الإسلام - رغم اهتمامه الكبير بـ «المصلحة» - لم ينس مطلقاً الواقع الإنساني، والحقوق البشريّة «الرحمة»، وإنّما حاول - بكل ما في وسعه - أن يحقّق التوازن بينهما، وإن كان الأهم هو المقدم بلا ريب، وهذا هو حكم المنطق والوجدان.

والآن :

لنعد إلى أحكام الحرب والأسرى لنجد تطبيق هذا التوازن.. التطبيق الذي لم تشهد البشريّة له سابقة، حتّى أنّها لم تستطع أن تصل إليه في عصورنا الحاضرة التي تدّعي التمدّن.

وهذا ما يمكن أن نلاحظه في كثير من أحكامه ونصوصه، ونحن نقتطف منها ما يلي كأمثلة فقط على ما نقول :

١ - التعليمات الحربية المسبقة

فقد كانت عادة الرسول صلّى الله عليه وآله والقادة المسلمين أنهم إذا بعثوا سرّيّة أو كتيبة حربيّة خصّوها بالتعليمات اللازمة. فرسول الله صلّى الله عليه وآله كان إذا بعث سرّيّة دعا أميرها فأجلسه إلى جنبه، وأجلس أصحابه بين يديه ثمّ قال :

«سيروا باسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، لا تغلّوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبيّاً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جائر حتّى يسمع

كلام الله، فَإِنْ تَبِعْكُمْ فَأَخُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَإِنْ أَبَى فَأَبْلُغُوهُ مَا مِنْهُ، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ عَلَيْهِ»^١.

وكان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يوصي أصحابه إذا صافوا العدو قائلاً:

«عِبَادَ اللَّهِ! اتَّقُوا اللَّهَ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ، وَاخْفَضُوا الْأَصْوَاتَ، وَأَقْلَوْا الْكَلَامَ، وَوَسَّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمَنَازِلَةِ وَالْمَجَاوِلَةِ، وَالْمُبَارَزَةِ وَالْمُنَابَذَةِ، وَالْمَعَانِقَةِ وَالْمَكَارِمَةِ، وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ، وَادْكُرُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، وَتَسْعَى بِكُمْ إِلَى الْخَيْرِ؛ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةَ الذَّنْبِ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوعِينَ﴾ فَسَوِّوْا صُفُوفَكُمْ كَالْبَنِيَانِ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخَّرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيْفِ، وَالتَّوَوَّا عَلَى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ لِلْأَسْتَةِ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ، فَإِنَّهُ أَرْيَطُ لِلْجَاشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ؛ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِشْلِ وَأَوْلَى بِالْوَقَارِ، وَلَا تَمِيلُوا بِرَأْيَاتِكُمْ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا مَعَ شُجْعَانِكُمْ، وَلَا تَمْثَلُوا بِقَتِيلٍ، وَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِجَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتَكُوا سِتْرَهُمْ، وَلَا تَكْشِفُوا حُورَهُ، وَلَا تَدْخُلُوا دَارَهُ، وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ، وَلَا تَهَيِّجُوا أُمَّرَأَةً بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَّحَ أُمَّرَأَتَكُمْ وَصَلَحَاءَكُمْ، فَإِنَّهُمْ ضِعَافُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ.

رَحِمَ اللَّهُ أُمَّرَأَةً وَاسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُلْ قَرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قَرْنُهُ وَقَرْنُ أَخِيهِ، فَيَكْتَسِبَ بِذَلِكَ اللَّاتِمَةَ، وَيَأْتِيَ بِدَنَاءَةٍ...»^٢.

٢- الدعوة والتوعية أولاً، وعدم الهجوم المباغت دونما تثبّت

- كان النبي صلّى الله عليه وآله يأمر بانتظار المجموعات التي يحاربها، فإذا سمع الأذان منها امتنع، وإلا حمل عليها.

(١) انظر تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ : ١٣٩. والكافي للكليني ٥ : ٢٧. ومحاسن البرقي : ٤٥٥. وكنتز العمال ٤ : ٢٣٣ - ٣٠٤. والكافي لأبي الصلاح : ٣٦. ونيل الأوطار للشوكاني ٨ : ٧٢ - ٧٤.

(٢) الكافي في الفقه لأبي الصلاح الحلبي، فصل في سيرة الجهاد. والآية من سورة الصف : ٤.

مِنْ فِقْهِهِمْ سَلَامٌ أَهْلَ الْبَيْتِ (ع)

وكان يحمل عند صلاة الصبح، ليعرف هل يصلونها أم لا، وإذا حاصر انتظر حتى الصباح^١.

- وقال علي عليه السلام :

بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فقال : « يا علي ! لا تقاتلنَّ أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله، لئن يهدي الله عز وجل على يدك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي^٢ ».

- وقد روي أنَّ علياً عليه السلام كان يقول في كل موطن يتم فيه لقاء العدو :

« لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فإنكم - بحمد الله - على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم، فإذا هزمتهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل^٣ ».

هذا وقد تضافرت الروايات التي تؤكد هذه الحقيقة^٤. وقد جيء لرسول الله صلى الله عليه وآله ببعض الأسرى، وعلم أنهم أسروا قبل الدعوة فأمر بإطلاق سراحهم^٥.

كما أنَّ كتب الفقه كلها - تقريباً - تشير إلى ضرورة الدعوة والتوعية والإنتظار حتى تتم الحجة، نذكر مثلاً :

- قول الحلبي في «الكافي» : ولا تبدأ العدو بالحرب بعد الاعذار، حتى يكونوا هم الذين يبدأون به، لتحقق الحجة، ويتقلدوا البغي^٦.

ويقول الشيخ الطوسي في «النهاية» : ولا يجوز قتال أحد من الكفار، إلا بعد دعائهم إلى الإسلام، وإظهار الشهادتين، والإقرار بالتوحيد والعدل، والتزام جميع شرائع

(١) سنن الدارمي ٢ : ٢١٧. والسنن الكبرى ٩ : ١٠٨. ونيل الأوطار ٨ : ٦٩.

(٢) وسائل الشيعة ١١ : ٣٠. (٣) المصدر : ٦٩.

(٤) إراجع مثلاً : مصابيح السنة ٢ : ١٤٩. ومسنَد ابن أبي شيبه ١٤ : ٢٦٤. والسنن الكبرى ٨ : ١٧٩.

(٥) البداية والنهاية ٤ : ٣١٥. وكنز العمال ٤ : ٢٧١. (٦) البنابيع الفقهية نقلاً عنه : ٣٦.

الإسلام، فمتى دُعوا إلى ذلك فلم يجيبوا حلّ قتالهم، ومتى لم يُدعوا لم يجز قتالهم، والداعي يجب أن يكون الإمام أو مَنْ يأمره الإمام^١.

ويقول الصهرشتي في «اصباح الشريعة»: وكيفيته: أن يؤخّر لقاء العدو، إلى أن تزول الشمس وتُصلّى الصلاتان، وأن يقدّم قبل الحرب الاعذار والإنذار، والاجتهاد في الدعاء إلى الحق، وأن يمسك عن الحرب - بعد ذلك - حتّى يبدأ بها العدو، لتحقّ الحجة عليه ويتقلّد بذلك البغي^٢.

ويقول القاضي الطرابلسي في «المهذب»: ومنّ لم تبلغه الدعوة فلا يجوز له قتاله، إلّا بعد الإنذار والتعريف بما تتضمنه الدعوة^٣.

ويقول الراوندي في «فقه القرآن»: وإذا قُتل البغاة فلا يثبتدؤون بالقتال، إلّا بعد أن يُدعوا إلى ما ينكرون من أركان الإسلام^٤.

ويقول حمزة بن عليّ الحلبي في «غنية النزوع»: وأن يقدّم قبل الحرب الاعذار والإنذار والاجتهاد في الدعاء إلى الحق^٥.

ولا نستطيع أن نستقصي الآراء، فالإجماع قائم على ذلك، وهي صفة حميدة تجعل الطرفين على بينة، وتتمّ الحجة والمنطقية في البين، وعلى هذا الأساس منعوا من التبييت «وهو الهجوم ليلاً» لما فيه من فزع.

٣- وسائل الحرب وأساليبها

ويختار من بين هذه الوسائل والأساليب ما يحقّق الغرض، ويتجنب إصابة الأبرياء والضعفاء - مهما أمكن -.

فقد جاء المنع عن استعمال المواد الكيميائية السامة، إلى حدّ يتصوّر معه المرء أنّها

(١) البنابيع الفقهية: ٥١.

(٢) المصدر: ٧١.

(٣) المصدر: ٩١.

(٤) المصدر: ١٣٤.

(٥) المصدر: ١٥٩.

ممنوعة مطلقاً، أي حتّى في حالات الإضطراب، وحينئذ إذا أضيف لها معاهدات دوليّة تمنع منها على أي حال فإنّ المنع سوف يكون أشدّ وأقوى.

- عن الصادق عن الباقر عن عليّ عليهم السلام : «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَى أَنْ يُلْقَى السَّمُّ فِي بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ»^١.

وهكذا نهى الفقهاء عن اللجوء إلى وسائل من قبيل : الغارة، وفتح الماء لإغراق العدو، ما دامت هناك وسائل أخرى.

يقول الشيخ الطوسي في «النهاية» : ويجوز قتال الكفار بسائر أنواع القتل وأسبابه، إلّا السّم؛ فإنّه لا يجوز أن يلقي في بلادهم السّم، ومتى استعصى على المسلمين موضع منهم كان لهم أن يرموهم بالمنجنيق والنيران، وغير ذلك مما يكون فيه فتح لهم^٢.

ويقول ابن أبي المجد الحلبي في «إشارة السبق» : وكلّما يرجى به الفتح يجوز قتال الاعداء به، إلّا إلقاء السّم في ديارهم^٣.

ويقول ابن ادريس في «السرائر» : ويجوز قتال الكفار بسائر أنواع القتل، إلّا تفريق المساكن، ورميهم بالنيران، وإلقاء السّم في بلادهم؛ فإنّه لا يجوز أن يلقي في بلادهم السّم^٤.

والنصوص في هذا الباب كثيرة.

وربّما منعوا - على هذا الأساس - من التبييت، وهو الغارة الليلية :

يقول ابن البرّاج : وإذا كان المسلمون مستظهرين على المشركين كره تبييتهم ليلاً والإغارة عليهم^٥.

ويقول ابن ادريس في «السرائر» : وروى أصحابنا كراهية تبييت العدو حتّى يصبح^٦.

(١) جامع الأحاديث ٣ : ١٥٣، نقلاً عن الكافي. والتهذيب ٦ : ١٤٣. والجعفریات ٨٨

(٢) المصدر : ٥١.

(٣) المصدر : ١٨٦.

(٤) المصدر : ١٨٦.

(٥) المصدر : ١٨٦.

ويقول العلامة الحلبي في «القواعد»: ويكره التبييت والقتال قبل الزوال لغير حاجة^(١).
وهناك نصوص أخرى تنهى عن مثل هذه الأساليب :

فعن أبي هريرة أنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعث فقال: إن وجدتم فلاناً
وفلاناً فأحرقوهما بالنار. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله حين أردنا الخروج: «إني أمرتكم
أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما^(٢).
بل روي أن إحراق جسد الحيوان غير جائز:

ففي حديث المناهي: ونهى (أي رسول الله صلى الله عليه وآله) أن يحرق شيء من
الحيوان بالنار^(٣).

وذكر ابن قدامة في «المغني» ما يدل على منع إحراق العدو بالنار بعد النصر، بل وقبل
النصر، إن كانت هناك وسيلة أخرى، لأنها قد تحرق النساء والأطفال^(٤).
ومما منعت منه النصوص، وتابعها الفقهاء؛ مسألة «التخريب». وقد ذكرنا بعض
النصوص فيما يخص ذلك :

يقول أبو الصلاح الحلبي في «الكافي»: ولا يجوز قتل الشيخ الفاني، إلا أن يكون من
أهل الرأي كدريد بن الصمة، ولا المرأة، ولا الصبي، ولا المريض المدنف، ولا الزمين،
ولا الأعمى، ولا المؤوف العقل، ولا المتبتل في شاهر؛ إلا أن يقاتلوا فيحل قتلهم... ولا
يجوز حرق الزرع، ولا قطع شجرة الثمر، ولا قتل البهائم، ولا خراب المنازل، ولا التهتك
بالقتلى^(٥).

كل هذا مع الامكان - طبعاً - وإذا توقّف الفتح على ذلك فللضرورات أحكامها - كما

(١) النبايع الفقهية: ٢٤٧.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٧٥. والسنن الكبرى ٩: ٧١. وسنن سعيد ابن منصور ٢: ٢٤٣.

(٣) وسائل الشريعة ١٢: ٢٢٠. (٤) المغني لابن قدامة ١٠: ٢١١.

(٥) النبايع الفقهية ٩: ٣٧. والمؤوف: الفاسد، (لسان العرب، باب آف) «التحرير».

مِنْ فِقْهِهِمْ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

سيأتي إن شاء الله تعالى.

وكما رأينا، فإن قتل الضعفاء - ومنهم النساء - منهي عنه، بل حتى لو قاتلن فإنه يُمسك عنهن، ما لم يحدث خلل.

فقد روي عن الإمام الصادق قوله في رواية: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ فِي دَارِ الْحَرْبِ، إِلَّا أَنْ يِقَاتِلْنَ، وَإِنْ قَاتَلَتْ - أَيْضاً - فَأَمْسَكَ عَنْهَا مَا أَمَكَكَ وَلَمْ تَخَفْ خِلَافاً^١. وقد استثنى الفقهاء - على خلاف كثير - من ذلك: - ما لو أقدمت امرأة على قتل مسلم.

- وما لو اشتركن في الحرب وأعنَّ على المسلمين.

وربما أفتى بعض العلماء بعدم جواز القتل مطلقاً، بل حرَّم المنجنيق لأن فيه ذلك^٢. يقول الشيخ الطوسي في «النهاية»: ولا يجوز قتال النساء، فإن قاتلن المسلمين، وعاونَّ أزواجهن ورجالهن أمسك عنهن، فإن اضطروا إلى قتلهن جاز حينئذ قتلهن، ولم يكن به بأس^٣.

ويقول العلامة الحلي في «القواعد»: لا يجوز قتل المجانين، ولا الصبيان، ولا النساء منهم، وإن أعنَّ إلا مع الحاجة^٤.

(يتبع)

(١) تهذيب الأحكام ٦: ١٥٦.

(٢) البنايع الفقهية: ٥١.

(٣) المصدر: ٢٤٧.

(٤) أحكام الأسرى في الإسلام، للعلامة الأحمدي.



أَمَانَةٌ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ

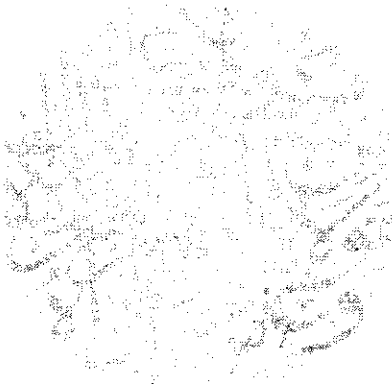
أبو ثريا

في عراء مكشوف تصهره حرارة الشمس، وتلفحه سموم الصحراء المشبعة بالهجير، وقفت قافلة الحجيج استجابة للنداء الإلهي الخالد، وإذعاناً لصوت النبوة الأسر، الذي يخترق شغاف القلوب ليستقر في أعماقها محاطاً بهالة من القدسية لا يدنسها ريب ولا تشكيك. وقفت والشمس تصهد الرؤوس وتضربها بمطارق أشعتها اللاهبة، والارض تكوي بجمر رمالها الاقدام المنهكة الحافية. وتحفّزت القلوب متوهجة بحرارة النداء، متطلّعة إلى السرّ الساخن الذي تترقّب أن يصدع به الرسول الكريم مأموراً بالوحي ﴿يَلْغُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^١.

وامتزجت حرارة المحيط بحرارة الانفاس اللاهثة، واختلط وقع الارجل المكتوبة بدقات القلوب المتشوّقة لمعرفة السرّ، المنتظرة للحظة الصدع به انتظاراً متوجّساً يقطع الحشرجات في الصدور، ويفتح العيون والأذان على أوسع ما يكون.

أيّ أمر عظيم هذا الذي يستوجب كل هذا العناء ؟ وأي سر هائل هذا الذي سوف يفجأهم به الوحي على لسان الصادق الامين ؟ تساؤلات تطرحها العيون قبل الألسن ويكاد ينطق بها لسان الحال قبل لسان المقال.

لم تكن القافلة تعلم أن هذه اللحظات المهيبة ستكون ميلاد تاريخ ضارب بجذوره



في أعماق الماضي، وستوغل أغصانه في
آفاق المستقبل وارفة الظلال، تستفي تحتها
الاجيال في طريقها إلى الخلود. وأنها ستكون
انطلاقة هدف حملته السماء أمانة مذكورة
في الاصلاب الطاهرة والارحام المطهرة. وقد
شاءت العناية الإلهية أن يكون ذلك الموقف

في بقعة الغدير المباركة، وفي تلك الاجواء المحترقة، إيداناً بعظمة السرّ وضخامة
الامانة، وإفصاحاً عن عظم المسؤولية التي سوف تضطلع بها الامة، لكي يظلّ الغدير نبأً
ترتوي منه الاجيال، ويبقى ماثلاً في الاذهان، مختزناً في القلوب، شاخصاً في الضمائر
ذكرى لا تمحي ولا تنسى.

وبين الحيرة واللهفة التي تكتنف الجمع، ومضاء العصمة التي تحفّ الرسول بهالتها
الوضاءة، يرتقي المبلّغ دكة الافصاح الحجرية^١، والعيون تكاد تلتهمه، والقلوب توشك
أن تحتويه، ويقف تحت ظلّ دوحات قمّ ما تحتهن^٢ ليبدأ ترتيل سفر الإمامة، ويسكب
في القلوب الصادية كؤوساً عذبة باردة لا تظماً بعدها، إن هي اختزنتها في الاعماق ولم
تبددها في رمال النسيان والعصيان.

وأذنت لحظة التصريح بالنداء «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، لتأزف أحقاب من
الولاء لليد التي رفعها المبلّغ، والكفّ التي حملت ذا الفقار شهاباً يجزّ رؤوس الشرك
فيدحرجها في هاوية الشقاء، ويغرس بحدّه المناثر في الارض الرحبة فتثمر نداءً سماوياً
خالداً تردّده الامة في طريقها لللاحب إلى الله.

وتدافعت القلوب تستبق الأرجل نحو تلك اليد الطولى، تطبع على راحتها قبلة

(١) إشارة إلى الاحجار التي رصفت وجعل منها دكة ارتقاها الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك المرقف.
(٢) المصداق السابق. (راجع بحار الانوار ٣٧ : ١٣١).

الشوق وبيعة الامل، لتحصد سنابل النور زرعاً تكتنزه بعد الطوى، وزاداً للآخرة لا تجوع بعده ولا تضحي.

وتجلى في تلك اللحظات السر الكامن خلف مصباح النبوة، المخبوء في مشكاتها، نوراً يستمد سطوعه من مصدره الذي لا ينضب، وتوهجه من مكنه الذي لا يفنى، وبرز للحياة أمانة لا تحتملها إلا صدوراً امثحت للتقوى، فحملتها لتسيل منها عبر الازمان رسالة تهب للحياة بهاءها وروعها، وترسم للآخرة صراطها المستقيم.

إحصائية

«في طرق حديث الغدير»^١

طريقاً	(٤٠)	من	١- رواه الامام أحمد بن حنبل
•	(٧٢)	•	٢- ابن جرير
•	(٨٠)	•	٣- الجزري المقري
•	(١٠٥)	•	٤- ابن عقدة
•	(١٢٠)	•	٥- أبو سعيد السجستاني
•	(١٢٥)	•	٦- أبوبكر الجعابي
•	(٢٥٠)	•	٧- أبو العلاء العطار الهمداني
•	(١٥٠)	•	٨- وروى محمد اليميني أن لحديث الغدير

(١) راجع: الغدير للأميني ١: ١٤ - ٢١٣

• عبقات الانوار في حديث الغدير

• غية المرام

• ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢: ٥٠ - ٩٠

• تنمة المراجعات، سبيل النجاة: ١٨٢.

إلى أجيال الزوجة

سماحة السيد كاظم الحائري

قبل البدء بالحديث عن هذه النظرة لابد أن نؤكد - وكأصل موضوعي - على أن الاسلام رأى من أول الأمر أن سعادة الحياة البشرية تقوم على أساس من النظام العائلي، حيث تشكل العائلة وحدة البناء الاجتماعي، رافضاً بذلك النظام الإباحي المتحلل، ولعل ذلك يرجع لأمرين :

الاول : إن استقرار الحياة ونظامها بشكل متقن يتوقف على هذا النظام دون غيره.

الثاني : إن الحاجات البشرية ليست كلها عبارة عن الحاجات المادية، وإنما تعم الحاجات المعنوية التي تتطلب الاشباع إلى جنب تلك الحاجات، فلو أمكن أن نفترض أن النظام الاباحي يمكنه أن يوفر الحاجات المادية، فهو يعجز عن إشباع الحاجات الروحية والتي من أهمها عنصر السكينة والرحمة التي يحتاج إليها الصغار لتوجد تأثيراً تربوياً متوازناً في تكوينهم النفسي، حيث ينشأون في كنف الرحمة والسكينة التي توفرها لهم الامهات والآباء.

وقد أثبتت التجربة أن الأطفال الذين لم يعيشوا تحت كنف الام والأب يفقدون الكثير من النمو الروحي. وبعد افتراض هذه الحقيقة كأصل، جاء الاسلام فأقام الحياة العائلية على أسس خمسة هي :

الاساس الاول : الايمان بالقيادة الموحدة للحياة الموحدة

فإذا كانت الحياة العائلية تشكل وحدة متكاملة ومجتمعاً صغيراً فإن من الضروري لهذه الوحدة من قائد. وكان القائد هو الرجل الزوج على البيت والزوجة دون الأب على البنت أو الأخ على الأخت. مما يؤكد لنا أن الاسلام يجعل المرأة كأنتى في عرض الرجل في الحقوق الانسانية، ولكنه يعطي بعض المناصب للرجل كمحاولة لتقسيم العمل لا أكثر، وإلا فما معنى تخصيص معنى القيمومة بالزوج دون الأب والاخ ؟.

الاساس الثاني : ملاحظة تميّز الرجل من حيث القوى البدنية والارادية

وبعد أن آمن بذلك رتب الحقوق في المجال العائلي، ومنحه القيادة طبقاً للأساس الأول، وقد رأينا أن هذا التمييز لم يشكل داعياً لقيادة الاب والاخ، وإن كانت الاخت قد تختار أحياناً العيش تحت ظل الأخ، ولكن ذلك لا يعدّ مما فرضه الاسلام، إذ يمكنها أن تخرج من هذه الحماية.

أما الميزة الآتية من ناحيه الانفاق - لو قلنا بها ولم نحمل الباء في ﴿بما أنفقوا﴾ على الاستعانة - فهي على أي حال وليدة الميزة التكوينية.

الآيات الدالة على هذا التمييز

وهناك مجموعة من الآيات الشريفة الدالة على تميّز الرجل وتمتعه بقوى تفقدها

المرأة، جاءت في سياق بيان ذلك كحقيقة واقعية يدركها المجتمع رغم إساءة بناء مفاهيمه وتعامله على أساسها في كثير من الحالات، ومن تلك الآيات قوله تعالى :

﴿الكم الذكر وله الانثى﴾ * تلك إذن قسمة ضيزى^١

﴿أم له البنات ولكم البنون﴾^٢.

﴿أم اتخذ مما يخلق بناتٍ وأصفاكم بالبنين﴾^٣.

﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾^٤.

﴿فاستفتهم أريك البنات ولهم البنون﴾ * أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾ * ألا إنهم

من إنكمهم ليقولون﴾ * ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ * أصطفى البنات على البنين﴾ * ما لكم كيف تحكمون﴾ * أفلا تذكرون﴾^٥.

﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾^٦.

﴿وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ * يتوارى من القوم من سوء ما بشر

به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب. ألا ساء ما يحكمون﴾^٧.

﴿أو من يئشاً في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾^٨. وأمثال ذلك

وقد أوجبت هذه المميزات أن تعطى القيادة بيد الزوج، وتمثلت هذه القيادة في

منحه زمام أمور عديدة بشكل قاطع، وهي تلك التي ترتبط بالحياة المشتركة، كالنفقة، والطلاق، والجماع، والخروج من البيت، والمهر.

كما تمثلت في تشريع بعض الحقوق المستحبة له في القضايا الأخرى التي هي أكثر

مساساً بالحياة الخاصة للمرأة. وسيأتي في الأساس الرابع والخامس سرّ جعلها كذلك.

(١) النجم : ٢١ - ٢٢.

(٢) الطور : ٣٩.

(٣) الزخرف : ١٦.

(٤) الزخرف : ١٧.

(٥) الصافات : ١٤٩ - ١٥٥.

(٦) النحل : ٥٧.

(٧) النحل : ٥٨ - ٥٩.

(٨) الزخرف : ١٨.

الاساس الثالث : إشباع الشهوة الجنسية

ذلك أن صفة الواقعية هي من أشمل الصفات الاسلامية، فالاسلام طبقاً لواقعيته عمل على إشباع الجانب المادي، كما عمل على إشباع الجانب الروحي من احتياجات الانسان، لأنه دين الفطرة، ولأنها حاجات انسانية أصيلة. وتتمثل الواقعية هنا في عمله على اشباع الغريزة الجنسية كحاجة مادية أصيلة، وفي حفظ النوع الانساني.

وهذه الغريزة وإن أمكن أن تلبي على أساس الاباحية، إلا أن الاسلام رفض الاباحية مراعاة للاساس الذي فرضه وهو النظام العائلي، وأقام نظام الزواج ليكون ضمن إشباعه للغريزة قد عمل على اشباع الجانب الروحي أيضاً.

ولكي يمنع من مخاطر الشهوة الجامحة لو لم تشبع من طريق محلل ورد التأكيد الكبير على الزواج والزواج المبكر.

وقد التفت الاسلام إلى نكتة تكوينية مهمة هي وجود فرق بين حدّة الشهوة عند الرجل وعند المرأة، إذ نجد لها سرعة الاندفاع في الرجل، بخلاف المرأة التي تفرق عن الرجل ببطء اندفاعها للعمل الجنسي.

وربما كان ذلك هو العامل على منح الرجل زمام عملياته الجماع، بالاضافة إلى نكتة القيمة السابقة.

وقد وردت روايات تحت المرأة على أن تعرض نفسها على الرجل وتلبي حاجاته، بلا أن تكون هناك حاجة لتوصية الرجل بإشباع المرأة باعتباره يملك الدافع القوي لذلك، وهي صورة من صور التوازن الاسلامي العام.

ورغم هذا فقد احتاط الإسلام فأوجب المبيت مع المرأة كل أربع ليال، وأوجز الجماع مرة كل أربعة أشهر، إلا أن تُسَقَطَ حقّها، وجعل من المستحب ملاعبة المرأة لإشباعها جنسياً. ومَرَّ أخيراً أنه حث على هذا الاشباع حينما ترغب في روايات تدل على ذلك، وإن كانت ضعيفة السند إلى الحد الذي طالعناه.

منها روايتان بمضمون : «إن إصابة الأهل صدقة»^١.

ومنها رواية أخرى جاء فيها : «من جمع من النساء ما لا ينكح فزنى منهن شيء فالأثم عليه»^٢.

ومنها : ما رواه الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن إسحق بن إبراهيم الجعفري^٣ : قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل بيت أم سلمة فشم ريحاً طيبة فقال : أتتكم الحولاء ؟ فقالت : هو، ذي هي تشكو زوجها، فخرجت عليه الحولاء فقالت : بأبي أنت وأمي، إن زوجي عني معرض، فقال : زيديه يا حولاء، فقالت : لا أترك شيئاً طيباً مما أتطيب له به وهو معرض. فقال : أما لو يدري ما له بإقباله عليك، قالت : وما له بإقباله علي ؟ فقال : أما إنه إذا أقبل اكتشفه ملكان وكان كالشاهر سيفه في سبيل الله، فإذا هو جامع تحاتت عنه الذنوب كما يتحات ورق الشجر، فإذا هو اغتسل انسلخ من الذنوب^٤.

(١) وسائل الشريعة ١٤ : ٧٥ - ٧٦.

(٢) المصدر ١٤ : ١٠٠.

(٣) أما إسحق فلا شاهد على وثاقته، وأما الجوهري فلم تشهد كتب الرجال بوثقته، إلا أن ابن عمير وصفوا رويًا عن القاسم بن محمد، ويمكن أن ينطبق عليه، إلا أنه يوجد في طبقة أشخاص آخرون بهذا الاسم. نعم يوجد شاهدان لصالحه :

الاول : كونه مشهور الرواية في تلك الطبقة.

الثاني : وهو خاص برواية يرويها الكليني عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن العباس بن معروف، عن القاسم بن محمد، عن جبير بن سعيد المكشوف، عن الاحول قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام قلت : أدنى ما يتزوج الرجل به المتعة ؟ قال : كف «كفين» من بُرّ، يقول لها : زوجيني نفسك متعة على كتاب الله وسنة نبيه نكاحاً غير سفاح على أن لا أرتك ولا ترثيني، ولا أطلب ولدك، إلى أجل مسمى، فإن بدا لي زدتك وزدتي (رواه الصدوق، وسائل الشريعة ١٤ : ٤٦٧). وهذه الرواية تثبت أن صفوان ينقل عنه لأن كل من قبله ثقات، ويشهد لكون القاسم هذا هو الجوهري، أن الكليني ينقل عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد ومحمد بن خالد البرقي، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن أبي سعيد، عن الاحول قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أدنى ما يتزوج به المتعة ؟ قال : كف من بُرّ. (وسائل الشريعة ١٤ : ٤٧١). وذلك بعد أن يدعى الاطمئنان بوحدة الرواية بعد أن كان السند من القاسم بن محمد إلى الأخير هو نفس السند.

(٤) وسائل الشريعة ١٤ : ٧٦.

الاساس الرابع : المودة والألفة والسكينة

يقول تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾^١.

ذلك أن الحياة الزوجية يفترض لها جوٌ يختلف عن أي جو آخر كالجو التجاري الذي يمكن افتراض العلاقات فيه على نحوٍ آلي صرف قائم على أساس حدي من مصالح كل من الطرفين، حيث يؤدي كل طرف التزاماته تجاه الطرف الآخر بدقة.

أما في الحياة الزوجية فلا يمكن افتراض علاقات حدية صارمة، وواجبات متبادلة يقوم بها كل من الطرفين تجاه الآخر. وإلا ما أصبحت حياة سعيدة تسودها الألفة والمحبة والسكينة النفسية، بل عادت حياة مادية جافة نفعية. وبتعبير آخر : فإن النظام العائلي -كما مرّ- يقوم بوظيفة تلبية الاحتياجات الروحية والنفسية، وهذه التلبية لا تتلاءم ونظام آلي صرف.

هذا وقد أوجد الاسلام أموراً يوفر بها هذا الجو من الرحمة.

الاول : أنه حسّس المرأة بحقوق الزوج، طالباً منها إطاعته وتعظيمه قائلاً : ﴿وللرجال عليهن درجة﴾^٢، مما يؤدي لأن تكسب المرأة مودة الرجل.

الثاني : أنه طلب إليها أن تتزيّن وتجمّل وتدعو الرجل إلى نفسها، مما يوفر أيضاً -بالإضافة إلى الاشباع الجنسي- جو السكينة والمحبة.

الثالث : تحسيس الرجل عاطفياً تجاه الزوجة. فتقول له الروايات : «خيركم خيركم لأهله»^٣. و«فإن المرأة ريحانة»^٤. و«اتقوا الله في الضعيفين»^٥. و«أيضرب أحدكم امرأته ثم يظل معانقها»^٦. إلى غير ذلك من الاحاديث والروايات.

والملاحظ أنه ضرب على الوتر الحساس في كل جانب. فإذا طلب من المرأة أن

(١) البقرة : ٢٢٨.

(٢) سورة الروم : ٢١.

(٣) وسائل الشريعة ١٤ : ١٢٢.

(٤) المصدر : ١٢٠.

(٥) المصدر : ١٢١.

(٦) المصدر : ١١٩.

تعظم الرجل، فهي تشبع قيمومته وقوته، وإذا طلب منها أن تتزين فهي تستغل احتياجه الجنسي، في حين إذا أراد للرجل أن يشعر بهذا الجو حرك فيه الجانب العاطفي باتجاه المرأة.

الرابع : أنه جعل حقوق الزوج على الزوجة في الأمور التي هي أكثر مساساً بالحياة الخاصة للزوجة مستحبة، مؤيداً بها أولاً جانب القيمومة في الرجل، وموفرأ بها هذا الجو. فإن الاستحباب المتوفر هنا لم يكن من الصالح أن يصعد إلى درجة الوجوب لنكات :

الاولى : أن الوجوب - بنظر الشريعة الدقيق - يتنافى مع حرية المرأة المطلوبة.

الثانية : أن هذه الحقوق لو وجبت لعادت الحياة الزوجية حياة آلية صرفة، بينما يراد لها أن تكون عش المودة والمحبة.

الثالثة : المرونة، وهي ما سيأتي بيانها في الأساس الخامس.

الاساس الخامس : المرونة

وقد قلنا إن الاسلام يتصف بالواقعية والفطرية، وهذه الصفة تقتضيه أن يكون مرناً يستوعب متطلبات الواقع، ويتصور للمرونة في الشريعة الاسلامية ونظمها مجالات ثلاثة وهي :

المجال الاول : وضع مناطق فراغ في مختلف الانظمة الاسلامية يقوم بمثلها ولي الأمر طبقاً لما بحثناه في بحث ولاية الفقيه^١. وتكون هذه المنطقة معبرة عن اعتراف الشريعة بوجود الجوانب المتطورة التي لا يمكن ضبطها بقانون معين، ولذا تركت هذه المنطقة مستفيدة من خبرة الحاكم وعدالته، بعد أن وضعت له بعض الخطوط العامة التي يتصرف من خلالها.

(١) راجع : أساس الحكومة الاسلامية، للكاتب.

المجال الثاني : العناوين المرنة التي ترتبط بها الاحكام، فإننا نجد مواضيع الأحكام مقيدة بقيود مرنة عامة تختلف من حال إلى أخرى، وهي «عدم الضرر» و«عدم الحرج»، وهي أمور محددة كبروياً مختلفة من حيث التطبيق، فقد يكون أمرٌ ما في ظرفٍ ما حرجياً، ولا يكون كذلك في ظرفٍ آخر أو ضررياً في حالة دون غيرها.

كما أن بعض العناوين التي رُتبت عليها الاحكام عناوين مرنة تختلف تطبيقاتها، كما في عناوين «الغنى»، «القوة»، «بالتي هي أحسن»، «الحكمة»، «التقية» وغيرها.

المجال الثالث : أن ينشأ عدم الالتزام نفسه من المرونة، فيرفع الالتزام لأجلها. وذلك لا لعدم وجود مقتضي الالتزام ولا لمصلحة التسهيل، وإنما هي على أساس أنه لو أوجب الموضوع لاضطر إلى تحديده، لعدم وجود مقتضي الإيجاب في كل الموارد، وعدم وجود هذا المقتضي في كل الموارد يجعله أمام موقفين مترتبين :

الاول : أن يعطي عنواناً مرناً يختلف حاله باختلاف الموارد فيصبح في موارد الإيجاب واجباً، وفي موارد عدمه غير ملزم.

الثاني : وإذا لم يمكن ذلك فيضطر إلى إنزال الحكم من مرتبة الوجوب إلى مرتبة الاستحباب، بحيث يكون هذا الحكم الاستحبابي كافياً للدفع والتحريك في الموارد التي كان المطلوب فيه الالتزام. ويتضح هذا بملاحظة بعض الأمثلة :

المثال الاول : الزواج

وليس عدم وجوبه لأنه أخف ملاكاً من بعض الواجبات، كرتة السلام مثلاً، بل يكاد يكون من أهم الأشياء، فهو أساس الحياة الزوجية التي هي أساس التكوّن الاجتماعي.^١ إلا أن الزواج لم يصبح واجباً لنكتة الحفاظ على عنصر المرونة، حيث أن الظروف ليست على وتيرة واحدة، فقد يتبلى الانسان بمشاكل نفسية أو خارجية تجعل النكاح

(١) وقد وردت الروايات لتؤكد ذلك، راجع الابواب الاولى من مقدمات النكاح في الوسائل، ج ١٤، ومنها ما جاء بسند تام عن صفوان : «وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من بيت يعمر في الاسلام بالنكاح» ص ٥.

أمرأ غير مرغوب فيه. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإنه لا يمكن أن يُعطى للانسانية نظام صارم يصاغ بصياغة تجعله واجباً أحياناً وغير واجب أحياناً أخرى، للنقص الانساني في التمييز بين الموارد. فكان الاسلوب الأمثل هو التنزل من إيجاب النكاح، وجعله مستحباً مرغوباً فيه من قبل الشارع. فذلك خير أسلوب لعلاج هذا الموقف. إذ إن الانسان المتدين الملتزم بالشرع لا يخلو حاله عن إحدى حالات ثلاث :

الحالة الاولى : أن يميّز بوضوح أن النكاح يوجب سعادته وهنا، وهنا يندفع للزواج حتى لو كان مستحباً.

الحالة الثانية : أن يشعر بوجود قيود ومضايقات من الزواج، بحيث لو بقي هو وحالته النفسية لم يكن ليتزوج، إلا أن هذه المشاق لا تقاوم مجموع أمرين لديه : الرغبة النفسية والاستحباب الشرعي.

الحالة الثالثة : أن يكون الشقاء الذي يحس به في النكاح قوياً، بحيث لا يمكن أن يقابل هذا الاحساس شيء إلا إيجاب النكاح. ولكن هل من الصالح الإيجاب ؟.

إننا يمكن أن نفترض فشل تجربة الزواج، وتحقق المخاوف، كما يمكن أن نفترض أنه يكتشف بعد الزواج أنه كان في وهم لا معنى له. والتمييز بين الحالتين لا يمكن أن يُعطى بيد الانسان، ومن هنا كان الأولى أن يكون النكاح مستحباً.

المثال الثاني : الطلاق

ولا ريب في أنه مبغوض، وأن بغضه ليس بأقل من بغض بعض المحرمات كما جاء في الرواية^١. إلا أنه لم يحرم لنفس النكته ونفس البيان.

وحينئذ فالمتدين لا يطلّق في الحالات الاعتيادية، وإذا وجد شيئاً من الداعي ردعته

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «...وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت يخرب في الاسلام بالفرقة يعني الطلاق...» (وسائل الشيعة ١٤ : ٥)

الكراهة، فإذا بلغ إلى حالة لا ينفى فيها إلا التحريم وجد الاسلام أنه ليس من الصالح ذلك. إذ قد توجد حالات يكون الطلاق فيها ضرورياً، ولا يمكن تمييز هذه الحالات من قبل المكلف بواسطة مقياس شرعي يفهمه فيطبقه بدقة. ومن هنا صار الطلاق مكروهاً كراهية شديدة.

المثال الثالث : تعدد الزوجات

فقد جعل في الاسلام جائزاً بحد ذاته، بل إن الذي يستفاد هو كراهته في الحالات الغالبة لورود تعبير: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾^١ الذي هو بحكم النهي عن التعدد، ولم نحمله على التحريمي وإنما حملناه على التنزيهي بقرينة الآية الكريمة : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾^٢. حيث أن الظاهر منها أنها إنما تحرّم خصوص الدرجة من الميل التي تكون فيها المرأة كالمعلقة فلا هي كزوجة ولا هي كطالق. فإن محتملات الجمع بين هذه الآية والآية الناهية عن التعدّد أربعة :

الاحتمال الاول : أن تُفهم الحرمة من مجموع الآيتين كما قاله البعض، لأن الآية الاولى علّقت الجواز على العدل والثانية نفت إمكانية العدل. وهو باطل، لأنه خلاف مفاد الآيتين معاً :

أما الآية الأولى : ﴿فانكحوا ما طاب﴾ فإن المقصود بها يكون هذا الاحتمال : أنه يجوز لكم أن تنكحوا ولكن بشرط تعجيزي هو العدالة الحقيقية، وهي غير ممكنة، وهذا أمرٌ مستهجن تعبيراً.

وأما الآية الثانية «آية المطلقة» فهي صريحة في النهي عن خصوص عدم العدالة المؤدي إلى التعليق دون غيره، والتعليق حالة مغرقة في عدم العدالة، يوصلها إلى ما

يقرب الاضرار بحقوقها الواجبة.

الاحتمال الثاني: أن يقال إن الآية الثانية تفسر العدالة في الآية الأولى، بأن تقول: إنه إن خفتم أن لا تعدلوا عدالة موصلة لإحداهن إلى حالة التعليق فواحدة. فنحن إذا بقينا والآية الاولى قلنا بالحرمة، ولكن الثانية تفسرها بهذه الدرجة من عدم العدالة.

ولكن حَمَلٌ ﴿فإن خفتم﴾ على هذا الفرض ليس عرفياً، إذ المراد مجرد عدم المساواة في نظر العرف، وإن شئت قلت: إن هذا الاحتمال والتقييد مما يأباه الاطلاق. الاحتمال الثالث: ما هو المشهور من أن قوله ﴿إن خفتم...﴾ ينظر إلى العدالة العملية، وقوله: ﴿لن تستطيعوا...﴾ ينظر إلى العدالة القلبية، وهو باطل أيضاً، ذلك لمخالفته لذيل الآية الثانية الذي يجيز عدم العدالة ما لم يصل إلى حد التعليق، وواضح أن ترك العدالة العملية دون القلبية فقط هو الذي يوصل إلى حال التعليق.

الاحتمال الرابع: أن يحمل النهي في ﴿فواحدة﴾ على الكراهة حينما يوجد خوف العدالة بدرجة ملحوظة عرفية. أما تقييده بدرجة ملحوظة عرفية فلكي لا يختص حكم الاباحة بفرض نادر.

وأما الحمل على الكراهة فلو جود الآية الثانية.

ما يستفاد من مجموع الآيتين:

أولاً: جواز تعدد الزوجات.

ثانياً: استحباب الاقتراب من العدالة الحقيقية.

ثالثاً: كراهة تعدد الزوجات عند الخوف من عدم العدالة الملحوظ.

رابعاً: حرمة ترك العدالة إلى حد جعل المرأة كالمعلقة.

وهنا نقول: إن الاسلام لا يؤمن بمشاكل تعدد الزوجات المزعومة إلا مشكلة عدم

العدالة، وهذه المشكلة - رغم أنها في حد ذاتها وحينما يكون ترك العدالة بشكل ملحوظ وقبل الوصول إلى التعليق - قابلة لأن تبعث على التحريم، إلا أن الاسلام جعلها

مؤدية للكراهة لوجود ملاكات في مسألة تعدد الزوجات :

منها : عدم اكتفاء الرجل بزوجة واحدة أحياناً.

ومنها : اشباع الرغبة في كثرة الاولاد، أو في الاولاد مع عقم الزوجة. إلى غير ذلك. وإذا كان من الممكن إعطاء مقياس دقيق يفهمه الناس بحيث تُشخّص على أساسه الموارد وتُفهم المصالح والمفاسد أمكن أن تتوقع التحريم. ولكن الاسلام أعمل مروته في المقام فبيّن الكراهة عند الخوف، فلم يمنع من العمل به عندما يوجد ملاك آخر، بعد أن عرفنا أن أحكام الكراهة حيثية، وكذلك يعمل به في مورد التردد.

وبهذا يتبيّن التعليق على كلام المرحوم آية الله المجاهد الشهيد الشيخ المطهري قدس سره الذي بحث المسألة وكانت خلاصة ما ذكره فيها : أنه ذكر فوائد التعدد أولاً، ورأى أن المصلحة التي ذكرناها أولاً من كثرة المحتاجات للزواج تجعل التعدد من حق جنس النساء، ثم ذكر أن هناك قيوداً للتعدد منها : «العدد والعدالة».

وأخيراً عالج المشاكل المذكورة للتعدد فرأى أنها قد تزول أو قد تخف تحت هذه الشروط، وهو يقول بالتالي : إن الاسلام جعل العدالة شرطاً، فإذا لم يعدل المسلمون فذلك ذنبهم دون الاسلام. ويبدو من هذا أن العدالة شرط واجب. ولكنه غير صحيح كما رأينا. وكان الأجدر به أن يبطل باقي المشاكل الموجودة في تعدد الزوجات من جذورها، وتبقى مشكله العدالة التي أعمل الاسلام مروته فيها.

مع شريعتي :

وقد عقد الدكتور شريعتي في كتابه^١ فصلاً يدافع فيه عن الرسول صلى الله عليه وآله تارة وعن الاسلام أخرى، وقال ما ملخصه :

إنه لا ريب في أن تعدد الزوجات يجرح وجدان عصرنا الحاضر وإن لم يكن كذلك في ما مضى، ذلك أن القضايا الوجدانية متغيرة، وكمثل على تغيّر ذلك نلاحظ مسألة

(١) بالفارسية : اسلام شناسي = دراسة الاسلام. ط. مشهد.

الحجاب، فرغم أن الحجاب كان يعدّ سترًا وعفافاً وإجلالاً للمرأة في العصور الماضية، نجده يعدّ اليوم قيداً وظلماً لها في المجتمعات الحاضرة، وإن وجدنا النظرة القديمة لا تزال في المجتمعات القروية وبين الملتزمين المتعصبين !

أما كيف يمكن تصوّر تعدد الوجدان في مجال تعدد الزوجات ؟ فيرى أن ذلك يتبع اختلاف النظرة إلى الزواج :

فإن الزواج لو نظر إليه على أساس أنه قضية اجتماعية ترتبط بقضايا سياسية واقتصادية وأخلاقية، وتكون الزوجة مجرد ربة بيت وأم أولاد، فإنه لا يحسّ الانسان بأي حزازة نفسية أو مضاضة تجاه هذا التكرّر.

أما لو لمحنّا الزواج على أساس أنه عش للحبّ الدافئ والمودة والحنان، فإنه من الطبيعي أن نجد أن الزوجة الثانية لا تنسجم وروح هذا الجو، فالعشق والحب لا يتحمل الشريك.

فالمسألة إذاً مسألة اختلاف زاويتي النظر للزواج وبذلك تختلف أحكام الوجدان. ففي حين لا نجد أي حساسية للمجتمع القروي الريفي الذي يكون الممّون الوحيد فيه الرجل، وكانت الحروب تهلك كثيراً من الرجال، لا نجد أي حساسية تجاه التعدد، نجد أن هذه الحساسيات تبلغ ذروتها في مجتمع المدينة المحبّ العاشق.

وهكذا يمضي لشرح الفرق بينهما ثم يؤكد على نقطة وهي : أن الاسلام لم يأت ليؤسس حكم التعدد بعد أن كان المجتمع خالياً منه، وإنما جاء إلى نظام تعدّد مربع فقيده بالأربع، وكم هو الفرق بين ذلك ؟

ثم يقول : إن من يدقق في الآية الكريمة يجد أن الاسلام لا يسمح بتعدد الزوجات إلا في الحالات الفردية الخاصة، كما في مورد اليتامى «مورد الآية» أو الاجتماعية المعيّنة كما في الحروب، فإن الآية الاولى تقول : ﴿فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة﴾، والاخرى تصرّح بأنه ﴿لن تستطيعوا﴾ وهذا أبلغ تعبير عن الحرمة.

التعليق عليه :

ورغم أن كلامه غير محدد إلا أنه يمكن أن نجزيء كلامه إلى ثلاثة أجزاء، لتعدّ هذه ثلاثة أجوبة على مشكلة تعدد الزوجات :

الجزء الاول : قوله إن الوجدان يختلف من عصر إلى عصر. وإن صحّ هذا جواباً فإنما يصح لتبرير عمله صلى الله عليه وآله، لا لدفع الإشكال عن الاسلام، ذلك أنه يمكن أن يقال : إن الوجدان البشري آنذاك لم يكن يرى أي جرح له في مجال التعدد، ولكن لا يمكن الدفاع بذلك عن الاسلام بعد أن أباح التعدّد في كل العصور.

ثم إنا لا نعلم ماذا يقصد بتبدل الوجدان، فإن كان يقصد أن كبرئ الوجدان - أي أحكام العقل العملي - تختلف من عصر إلى عصر، كما يؤيد هذا تمثيله له بالحجاب الذي لا يرتبط بالمجال الصغروي فهذا يعني اسقاط قضايا العقل العملي نهائياً، وهذا يرتبط شرحه بنظرية المعرفة وبحث الاخلاق. وإن كان يقصد أن الكبريات الوجدانية محددة ولكن الصغريات متبدلة، كما يؤيد طرحه لمسألة اختلاف زوايا النظر إلى الزواج. قلنا : إن هذا لا يشكل دفاعاً عن الرسول ولا عن الاسلام، لأن الاسلام ينظر للزوجة كربة بيت من جهة، وكموَقَّرَ لِعَشِّ المودة والمحبة من جهة أخرى ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾^١ فيقال : إذا كان الاسلام ينظر هكذا إلى العَشِّ الزوجي فلا معنى لتعدد الزواج المخالف للوجدان !

أما الجزء الثاني من كلامه : فهو تلك النكتة التي ذكرها من أن الاسلام لم يأت بالتعدد، وإنما حدّد دائرته الوسيعة، حيث يمكن جعل هذا جواباً مستقلاً عن الإشكال على الاسلام.

وهذا الجواب واضح البطلان، فلا فرق بين أن يشرّع الاسلام من جديد هذا الحكم، أو يمضي ما كان معمولاً به سابقاً، فلو كان التعدّد حسناً طبق الاجوبة الأخرى رجعنا

لرؤية تلك الاجوبة، وإن كان قبيحاً لم يكن هذا دفاعاً عن الاسلام، إذ يقال لماذا لم ينسخه نهائياً واكتفى بتحديدده ؟

وأما الجزء الثالث من كلامه : فهو ما ادعاه من دلالة الآيتين على تحريم التعدد إلا في الحالات الاستثنائية.

وهذا الادعاء يؤدي إلى تحريم التعدد حتى في الطرف الاستثنائي «مشكلة القسط إلى اليتامى» لأنه مورد الآية الاولى القائلة ﴿فإن خفتن أن لا تعدلوا فواحدة﴾. وواضح أن المورد لا يمكن استثناؤه من الحكم العام. على أن الآية الثانية صريحة في عدم وجوب العدالة إلا بالمقدار الذي لا يؤدي إلى التعليق. وبعد غض النظر عن هذا فإن ما أنكره ضروري للفقه الشيعي الامامي.

ثم إن تفسيره مبني على أن الآية وردت لحل مشكلة اليتامى بإباحة تعدد الزواج بنسائهم، لإخراجهم من حالة كونهم عالة على الشخص - مما قد يؤدي إلى عدم القسط فيهم - إلى حالة كون النساء أزواجاً ومن صميم العائلة.

ولكن هناك تفسير آخر قد يذكر للآية وهو : أن الحالة الاجتماعية التي سادت كانت تؤدي بمن يكفل بعض اليتامى أن يتزوج بهن ثم يستولي على أموالهن، أو ينظر لهن نظر الزوج الطبيعي إلى زوجته بعد أن أنفق عليهن حتى بلغن هذا المبلغ، مما يؤدي إلى عدم القسط. وهنا يحل القرآن مشكلة التخوف من عدم القسط بالدعوة إلى الزواج من النساء الاخريات ﴿فإن خفتن أن لا تعدلوا﴾ فيهن أيضاً كان ينبغي الاقتصاد على واحدة، أو تجميع عدد من ملك اليمين الذي لا تلزم فيه العدالة المطلوبة في الزوجات لأنهن مملوكات على أي حال، وبهذا تحل مشكلة عدم إمكانية الصبر على المرأة الواحدة.

وهذا تفسير معقول. وعلى أي حال ينبغي أن يبحث عن المسألة التالية بشكل مستقل وهي : هل أن تعدد الزوجات وعدم العدالة الذي لم يصل إلى حد التعليق ينافي الوجدان ؟

وهنا نقول : إن هنا مسألتين :

الاولى : مسألة عدم العدالة، وقد أخذها الاسلام بعين الاعتبار.

الثانية : مسألة التعدد ومنافاتها كتعدد للوجدان العملي السليم. وهذه الثانية هي التي نرفض أن تكون معارضة له، ونقول إن الاسلام لم ير في ذلك أي إجحاف. ويتضح هذا إذا استعرضنا الامور التي يدّعى أن الوجدان يحس عبرها بالنفرة من التعدد وهي :

الاول - الغيرة : فالغيرة موجودة في الرجال على النساء، حيث لا يرضى الرجل أن يتصل أحد بزوجه، وكذلك يدّعى وجودها في النساء على الرجال بشكل طبيعي مما يجعلها ترفض التعدد.

والواقع أن عنصر الغيرة هو إفراز تربوي معين لمنهج خاص في التربية، ولذا يختلف من نظام إلى نظام، وقد ربّى الاسلام الرجال على أن يمتلكوا حداً معقولاً من هذا العنصر على نسايتهم لضرورة اجتماعية، ولكن هذا النظام نفسه رفض أن يوجد في النساء هذا العنصر، والذي أوجده فيهن عدم التربية الاسلامية الأصيلة، أو التربية اللإسلامية التي ابتلين بها.

الثاني - الحسد : ومن الواضح أن الاسلام لا يرتب على هذه الحالة أثراً عملياً، فرغم أن الحسد يمتلك جذوراً طبيعية، إلا أن العقل العملي يقبّح هذه الصفة، والاسلام يربّي الانسان على قلع العنصر أو على الأقل عدم تعديّه إلى المجال العملي، أو يجعله في مسار طبيعي له هو (الغبطة).

الثالث : أن القلب والعواطف لا يمكن أن تنقسم، والحياة الزوجية ودّ وحبّ وإشباع حنان كما مرّ، والتعدد ينافي ذلك كله.

والشيخ المطهري رحمه الله يجيب على هذا فيقول : إن هذا كلام شعري لا يؤيده الواقع، فإن الأب يحب كل أبنائه وربما بمنزلة واحدة.

وهكذا نجد أن تعدد الزوجات لا يمتلك أي معارض وجداني معترف به، نعم قد

يصاحبه ترك العدالة، وهو ما أخذه الاسلام بعين الاعتبار.

ومما يشهد لهذا : أن الاسلام يفصل بين الزواج الدائم والزواج المنقطع، حيث أننا نجد كلا النوعين يعنيان التعدد الذي يحاول هؤلاء أن يجعلوه خلاف الوجدان، بينما لم يلحظه الاسلام بعين الاعتبار، وإنما فصل بينهما على أساس آخر هو تحمّل المسؤولية وعدمه.

فالزواج في الدائم يتحمل مسؤولية النفقة والقيمومة وتوابعهما، ولعله لهذا رأى الاسلام أن نوع الأزواج لا يمكن أن يتحملوا مسؤولية أكثر من أربع زوجات فجاء التحديد بالأربع، في حين أن المسؤولية معدومة في الزواج المنقطع حيث لا نفقة ولا قيمومة، فلها أن تخرج بغير إذنه وأمثال ذلك.

وحينما انتفت المسؤولية لم يجد الاسلام مانعاً من التعدد مهما بلغ، اللهم إلا إذا بلغ إلى حد يعجز فيه الشخص عن الاشباع الجنسي مما يؤدي إلى لجوء البعض منهن إلى الزنا.

منهج دراسة تعدد الزوجات :

من هنا يتضح أنه ينبغي لمن يريد دراسة هذه المسألة أن يسلك النحو التالي : فيبحث أولاً :

مسألة تعدد الزوجات بمعناها العام الشامل لنوعي الزواج، وبغض النظر عن عنصر تحمل أعباء المسؤولية، فيجد أنه هل يخالف الوجدان أم لا ؟ ولماذا سمح به الاسلام ؟ ويكون الجواب متضمناً لحقيقتين :

الحقيقة الاولى : عدم وجود المانع من التعدد. وهنا يُبحث عن الموانع المدّعاة، ويؤكد على أن الاسلام لا يعترف إلا بجائبين هما : مسألة تعيين النسل وعدم اختلاط المياه. ومسألة تشكيل الوحدة العائلية.

فيجب تأمين هذين العنصرين، ويمكن ضمانهما بمنع تعدّد الأزواج للنساء. فإذا كان

الزوج واحداً كان هو القيم على شؤون النساء من جهة، ولم تختلط الأنساب من جهة أخرى.

الحقيقة الثانية : وجود ملاكات للتعدد، ذكرت في الكتب وأشرنا إليها.

ثم يركز ثانياً : على جانب حمل أعباء المسؤولية الزوجية، حيث تنطرح هنا مشكلة العدالة فيعالجها الاسلام باتخاذ احتياطات عديدة :

الاول : التحديد بالاربع.

الثاني : تحريم درجة معينة من عدم العدالة وهو المفضي إلى التعليق.

الثالث : الأمر الاستحبابي بالاقتراب من العدالة الحقيقية.

الرابع : النهي التنزيهي عن التعدد عند الخوف من عدم العدالة. ولكن لماذا كان

هذا النهي تنزيهياً ؟

إن الجواب حينئذ يكمن في مرونة الاسلام التي مثلناها سابقاً، أو يقال في الجواب بأن عدم العدالة - أي ترك المساواة - إن وصل إلى حد الظلم فهو حرام، وذلك يكون بترك إحداهن كالمعلقة، أو ترك بعض حقوقها الواجبة. وإن لم يصل إلى هذا الحد لم يصلح ملاكاً لحرمة التعدد، وإنما يصلح ملاكاً لكراهته.

المثال الرابع : الحقوق المستحبة للزوج على الزوجة

فإننا لو قسنا احترام الزوجة للزوج إلى احترام الابن لوالده رأينا أن احترام الزوجة للزوج يرتبط قبل كل شيء بالعقل النظري الديني، لأنه يكمل قيمومة الرجل وإن كان يرتبط بالعقل العملي أيضاً، كشكر الرجل على خدماته للأسرة، في حين أن احترام الابن لوالده هو احترام يختص بجانب العقل العملي كشكر للوالدين على الاتعاب، لأن الاولاد والبالغين ليسوا بحاجة إلى الابوين بل قد ينعكس الامر : ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾^١. وعندما ينعكس الامر يأتي التأكيد الشديد ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو

كلامهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً^١.
 فاحترام الزوجة فيه جانب إكمال قيمة الرجل، ولعله يستفاد من الآية الشريفة
 ﴿الرجال قوامون على النساء... فالصالحات قانتات...﴾^٢. ولكننا مع ذلك ومع أهمية
 القيمة في نفسها وجدنا أن هذه الحقوق عادت مستحبة لا واجبة، وذلك لنكات ثلاث
 مر ذكر اثنتين منها وهي :

الاولى : وجود ملاك حرية المرأة.

الثانية : وجود ملاك خلق جو الألفة في البيت.

الثالثة : هذا الذي تحدثنا عنه، وهو عنصر المرونة، حيث أن الاحترام وإن كان يكمل
 المرونة إلا أنه قد يجرّ إلى تحكّم الرجل، بل قد يتمخض في التحكّم.
 ولما لم يكن هناك مقياس في البين ولا يمكن أن يسلم المقياس للزوجين إذ يختلفان
 في مصاديق التحكم، لهذا كان خير أسلوب هو جعل الطاعة مستحبة.

المصدر : كتاب التفسير في القرآن الكريم، ج ١، ص ١٠٠.

عَلَى نَبِيِّ عَجَزَلَةٍ فَلَوْهُ مِنْ نُبُوءِ
 إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي

النبي الكريم (ص)، كنز العمال ١١ : ٦٠٣

كُحَيْلَان

في مجلس النبي صلى الله عليه وآله

أبو اسامة (العراق)

في طريقه إلى مجلس النبي صلى الله عليه وآله الذي تعود أن يرتاده يومياً، بعد أن تحسس حلاوته وذاق طعم عطائه، قفزت إلى ذهنه «فكرة».. جعلته يقدم رجلاً ويؤخر الآخرى متردداً في مواصلة الطريق.. تلك هي أنه أحس من أعماقه بأن هاجساً يوحى له بالنقص والضعفة، ويشعره بالانتكاس والامتهان.. ولم لا يكون كذلك؟ وهو حافي القدمين، رث الثياب، خالي الجيب، لا يملك من القوت إلا ما لا يكاد أن يسد رمقه، ويملا بطون أطفاله وعياله.

هكذا بدأت الأفكار تتوارد مزدحمة إلى ذهنه، وهو يستعرض مفردات حياته المرة، وفصولها الأليمة، التي حكمت عليه بأن يكون بهذا المستوى من العيش الذي لا يُغبط عليه.

اضطرب في مشيته، وكاد أن يستدير منعطفاً عن الطريق، إلا أنه تذكر صورة النبي صلى الله عليه وآله وهو جالس يتوسط أصحابه وقد ارتسمت على شفثيه المقدستين ابتسامته الوديعه الهادئة، ف شعر بالاطمئنان، وأحس بالأمل والسكون يسري في مشاعره الهائجة. إنه غني، نعم إنه أغنى الأغنياء، لأنه يمتلك نعمة الايمان التي لا نهاية لها ولا حدود.

تذكر حينها موقفاً ضمّه إلى النبي صلى الله عليه وآله، تحدثا فيه عن مشاكل الحياة

ومصاعبها..وها هي كلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ما زالت حية في مسامعه، نابضة في ضميره :

- أترى أن كثرة المال هي الغنى ؟!

فتذكر أنه أجاب :

- نعم يا رسول الله !

فأردف رسول الله حينها قائلاً :

- أترى أن قلة المال هي الفقر ؟!

أجاب :

- نعم يا رسول الله !

فقال صلى الله عليه وآله :

- «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب»^(١).

وعندها تقدم بثبات، تملأ نفسه العزيمة، ويحدوه الايمان بالخالق الجبار، وإذا به وجهاً لوجه أمام القوم، وهم حاقون برسول الله صلى الله عليه وآله يتطلعون إليه، ويتجادبون أطراف الحديث معه، وهو يوزع نظراته عليهم، من دون أن يتجاوز منهم أحداً، صغيراً كان أم كبيراً، وغنياً كان أم فقيراً، يشاركونهم همومهم وآلامهم، ويملاً آفاقهم بالخير والسعادة والعطاء. تمت مسلماً، ومدَّ بصره أقصى القوم، فوجد المجلس مكتظاً بالوافدين، ما عدا فسحة صغيرة أفرجت بين النبي صلى الله عليه وآله وبين رجل بدت عليه آثار الأبهة والثراء !

همَّ بالرجوع، وإذا بصوت الرحمة يدعو للجلوس إلى جانبه، استجاب لهذا النداء، وتقدم متعترراً خجلاً، ترحلح النبي صلى الله عليه وآله احتراماً له، وأفسح له مكاناً للجلوس، ليتوسط بينه وبين صاحب الشأن الرفيع الذي أبى إلا أن يرقى إلى أبرز موضع في

المجلس، وأقرب محلّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله شامخاً بأنفه، منعزلاً في عليائه، منهمكاً بنفسه ومظهره، وظلّ ساكناً في مكانه، وكأنّ شيئاً لم يكن بقربه.

لملم الرجل الفقير ثيابه الممزّقة، وجمع نفسه، خشية أن يضيّق على النبي صلى الله عليه وآله مكانه، فمال على الرجل الثري منكفئاً، فما كان من الأخير إلا أن جرّ أذياله، وقبض رداءه من تحت فخذه، متأففاً ضجرأً، وانحرف بنفسه مبتعداً، وأظهر من عدم الارتياح ما لمس منه الحاضرون، وما غرز معه في نفس الرجل البائس سيوف المرارة والألم.

أبصر النبي صلى الله عليه وآله منه ذلك الموقف المتعسف، وقد بان عليه التأثير البالغ، والحزن العميق، فقال له :

- ما الذي حمّلك على ما صنعت ؟ !

أطرق الثري برأسه، ولم يحر جواباً.

ساد الأجواء صمت مطبق، وبدا الامتعاض جلياً على وجوه الحاضرين، وكانت لغة الاحتجاج تُقرأ بوضوح من خلال نظراتهم التي توجّهت مهستكرة نحو هذا الانسان المتجبر.

قطع النبي صلى الله عليه وآله هذا الصمت موجهاً خطابه للرجل :

- أخفت أن يمسك من فقره شيء ؟ !

- أم خفت أن يصيبه من غناك شيء ؟ !

- أم خفت أن يوسخ ثيابك ؟ !

أحسّ هذا الرجل بوخز الضمير، وأدرك بأنه قد انساق بفعل الايحاءات الشريرة الكامنة في نفسه، فهتف فيه نداء الفطرة بالتأنيب واللوم، فقال:

- لا يا رسول الله !

فقال له الرسول صلى الله عليه وآله : فما حملك على ما صنعت ؟

فاندفع الرجل قائلاً :

- يا رسول الله ! إنَّ لي قريناً يزِين لي كل قبيح، ويقبَح لي كلَّ حسن، وقد أخطأت وأريد أن أجبر خطأي.

فقال رسول الانسانية صلى الله عليه وآله :

- لا بأس عليك.

فأردف الرجل يقول :

- يا رسول الله، لقد جعلتُ لهذا الرجل الفقير نصف مالي، هديةً له، جبراً لما ناله مني أمام هؤلاء الحاضرين، عسى أن يشفع لي ذلك عنده في قبوله عذري.
فدار همس بين القوم، وانشدت العيون طامحة نحو الرجل الفقير الذي أطرق برأسه متأثلاً.

بدا للحاضرين أول وهلة أنَّ الرجل وبعد أن استمع لهذا المقترح المفاجيء، أراد أن يعقِّب على هذا الكلام، ويندفع لقبول الاقتراح بقوة، ويقدم الشكر لهذا الرجل الذي يطرح بين يديه مثل هذا العرض المغري، والثروة الطائلة.

ولكنه لم يكن ليفكر بأي شيء من هذا الحطام الزائل، لأنه يعيش الآن كلمات النبي صلى الله عليه وآله التي ناغمت روحه وأيقظت ضميره، وتسربت إلى أعماق قلبه :
«إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب».

وتلَّسَّ عزَّة نفسه وغنى روحه، بفضل قناعته وإيمانه، وشعر بأنه غني غنى لا فقر معه، كبير في عين خالقه الذي يرعاه ويحرسه.

يدرك النبي صلى الله عليه وآله منه ذلك، فيأبى صلى الله عليه وآله إلا أن يصل إلى الغاية من تلقين الأجيال هذا الدرس الانساني الرفيع، فيستنطق الرجل قائلاً :

- أترضى بهذا الذي يقول ؟

أجاب الرجل بهدوء وارتياح :

- لا يا رسول الله !!!

فاشرأبت أعناق القوم دهشةً إليه، وصُعق الرجل من هذا الرفض القاطع..
انطلقت من حناجر الرجال مجتمعةً عبارة استفهام طويلة :
-ولماذا ؟!

قال الرجل وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة القناعة والرضا :
-إني أخاف إن أنا ملكت هذا المال أن يدخلني ما دخله !

رجلان في مجلس النبي صلى الله عليه وآله

جاء رجل موسر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نقي الثوب فجلس إلى رسول الله، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أخفت أن يمسك من فقره شيء ؟ قال : لا، قال : فخفت أن يصيبه من غناك شيء ؟ قال : لا، قال فخفت أن يوسخ ثيابك ؟ قال : لا، قال : فما حملك على ما صنعت ؟

فقال : يا رسول الله، إن لي قريباً يزين لي كل قبيح، ويقبح لي كل حسن. وقد جعلت له نصف مالي !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للمعسر : أتقبل ؟ قال : لا، فقال له الرجل : لِمَ ؟ قال : أخاف أن يدخلني ما دخلك !.

(أصول الكافي ٢ : ٢٦٢، وعنه بحار الأنوار ٧٢ : ١٣).

نُصُوصٌ مُخْتَارَةٌ

عبد الكريم رؤوف (العراق)

تعريف بحديث الثقلين

ما أكثر مَنْ كُتِبَ وما كُتِبَ بشأن هذا الحديث، إلّا أنّ سلاسة ألفاظه، وفصاحة

بيانه تغني عن سبر هاتيك الكتب المبسوطة للحصول على ما يدلّ عليه هذا الحديث، بل إنّ إلقاء نظرة واحدة على فصيح عبارته يجعل القاريء مطمئنّ القلب بما دلّ عليه الحديث. واثق النفس بما أفاده. ولعلّ جلّ الأحاديث الشريفة تمتاز بهذه الصفات. وذلك راجع إلى بلاغة الرسول صلّى الله عليه وآله وبيانه المفهوم لكلّ أحد : العامّ والخاصّ، والعالم والجاهل، والفصيح والألكن، والذكي والغبي، خصوصاً فيما يريد به إعلام هؤلاء جميعاً وإقامة الحجّة عليهم كافة، وقطع المعاذير منهم أجمع^١.

بسم الله

الشيخ الإمام الحسين

أهميته وشهرته :

إن حديث «الثقلين» من ذلك البيان الذي عُني به إعلام الناس عامّة، بالنظر لاكتسابه أهمية خاصة في حياة الأمة السياسيّة والدينيّة، حيث يتجلّى أمر الإمامة في حياة الأمة، والأكثر من ذلك في كون : إن في الإمامة حياة الأمة من كلّ ناحية، أليس الإمام قائماً بجميع وظائف الرسول ؟ ولا تفوته إلا النبوة ؟ تلك المنزلة الخاصة. فالإمام هو المرجع لتلك المقاصد السامية التي يشر بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في دعوته، ودعائها الناس إلى اقتطاف ثمار السعادة عاجلاً وآجلاً.

وهذه المقاصد هي كلّ شيء في حياتي الأمة، فالأمة في حاجة لا مناص عنها إلى الإمام المصلح في جميع شؤون الحياتين، أقصد السياسيّة والدينيّة.

فلما كانت الأمة معنيّة جمعاء بهذا الحديث الشريف حقّ أن يكون صالحاً كلّ الصلاح - لما فيه من فصاحة البيان وسلاسة التعبير - لأن تقوم به الحجّة عليهم جميعاً، ويقوى الكلّ على فهم القصد منه من دون كلفة وعناء.

لقد بلغ هذا الحديث من الشهرة ما أغنى عن استطراد مصادره، فقد رواه الفريقان، واعترفت به الفرقتان، وعرفه الخاصّ والعام، بل حفظه الصغير والكبير، والعالم والجاهل، فهو فاكهة الأندية الذي تتعطر بنكهة مذاقه الأفواه، حتّى لقد كاد أن يتجاوز

مَحَقَّقَاتُ حَدِّ التَّوَاتُرِ^١.

مخرجه ورواته :

أخرجه الحفاظ وأئمة الحديث في الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم بطرق كثيرة صحيحة، حتَّى ناهز عدد رواته من الصحابة بضعة وثلاثين صحابياً وصحابة، وهم^٢ :

- | | |
|--|----------------------------------|
| ١ - أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. | ١٣ - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين. |
| ٢ - الإمام السبط الحسن بن عليّ عليهما السلام. | ١٤ - زيد بن ثابت. |
| ٣ - سلمان الفارسي. | ١٥ - أبو هريرة. |
| ٤ - أبوذر الغفاري | ١٦ - عبد الله بن حنطب. |
| ٥ - عبد الله بن عباس. | ١٧ - جبير بن مطعم. |
| ٦ - زيد بن أرقم. | ١٨ - البراء بن عازب. |
| ٧ - أبو سعيد الخدري. | ١٩ - أنس بن مالك. |
| ٨ - جابر بن عبد الله الأنصاري. | ٢٠ - طلحة بن عبد الله التيمي. |
| ٩ - أبو الهيثم بن التيهان. | ٢١ - عبد الرحمن بن عوف. |
| ١٠ - أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله. | ٢٢ - سعد بن أبي وقاص. |
| ١١ - حذيفة بن اليمان. | ٢٣ - عمرو بن العاص. |
| ١٢ - حذيفة بن أسيد الغفاري. | ٢٤ - سهل بن سعد الأنصاري. |
| | ٢٥ - عديّ بن حاتم. |
| | ٢٦ - عقبة بن عامر. |
| | ٢٧ - أبو أيوب الأنصاري. |

- ٢٨ - أبو شريح الخزاعي. عليها السلام.
- ٢٩ - أبو قدامة الأنصاري. ٣٤ - أم المؤمنين أم سلمة
- ٣٠ - أبو ليلى الأنصاري. رضي الله عنها.
- ٣١ - ضميرة الأسلمي. ٣٥ - أم هاني أخت الإمام علي
- ٣٢ - عامر بن ليلى بن ضمرة. عليه السلام.
- ٣٣ - سيدتنا فاطمة الزهراء

مواطن إعلانه :

لَمَّا أَحَسَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَرَبِ أَجَلِهِ، أَوْصَى أُمَّتَهُ بِأَهَمِّ الْأُمُورِ لَدَيْهِ وَأَعَزَّهَا عَلَيْهِ، وَهَمًّا ثَقَلَاهُ وَخَلِيفَتَاهُ - كَمَا فِي بَعْضِ نَصُوصِهِ - وَحَثَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِمَا وَاتِّبَاعِهِمَا، وَحَذَّرَ مَنْ تَرَكَهُمَا وَالتَّخَلَّفَ عَنْهُمَا. وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَوَاقِفَ مَشْهُودَةٍ، فَأَعْلَنَهَا صِرْخَةً مَدْوِيَّةً كُلَّمَا وَجَدَ تَجَمُّعًا مِنَ الْأُمَّةِ وَمَحْتَشِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ، لِيَبْلُغُوهُ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَيُنْقِلُوهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ صَدَعَ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ :

١ - موقف يوم عرفة.

٢ - موقف يوم الغدير بالجحفة.

٣ - موقف في المسجد بالمدينة.

٤ - موقف في مرضه في الحجرة ببيته عندما اكتضت بالناس.

والموقفان الأول والثاني هما أكبر تجمع للأمة في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فاستغلَّهما فرصة مواتية، فعهد إلى أُمَّتِهِ عَهْدَهُ، وَأَوْصَاهُمْ بِأَهَمِّ مَا كَانَ مَعْتَلِجًا فِي صَدْرِهِ، وَهُوَ نَصَبُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْحَثُّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ وَالْعَتَرَةِ، وَصَرَّحَ بِأَنَّ ذَلِكَ مَدَارُ الْهَدَايَةِ وَالضَّلَالَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَتِ الْفَتْرَةُ الزَّمَنِيَّةُ لِكُلِّ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْأَرْبَعَةِ أَقَلَّ مِنْ

تَحَقُّقَات

تسعين يوماً. فقد كَرَّرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ الْأَمْرَ عَلَى أُمَّتِهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ خِلَالَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ دَلَالَةً عَلَى شِدَّةِ اهْتِمَامِهِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْمَصِيرِيِّ، وَانْشَغَالِهِ بِهِ مِنْ حِينَ حَجَّ بِالنَّاسِ وَرَأَاهُمْ مُلْتَقِينَ حَوْلَهُ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ^١.

نصوصه :

اختلفت الروايات في نَصِّ هذا الحديث الشريف، غير أنَّ الاختلاف الذي جاء فيه لا يغيِّر مفاده، ولا يجعل منه منزعاً للتأويل الزائغ، ولا ذريعةً للفرار عما أُلْزِمَ به منطوقه. وهذا الاختلاف يشهد لما قيل : من أنَّ الرسول الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ نَطَقَ بِمَقَادِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي عِدَّةٍ مِنْ مَوَاطِنَ، مُرَاعِيًا وَحْدَةَ الْغُرُصِ وَالْمَعْنَى، كَمَا إِنْ تَعَدَّدَ رَوَاتُهُ وَطُرُقُ رَوَايَتِهِ يَنْبُشْنَا عَنْ تَعَدُّدِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ.

ويمكن إجمال النصوص التي ورد بها الحديث بثلاثة نماذج :

١ - النَصُّ المختصر لحديث الثقلين :

أَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُوفِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا : كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي^٢ . »
ورواه بلفظ مقارب عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلِّ مِنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ وَأُمِّ هَانِي

(١) تراثنا، العدد الرابع، السنة الثانية، أهل البيت في المكتبة العربية، القسم الثامن : ٣٢٥.

(٢) صحيح الترمذي ٥ : ٦٦٢، في كتاب المناقب، باب ٢٢ بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام. وإكمال الدين للشيخ الصدوق ١ : ٢٣٧، الحديث ٥٣. وجامع الأصول لمجد الدين ابن الأثير الجزري ١٠ : ٤٧٠. وبحار الأنوار ٢٣ : ١١٨، الحديث ٣٥. ونوادر الأصول : ٦٨. ومصابيح السنة للبهقي : ٢٠٦. وتفسير ابن كثير ٥ : ٦٦٢. وكثير غيرهم.

بنت أبي طالب وأم سلمة وجبير بن مطعم وزيد بن ثابت وضميرة الأسلمي وعبد الله بن حنطب وعمرو بن العاص وأبي هريرة.

٢ - النّصّ المتوسّط لحديث الثقلين :

أخرج أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بـ (ابن عقدة)، عن طريق سعد بن ظريف عن الأصمغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين، الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأما الأكبر هو جبل بيد الله طرفه، والطرف الآخر بأيديكم، وهو كتاب الله، إن تمسكتم به لن تضلّوا ولن تذلّوا أبداً، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت ذلك لهما فأعطاني، والله سائلكم كيف خلفتموني في كتاب الله وأهل بيتي»^١.

ورواه بلفظ مقارب عن رسول الله صلى الله عليه وآله كل من فاطمة الزهراء عليها السلام والامام الحسن بن علي عليهما السلام وأبو سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأنس بن مالك.

٣ - النّصّ المطوّل لحديث الثقلين :

أخرج الحافظ الطبراني قال : حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وزكريا بن يحيى الساجي قالا : حدّثنا نصر بن عبد الرحمن الوشاء وأحمد بن القاسم بن مساور الجوهري قالا : حدّثنا سعيد بن سليمان الواسطي قال : حدّثنا زيد بن الحسن الأنماطي عن معروف بن خربوذ المكي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع قال :

«أيها الناس إني قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لم يمّر نبيّ إلّا نصف عمر الذي يليه من قبله.

(١) كتاب الموالات لابن عقدة الكوفي أحمد بن محمد بن سعيد. وكنز العمال ١ : ٣٤٠. ومقتل الحسين للخوارزمي ١ : ١١٤ بإسناده عن زيد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وينابيع المودة : ٣٤ و ١١٤ و ١١٦. وفرائد السمطين للحموي ١ : ١٤٧ بإسناده عن ابن بابويه. وكثير غيرهم.

تَحْقِيقَات

وَأَنِّي لَأُظَنُّ أَنِّي يَوْشَكُ أَنْ أَدْعَى فَأُجِيبَ.

وَأَنِّي مُسْئِلٌ وَأَنْتُمْ مُسْئِلُونَ.

فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟

قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَجْهَكَ وَنَصَحْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

فَقَالَ : أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ

الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي

الْقُبُورِ ؟

قَالُوا : بَلَى نَشْهَدُ بِذَلِكَ.

قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، يَعْنِي عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَاوَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ.

ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنْتُمْ تَرُدُّونَ عَلَيَّ، وَإِنِّي سَائِلُكُمْ عَنِ الثَّقَلَيْنِ، فَانظُرُوا

كَيْفَ تَخْلِفُونِي فِيهِمَا :

الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَبَبُ طَرَفِهِ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ وَلَا

تَضَلُّوا وَلَا تَبَدَّلُوا.

وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي.

فَبَإَنَّهُ قَدْ نَبَأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَتَهُمَا لَنْ يَنْقُضِيَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ^١.

وَرَوَاهُ بِلَفْظٍ مُقَارِبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلِّ مَنْ خَزِيمَةٌ بَيْنَ ثَابِتٍ وَعَدِي بْنِ

(١) المعجم الكبير للحافظ الطبراني : ١٥٧ «النسخة المصورة عن المخطوطة». ونوادر الأصول للحكيم الترمذي. ووسيلة المآل لأحمد بن الفضل بن محمد باكتبر الحضرمي : ١١٨ (مخطوط). والجامع الصغير للسيوطي : ٧ : ٦٤٠ وكفاية الأثر لأبي القاسم الخزار الرازي : ١٧. وفرائد السمطين للحموي : ٢ : ٢٧٤. وبحار الأنوار للمجلسي : ٣٦ : ٣٢٨. ونبايح المودة للفندوزي : ٣٠ و ٣٥ و ٣٧. وكثير غيرهم.

حاتم وعقبة بن عامر وأبو أيوب الأنصاري وأبو شريح الخزاعي وأبو قدامة الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان وأبو ليلى الأنصاري وسهل بن سعد وعامر بن أبي ليلى بن ضمرة.

إحصائية

«في رواية حديث الغدير»

أ - رواه من الصحابة	(١١٠) صحابياً	الغدير ١ : ١٤ - ٦١
ب - رواه من التابعين	(٨٤) تابعياً	٧٢ - ٦٢ : . . .
ج - رواه من المحدثون من أهل السنة في :		
١ - القرن الثاني	(٥٦) محدثاً	٨١ - ٧٣ . . .
٢ - الثالث	(٩٢) .	٩٩ - ٨٢ . . .
٣ - الرابع	(٤٣) .	١٠٧ - ٩٩ . . .
٤ - الخامس	(٢٤) .	١١٢ - ١٠٧ . . .
٥ - السادس	(٢٠) .	١١٧ - ١١٣ . . .
٦ - السابع	(٢١) .	١٢٣ - ١١٨ . . .
٧ - الثامن	(١٨) .	١٢٨ - ١٢٣ . . .
٨ - التاسع	(١٦) .	١٣٣ - ١٢٨ . . .
٩ - العاشر	(١٤) .	١٣٧ - ١٣٣ . . .
١٠ - الحاديس عشر	(١٢) .	١٤١ - ١٣٧ . . .
١١ - الثاني عشر	(١٣) .	١٤٤ - ١٤١ . . .
١٢ - الثالث عشر	(١٢) .	١٤٧ - ١٤٥ . . .
١٢ - الرابع عشر	(١٩) .	١٥١ - ١٤٧ . . .

نَدْوَةٌ جَوْلَ مَاضِي التَّشْيِيعِ وَحَاضِرِهِ

الدكتور محمد علي أذرشب

عقدت خلال الفترة من (٢١ - ٢٣ / شعبان / ١٤١٣ هـ. المصادف ١٣ - ١٥ / فبراير / ١٩٩٣ م.) ندوة أقيمتها «وقف دراسات العلوم الإسلامية» في استانبول بتركيا تحت عنوان «ساضي التشيع وحاضره». وقد حضر الندوة وفود مشاركة من مجموعة من الدول الإسلامية كمصر والسعودية والأردن وسوريا والعراق والباكستان والجمهورية الإسلامية في إيران التي نظم ولدها لجنة من العلماء والمفكرين والأساتذة الممثلين للمجتمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام. وقد زوّدنا أحد أعضاء الوفد - الدكتور محمد علي أذرشب - بالتقرير التالي عن هذه الندوة.

بعد أن استلم الحزب الديمقراطي مقاليد السلطة في تركيا سنة ١٩٥٠ م، ساد البلاد نوع من الحرية لممارسة النشاطات الدينية، وبدأ الاسلاميون يتحركون بصورة علنية. ونشطت جماعة النور* خلال هذه السنوات في فتح مراكز قراءة القرآن وتحفيظه بشكل واسع، وهي عملية ليست يسيرة في ذلك الشعب الذي انقطع عن اللغة العربية بل حتى عن الأذان العربي، وربّت الجماعة جيلاً يستطيع أن يقرأ كلام الله ويعي مفاهيمه ويعيش روحه.

ومما قامت به هذه الجماعة من نشاطات تأسيس «الوقف». والوقف، هو المؤسسة أو

(٥) سيرد التعريف بجماعة النور ملحقاً بهذا التقرير.

الجمعية التي يوظف أفرادها أموالهم للصالح العام. والقانون التركي يسمح بتأسيس مثل هذا «الوقف».. وتحت هذا العنوان نشأت مراكز قراءة القرآن وتحفيظه، ومراكز الدراسات الإسلامية، ومراكز النشر والتوزيع..

وقف الدراسات الإسلامية

لقد كان اشتراكنا في ندوة التشيع باستانبول فرصة، لنطلع على وقف الدراسات الإسلامية الذي تبنى إقامة هذه الندوة.. فسرنا من الاعماق ما شاهدناه من نشاط إسلامي علمي دؤوب مثمر في هذا الوقف.

أهداف الوقف

لخص الوقف أهدافه فيما يلي :

- ١ - أليقيام بأبحاث ودراسات في كافة مجالات العلوم الإسلامية.
- ٢ - تنشئة جيل من العلماء الباحثين.
- ٣ - عقد مؤتمرات وندوات علمية عند اللزوم للاستفادة من خبرة العلماء الأجانب.
- ٤ - ارسال العلماء الاتراك للقيام بأبحاث علمية إسلامية الى خارج البلاد.
- ٥ - إقامة صلات وعلاقات مع المعاهد والمؤسسات العلمية الأجنبية التي تهتم بهذا النوع من الدراسات العلمية، والاشتراك في الندوات والمؤتمرات العلمية الأجنبية من خلال ممثلين يرسلون لذلك الغرض.
- ٦ - إنشاء مكتبة في مبنى الوقف.
- ٧ - إعداد مكاتب خاصة ليقوم فيها الدارسون بأبحاثهم.
- ٨ - إمداد الباحثين بمساعدات عند اللزوم.
- ٩ - تقييم الأبحاث والدراسات والمؤلفات العلمية التي قام بها العلماء المسلمون

وغيرهم على أساس المقارنة.

١٠- القيام بأبحاث في القرآن الكريم والحديث النبوي للعمل على تخليص الاسلام مما علق به من عناصر دخيلة خلال عصور التاريخ المختلفة، وتقييم الابحاث والدراسات التي أُجريت في هذا المضمار حسب تاريخ تأليفها، والعمل على ترجمة ما يصلح منها الى اللغة التركية ونشرها.

١١- ابراز مكانة العلماء المسلمين والدور الذي قاموا به في إرساء قواعد الحضارة الحديثة وتطورها^١.

زرنا مبنى الوقف، وهو بناية انيقة ذات خمسة طوابق وسرداب. خصّص الطابق الارضي والسرداب لنشاطات النشر وبيع الكتب، والطابق الثاني للمحاضرات والثالث للادارة والرابع للمكتبة، والخامس للندوات العلمية.

رئيس الوقف الاستاذ الدكتور على اوزك رجل متدّين نشط يحمل همّ الاسلامي الى جانب خلق كريم اثار اعجاب كل اعضاء الوفد الايراني، وهو استاذ قسم التفسير بكلية الإلهيات في جامعة مرمره، يحسن اللغة العربية، ويتحدّث بها بكل فصاحة.

والرئيس الثاني الاستاذ الدكتور صالح طوغ عميد كلية الإلهيات بجامعة مرمره، وهو استاذ متعمّق في دراسة التراث، عالم موضوعي دقيق في طرح المسائل العلمية، مهتم اشدّ الاهتمام في تربية الجيل الاسلامي. وبعد انتهاء الندوة استقبلنا في مكتبه بعمادة الكلية، ودارت بيننا احاديث ودّية سارة.

للوقف حلقات دروس علمية اسبوعية في التفسير والحديث النبوي واساليب البحث العلمي والفقه واللغة العربية.

كما أقام الوفد قرابة العشرين ندوة علمية اسلامية طبعت بحوثها بالتركية مع خلاصة

(١) نشرة «وقف الدراسات الاسلامية».

باللغتين العربية والانجليزية، ونشر ما يقارب عشرين كتاباً في مختلف المجالات الاسلامية.

ندوة : ماضي التشيع وحاضره

ومما اقدم عليه الوقف في حقل نشاطه العلمي دراسة التشيع، وقد وضعت الخطة قبل ثلاث سنوات، وتصدّئ عدد من الاساتذة الاثراك لهذه الدراسة. فقسمت الدراسة الى محاور والتزم كل أستاذ بمحور معيّن. ثم قام هؤلاء الاساتذة بسفرة برّية الى الجمهورية الاسلامية في إيران وتجوّلوا في عدد من المدن الايرانية والتّقوا عدداً من العلماء والمفكرين وزاروا بعض المراكز، وذلك من أجل القيام ببحث ميداني يوثّق دراستهم. وتمخّض النشاط العلمي هذا عن ستة عشر بحثاً على النحو التالي :

المبحث الأول : نشأة الشيعة وتطورها. للاستاذ الدكتور أدهم روي فغلالي رئيس جامعة موغلا.

المبحث الثاني : الشيعة من القرن العاشر الى القرن العشرين. للاستاذ الدكتور اسماعيل آقا مدير معهد العلوم الاجتماعية بجامعة أيجي.

المبحث الثالث : الشيعة في القرن العشرين والثورة الاسلامية في ايران. للاستاذ المساعد الدكتور حسن أوناظ أستاذ في كلية الالهيات بجامعة أنقرة.

المبحث الرابع : آراء الشيعة المتعلقة بعلوم القرآن. للاستاذ المساعد الدكتور موسى كاظم يلماز خبير برئاسة الشؤون الدينية.

المبحث الخامس : آراء الامامية الاثني عشرية في تفسير القرآن. للاستاذ الدكتور علي أوزك استاذ التفسير بكلية الالهيات بجامعة مرمرة.

المبحث السادس : فهم الشيعة الامامية للحديث النبوي. للاستاذ الدكتور جمال صوفو أوغلي استاذ في كلية الالهيات بجامعة ٩ سبتمبر.

المبحث السابع : اصول الفقه والادلة الشرعية عند الشيعة. للاستاذ الدكتور خير الدين فرمان استاذ في كلية الالهيّات بجامعة مرمرة.

المبحث الثامن : التفكير الشيعي السياسي التقليدي ومفهوم ولاية الفقيه عند الامام الخميني. للاستاذ المساعد الدكتور اسماعيل اوستون استاذ في كلية الالهيّات بجامعة مرمرة.

المبحث التاسع : اصول الدين عند الشيعة. للاستاذ الدكتور عوني ايلخان استاذ في كلية الالهيّات بجامعة ٩ سبتمبر.

المبحث العاشر : فروع الدين (الأحوال الشخصية) عند الشيعة. للاستاذ الدكتور عبد القادر شمر استاذ في كلية الالهيّات بجامعة ٩ سبتمبر.

المبحث الحادي عشر : فروع الدين (العبادات) عند الشيعة. للاستاذ المساعد الدكتور ابراهيم جاليشقان استاذ كلية الالهيّات بجامعة أنقرة.

المبحث الثاني عشر : التصوف عند الشيعة. للاستاذ المساعد الدكتور سليمان اولوراغ استاذ كلية الالهيّات بجامعة اولوراغ.

المبحث الثالث عشر : مذهب الزيدية. للاستاذ المساعد الدكتور عيسى طوفان استاذ في كلية الالهيّات بجامعة ٩ سبتمبر.

المبحث الرابع عشر : مذهب الاسماعيلية. للاستاذ المساعد الدكتور مصطفى أوز استاذ في كلية الالهيّات بجامعة مرمرة.

المبحث الخامس عشر : تقييم حول أسس الاعتقاد وطراز العبادات في مذهب الاسماعيلية. للاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغل استاذ في كلية الالهيّات بجامعة مرمرة.

المبحث السادس عشر : تقييم حول آراء الامامية في اصول الدين. للاستاذ المساعد يوسف شوقي ياووز، استاذ بكلية الالهيّات بجامعة مرمرة.

هذه البحوث الستة عشر أُلقيت خلال أيام الندوة الثلاثة وخصّص بعد كل بحث وقت

للمذاكرة والمناقشة. والوقت المخصص للمذاكرين كان أكثر من وقت المناقشة. وكان الوفد الإيراني له سهمه في المذاكرات والمناقشات. وهكذا بقية المدعوين من داخل تركيا وخارجها.

الجلسة الافتتاحية انعقدت برئاسة الدكتور اكمل الدين احسان اوغلي الاستاذ في كلية الآداب بجامعة استانبول ورئيس مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي، وهو من وجوه التواصل الثقافي المعروفة في العالم الاسلامي. القى الدكتور احسان كلمة شكر وتوضيح لاهداف الندوة. وارتأت ادارة الندوة أن يتكلم في جلسة الافتتاح ممثل عن أهل السنة وممثل عن الشيعة. فاستدعي الدكتور عبد الله المصلح رئيس جامعة آل سعود فرع أبها، فألقى كلمة. ثم استدعيت أنا لالقاء كلمة، فكان للكلمتين أثر كبير في نفوس العلماء الاتراك لما فيهما من روح تفاهم علمي يسمو على الاختلافات البسيطة، ولما فيهما من توجه نحو فهم أوسع لقضايانا المعاصرة.

والقى في الجلسة أيضاً الاستاذ الدكتور علي اوزك كلمة شرح فيها الجهود النظرية الميدانية التي بذلها العلماء الاتراك في بحوثهم الستة عشر من أجل أن يتعرفوا التشيع ويعرفوه.

ثم توالى البحوث والمناقشات على مدى ثلاثة أيام. واشترك في المذاكرات والمناقشات من ضيوف تركيا اساتذة وعلماء من السعودية والاردن وسوريا والعراق وباكستان والجمهورية الاسلامية في إيران.

وكان المشاركون من الجمهورية الاسلامية في إيران: آية الله الشيخ جعفر السبحاني، وآية الله الشيخ محمد إبراهيم جتائي، وآية الله السيد مهدي الروحاني، وآية الله الشيخ محمد واعظ زاده خراساني، والأستاذ الدكتور السيد محمد باقر حجتني، وكاتب هذه السطور.

تقويم الندوة :

إتسمت الندوة في جانبها الايجابي بما يلي :

١ - سيطرة الروح العلمية على البحوث والمناقشات والبعد عن كل ما من شأنه أن يثير الحزازات والحساسيات. فكان المرجع الوحيد لكل ما قيل كتاب الله وسنة رسوله والاجتهاد العلمي البناء والمشاهدات الملموسة.

٢ - هيمنة روح التقريب والوحدة الاسلامية، بحيث كان جو الندوة يرحب تماماً بكل فكرة وعبرة تطرح للتعبير عن وحدة الامة الاسلامية وضرورة رص صفوفها وتجاوز الخلافات الفرعية بينها.

٣ - الحضور العلمي المستمر للمدعوين الاثراك بشكل خاص. فمع أن قاعة إقامة الندوة كانت في فندق ناءٍ تقريباً عن مركز مدينة استانبول، إلا أن الحضور كان متواصلاً منتظماً من قبل الاساتذة والطلاب الاثراك والمتابعة كانت متواصلة ودقيقة.

٤ - المسؤولون عن الندوة وفروا كل ظروف الإقامة المريحة للمدعوين حيث انشغلوا خلال أيام الندوة بعمل علمي مستمر وتواصل ثقافي بناء دون أن يشغل ذهنهم أي شيء آخر.

٥ - الروح العلمية الدؤوبة المخلصة التي تميز بها الباحثون الاثراك، فقد بذل كل منهم جهداً واسعاً لتقصي أطراف موضوع بحثه، إضافة الى قيامهم بزيارة ميدانية لإيران تقصوا فيها الحقائق عن طريق المشاهدة واللقاء والمطالعة.

٦ - التدوين الواضح على الباحثين. ولقد كنّا نخال قبل التقاء هؤلاء الاخوة أنهم أكاديميون على الطريقة الشرقية المألوفة للمعنى الاكاديمي.

لقد شاعت - مع الأسف - ردهاً من الزمن في اوساط الجامعيين الشرقيين أن التنكّر للدين والاستهانة بالقيم الدينية صفة لازمة للاكاديمي !! لكننا سررنا من الاعماق حين

وجدنا هؤلاء الاخوة الجامعيين الاتراك متدينين ملتزمين، بل أكثر من ذلك يحملون هموماً رسالية ووعياً لقضايا الاسلام في عالمنا المعاصر.. ولا ينس القاريء أن ذلك كان في تركيا.. نعم في تركيا !!

وثمة ملاحظات

ثمة ظواهر لمسناها في الندوة تنم عن محاولات أرادت لبحوث الندوة أن تتجه إتجهاً طائفيًا.. سياسيًا.. ولكن رعاية الله سبحانه للندوة والجهود العلمي الذي طغى عليها والروح العلمية التقريبية لدى الباحثين فوّتت الفرصة على هذه المحاولات، وواصلت الندوة سيرتها عبر أسلوب علمي رصين متّزن.

وبالنسبة لنفس البحوث كان بإمكانها أن تكون أكثر عمقاً لو كانت هناك صلات مستمرة خلال الاعوام الثلاثة من إعدادها بين العلماء الاتراك والعلماء الإيرانيين. فمثل هذه الصلات كانت تفتح المجال أمام الباحثين ليطلعوا على مزيد من المصادر وليعرفوا وجهة نظر الشيعة الامامية بالنسبة لما يوجد في كثير من كتب الشيعة من روايات ضعيفة غير مقبولة، ولما اعتري تاريخ التشيع من ظهور فرق الغلاة، وظهور الاتجاه الأخباري الذي يلتزم بالرواية مهما بلغ ضعفها.

ويظهر مما طرح في البحوث والمناقشات أن الهجمة الشرسة التي تعرّض لها التشيع خلال العقد الاخير لاسباب سياسية تركت آثارها في الازهان، وخلقت نوعاً من الحواجز النفسية. غير أن دور هذه الندوة في إزالة تلك الآثار كان مشكوراً.

ثمة ملاحظة أخرى هي أن الفرصة المتاحة للإجابة على ما طُرح في البحوث كان محدوداً جداً، بحيث ما كان بالإمكان أن يكون هناك توازن وتعادل في طرح الرأي والرأي الآخر. ولكن مع ذلك تمّت الإجابة على كثير من الشبهات المطروحة. وبشكل عام يمكن اعتبار هذه الندوة أول ندوة علمية أكاديمية في التاريخ المعاصر

ناقشت مسألة التشييع على هذا المستوى من الدقة العلمية والروح الموضوعية. وهذه خطوة رائعة يحقّ لوقف الدراسات الاسلامية أن يعتز بها ويجعلها في صدر قائمة نشاطاته العلمية.

البيان الختامي :

على هامش المؤتمر عقد الدكتور اكمل الدين احسان اوغلو جلسة مصغرة مع بعض المدعوين ورئيس الوقف لوضع الخطوط العامة لبيان نهائي يعبر عن روح الندوة وما أسفرت عنه من بحوث.

أكد الدكتور أكمل الدين أنّ الكلمتين اللتين أُلقيتا في الحفل الافتتاحي وقرتا أجواء طيبة وافتاحاً بناءً نستطيع أن نستثمره من خلال بيان نهائي. وبعد مداولات تقرر أن يكتب البيان بصيغة تقرب ولا تباعد، وتوحد ولا تفرق. ثم طرحت في اجتماع آخر لهذه المجموعة المصغرة مسألة خلافة لا يجمع عليها كل المسلمين، وأصرّ الاخ العزيز السعودي أن تدرج ضمن البيان النهائي.. وكلّما حاولنا أن نقنعه بأننا في غنى عن طرح هذه المسائل الخلافة.. لم نفلح. وأخيراً اتفقنا على أن لا يكون هناك بيان نهائي مكتوب. بل إنّ مجموعة من الاساتذة المشاركين في الندوة سيلخّصون ما طرح فيها من بحوث ودارت خلالها من مناقشات ويخرجون بالنتيجة النهائية للندوة.

وفي الجلسة الختامية التقييمية تحدّث أربعة من الاساتذة العلماء الاتراك، مقومين بحوث الندوة ومستعرضين نتائجها. ثم ألقى متحدّث من كلّ بلد كلمة وكنت المتحدّث عن الجمهورية الاسلامية في إيران فأكدت فيها أن ما ألقاه العلماء الاتراك الاربعة في هذه الجلسة هو البيان النهائي الذي يعبر عن روح الندوة، وتقدّمت بالشكر وبيّعت الملاحظات، وبالتثمين والتقدير وبال دعوة لانعقاد الندوة القادمة في طهران، وتطرّقت الى بعض جراحات عالمنا الاسلامي، وما يتعرّض له المسلمون من تحدّيات تستهدف

النيل من كرامتهم ومقدساتهم وهويتهم.

ولأهمية ما ألقاه الاساتذة الأتراك في هذه الجلسة التكوينية أذكر أدناه موجزاً لأحاديثهم من خلال رؤوس النقاط التي دُونتها في مذكرتي خلال إلقاء كلماتهم.

البروفسور صالح طوغ :

ركز الاستاذ الدكتور صالح على ضرورة التطلّع نحو المستقبل، فالماضي يحمل تركة ثقيلة نحن في غنى عن الخوض فيها..ولا فائدة من إثارة نزاعات أكل الدهر عليها وشرب، ومن الأفضل والانفع أن نتطلّع الى المستقبل.

وقال : نحن المسلمون أمة واحدة شئنا أم أبينا..نحن كراكيبي سفينة إما أن ننجو جميعاً أو نهلك جميعاً..ومن هنا فإن مصلحة دنيانا وآخرتنا تقتضي أن نركّز على مواطن الاتفاق والاتحاد.

وأشار الاستاذ الى مسألة (ولاية الفقيه) وقال : إنها - خلاف ما أشاع البعض عنها- تستطيع أن تكون محور تجمّع المسلمين. وقال إن مشروع ولاية الفقيه يجب دراسته والتعمّق فيه، واقترح إقامة ندوة خاصه حول (اجتماع المسلمين حول محور ولاية الفقيه).

البروفسور حسين أطاي :

تحدّث الاستاذ الدكتور حسين عن الرؤية القرآنية في مواجهة الافكار المختلفة، ذاكراً أن الكتاب الكريم يربّي المسلمين على سعة الافق وبعد النظر في مواجهة المخالفين. ويتحدّث عن الدعوة الى الله باسم التبليغ..وهو اسم له دلالة كبيرة على طبيعة عمل الداعية. فالجدل المثير للنزاع محظور في الاسلام، ولا يجوز الجدال إلاّ بالتي هي أحسن. وتحدّث الاستاذ عن تجربته العلمية مع طلابه وأوضح أن سعة الصدر تستطيع أن تربّي الافراد تربية يتعالون فيها عن الصغائر، ويتجهون نحو أفق رحب في

اتخاذ المواقف العلمية. وأشار إلى قوله تعالى ﴿إِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ مؤكداً أن هذه العبارة فيها كل معاني السمو والترفع وعلو النظرة في اتخاذ المواقف من المخالفين.

وأشار الاستاذ إلى تفاهة الأمور التي تفرّق بين المسلمين اليوم وتثير النزاع في أوساطهم. وقال : إننا نحتاج إلى أن نرفع مستوى أمتنا أولاً وأن نصلح أنفسنا في بداية الأمر، كي نسد الثغرة أمام من تسوّّل له نفسه تمزيق صفوف الأمة. البروفسور محمد سعيد خطيب أوغلي :

اعتذر الاستاذ الدكتور محمد سعيد عن عدم مشاركته في طرح بحث في الندوة بسبب سفره خارج تركيا. وركّز على مفهوم الأمة وما يتبعه هذا المفهوم من مسؤوليات ملقاة على هذه المجموعة البشرية.

وأكد أن ما يعانيه العالم الاسلامي اليوم من جراح في البوسنة والهرسك يشكل تحدياً صارخاً لوجودنا كأمة. فإن لم ننهض يداً واحدة للوقوف بوجه هذا التحدي فإن وجودنا كأمة سيكون موضع تساؤل.

ثم تحدّث عن الارتباط الثقافي والتاريخي العريق القائم بين الشعبين الإيراني والتركي، وأشار إلى أن الشعبين جمعهما الاسلام وكانا بعيدين دائماً عن النزاعات السياسية في تاريخ العالم الاسلامي.

وتطرّق إلى التراث وما فيه من بعض السلبيات التي لا تزال تفرض إعادة التقييم ونفض الغبار. وأكد أن العالم ملزم بأن يأخذ الحقيقة من أفواه الرجال، فالسلف اختلفوا في توثيق الرواية والرواة، وعلينا أن تتبع الحقيقة بمعزل عن الذهنية المذهبية المسبقة. البروفسور خير الدين فرامان :

الاستاذ الدكتور خير الدين ذكر أن هذه الندوة خرجت في مجمل بحوثها إلى أن المسلمين سنّة وشيعة متفقون على أمور ثلاثة أساسية وهي :

١ - كتاب الله، وأنه محفوظ بحفظ الله بين الدفتين، لم يعتره تحريف ولا نقص ولا زيادة، وأنه المرجع الاول في عقيدة المسلم ومنهج حياته.

٢ - السنة، والمسلمون مجمعون على حجية السنة في العقيدة والعمل. ومجمعون على وجوب الاخذ بها اذا صحّت لديهم.

٣ - الامامة وولاية الفقيه، فكل المسلمين مؤمنون بالقيادة الاسلامية، ومشروع ولاية الفقيه يجمع بين نظرات أهل السنة والشيعة.

ثم أشاد الاستاذ بالامام الراحل الخميني رضي الله عنه وأرضاه باعتباره المنظر لهذا المشروع.. وقال : إن الشيعة أناموهم قروناً باسم انتظار المهدي.. والسنة أناموهم قروناً باسم الصبر. والامام الخميني أيقظ المسلمين حول محور ولاية الفقيه، فقال للشيعة هذا النوع من الانتظار حرام، ولا بد أن تنهضوا على طريق تحقيق أهداف الاسلام التي هي نفسها أهداف المهدي عليه السلام. وقال للسنة هذا النوع من الصبر حرام أمام الظالمين والطغاة. فأثار في العالم صحوه جمعت السنة والشيعة؛ فولاية الفقيه إذن نقطة مشتركة بين المسلمين.

وأهاب الاستاذ الدكتور بالعلماء أن يشيعوا هذا الاتفاق بين المسلمين. فعامة الناس ينظرون الى علمائهم ويقتدون بهم، وإذا وجدوهم على قلب واحد فإن ذلك يسري الى عامة الناس أيضاً.

وذكر الاستاذ الدكتور خير الدين مسألة الاخوة بين المسلمين وما يترتب عليها من واجبات أقلها الابتعاد عن تكفير البعض البعض الآخر.

وأشار الى موقف الشيعة من الصحابة، وأكد أن الشيعة لا يسبون الصحابة. بل إن جهود الشيعة في إيران اليوم تتجه نحو توحيد الصفوف.. ولا أدل على ذلك من فتاوى الامام الخميني بشأن الاقتداء بأئمة أهل السنة في صلاة الجماعة وعدم الاعادة. واستنكر الاستاذ محاولات تشويه الحقائق عند الشيعة مثل التقيّة.

هذا بإيجاز ما دار في ندوة الشيعة التي كانت بفضل ما تمخّضت عنه من روح أخوة ندوة نور.. أقامتها جماعة النور.. فكانت نوراً على نور.. وأردّد في الختام ما ردّده أخي الدكتور عبد الله المصلح (من السعودية) في الندوة:

إذا احتربت يوماً فسالت دماؤها تذكّرت القربى فسالت دموعها

تعريف موجز عن جماعة النور التركية :

مؤسس هذه الجماعة «سعيد» الملقب ب«بديع الزمان» و«النورسي» نسبة إلى قرية «نورس» وهي إحدى قرى قضاء «خيزان» التابع لولاية «بتليس» شرق الأناضول^(١).

ولد النورسي سنة ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٣ م، أي في عهد السلطان العثماني «عبد الحميد الثاني»، وكانت الدولة العثمانية آنذاك تُشرف على السقوط، بسبب تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء عليها، يحدوهم الحقد الأسود على الإسلام.

كان والده «الصوفي ميرزا» تقياً ورعاً، فأرسل ابنه «سعيداً» إلى «الكتاب» ليتلقّى علوم الدين. فظهرت على الصبي علامات النبوغ، واكتشف معلّموه ذاكرته العجيبة، فقد قرأ -على سبيل المثال- كتاب «جمع الجوامع» في أصول الفقه لابن السبكي بمعدل ساعة أو ساعتين في اليوم لمدة اسبوع، وكانت هذه القراءة كافية لحفظ الكتاب عن ظهر قلب! ولم يكف «سعيد» الشاب بدراسة علوم الدين، بل دفعه طموحه لأن يلمّ بالرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ والجغرافية.

الشرارة الأولى

حين كان «سعيد» في «وان»^(٢) قرأ في الصحف المحليّة خبراً هزّه من الأعماق، وكان

(١) اعتمدت في هذا العرض على كتاب «بديع الزمان سعيد النورسي»، نظرة عامة عن حياته وآثاره، الاستاذ إحسان قاسم الصالحي، مطبعة «قُشاق» للطباعة، استانبول، ١٩٨٧.

(٢) مدينة تقع في جنوب شرقي تركيا، ويقطنها أتراك تركيا عادة، وتقع جانبها بحيرة وان المعروفة.

الشرارة التي صيّرت منه رمزاً كبيراً من رموز الصحوّة الاسلاميّة في تركيا.

نشرت الصحف ما قاله وزير المستعمرات البريطاني «غلاستون» في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب ويبيده نسخة من القرآن الكريم : «ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك لا مناص لنا من إزالته من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به..». فما كان من هذا المسلم الأبّي إلا أن انتفض وقال : «لا برهتن للعالم بأنّ القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها».

عزم على إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول بإسم «مدرسة الزهراء» لخدمة القرآن.. واسم المدرسة يثير الاهتمام. فالفاطيون حين أرادوا خدمة القرآن وعلوم الدين في القاهرة أسسوا «الأزهر» بإسم الزهراء عليها السلام.. وهذا المسلم التركي المتربّي في البيئة الصوفيّة الموالية لآل البيت يخطط لإنشاء جامعة بإسم «مدرسة الزهراء».. الزهراء.. الاسم الذي يخفق له قلب كل مسلم موالٍ لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ويعيد إلى ذهنه عظمة هذه المرأة التي عاشت سنوات عمرها القليلة في ظلال القرآن والدعوة وألوان الجهاد.

موقفه من «المشروطة»

ظهرت في زمانه حركة تطالب بالدستور والحريات، وكانت هذه الدعوة في تركيا -كما هي في جميع أرجاء العالم الإسلامي- ظاهرة فيها الرحمة وباطنها فيه العذاب. وكما ظهر في إيران المرحوم الشهيد «آية الله فضل الله النوري»^١ يحذّر من مغبة هذه «المشروطة» ويطالب بالحكومة «المشروعة» القائمة على أساس الشرع، لا على أساس القوانين الأوربية المستوردة، فقد ظهر هذا الرجل في تركيا يعلن موقفه من «المشروطة»

(١) حاكمه أنصار المشروطة الإيرانية وأعدموه بتهمة مناصرته للاستبداد فيما كان يقول نريدها «مشروعة» أي قائمة على شريعة الإسلام.

الثانية (١٩٠٨ م) قائلاً: «بني وطني لا تسيئوا تفسير الحرية كي لا تذهب من أيديكم، لا تصبوا العبودية العفنة في قوالب بزازة وتسقونا من علقمها. إن الحرية لا تتحقق ولا تنمو إلا بتطبيق أحكام الشريعة ومراعاة آدابها».

ثم يلتفت من جهة أخرى للسلطان العثماني يطالبه بإصلاح الأمور كي لا يفتح لاعداء الاسلام ثغرة ينفذون من خلالها للفتك بجسم السلطنة، ويقدم عريضة إلى السلطان عبد الحميد الثاني يطالبه بفتح مدارس لتدريس العلوم الحديثة، ثم يقابل السلطان وينتقده على تصرفات قصره الاستبدادية الارهابية^١.

سجن وأسر

بعد سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على الامور، حدث إحساس عام بين الشعب التركي أن هذه الجمعية تحاول أن تبعد تركيا عن الدين وتشدها بالدوائر الماسونية والصهيونية. فظهرت عدة انتفاضات اعتقل على أثرها الكثيرون وقتل الكثيرون، وكان ممن اعتقل «سعيد النورسي». وأمام مواقفه الرسالية الصامدة وشهرته الذائعة ما كان للمحكمة التي شنت العشرات إلا أن تصدر حكم براءته.

وحدثت حروب البلقان في العقد الثاني من هذا القرن بين روسيا والدولة العثمانية، وكانت روسيا تستهدف الاطاحة بالسلطنة العثمانية بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا، وكثر المتطوعون للجهاد من أجل دفع الاجتياح الروسي، فعين سعيد النورسي قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرقي الاناضول.

وخلال إحدى المعارك جرح سعيد النورسي جرحاً بليغاً، وأُسر وأُرسل إلى إحدى معسكرات الاسر.

(١) كل الحاديين على الدولة العثمانية كانوا يتمنون على السلطان العثماني أن يقوم بنهضة علمية في الامبراطورية كي نواكب التطور الحضاري في العالم.

ويطلق سراحه من الاسر، ويعود إلى إستانبول. وتتوالى المصائب والهزائم على الدولة العثمانية. وتدخل جيوش الدول الاستعمارية تركيا، وتعقد معاهدة «سيفر» فيحس سعيد النورسي بهذه الطعنات وكأنها توجه إلى قلبه فيقول : «لقد كنت أحس بأن هذه الضربات التي وجهت إلى العالم الاسلامي كأنها وجهت إلى قلبي».

وبعد انهيار الدولة العثمانية وسيطرة كمال أتاتورك على السلطة، أخذ أتاتورك يتوجس خيفة من كل المسلمين الرساليين، فاعتقل النورسي سنة ١٩٢٥ م، ونفي إلى طرابزون، ثم نقل من منفى لآخر، وأبقوه أخيراً في «بارلا» من أعمال أسبارطة غرب الأناضول.

النور في بارلا

في منفاه بمدينة «بارلا» قضى سعيد النورسي ثماني سنوات ونصف السنة ألف فيها معظم «رسائل النور»، لذلك قُدر لهذه المدينة أن تكون متطلق النور، تجتمع حوله أهل المدينة أولاً، ثم شَعَّ بتناقل هذه الرسائل عن طريق الاستنساخ (لأن الطباعة بالحروف العربية أصبحت محظورة في تركيا آنذاك)، وأصبحت حلقات الطلاب تعقد لقراءتها وتدارسها، وعلمت الحكومة بذلك فأخذت تطارد (طلاب النور) رجالاً ونساءً. وبقيت رسائل النور عشرين سنة تُنشر بهذه الطريقة، ولم يقدّر لها أن تُطبع في المطابع الاعتيادية إلا سنة ١٩٥٦ م..

ربع قرن من الارهاب

من سنة ١٩٢٥ - ١٩٥٠م أقدم «حزب الشعب الجمهوري» بزعامة كمال أتاتورك على أبشع الجرائم البشرية من أجل سلخ تركيا عن الاسلام. فمنعوا تدريس الدين في المدارس، وبدّلوا حروف الكتابة العربية إلى الحروف اللاتينية، وأعلنوا علمانية الدولة،

وشكّلوا محاكم زرعت الخوف والارهاب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشائق للعلماء المسلمين، ولكل من تحدّثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة. وفي سنة ١٩٣٢ م صدرت الاوامر بمنع الاذان الشرعي للصلاة في تركيا، وأصبح الاذان يردد باللغة التركية.

وكان بديع الزمان النورسي خلال كل هذه المدة يتنقّل بين المنفى والسجن. ولكن رسائله أخذت في الانتشار وجماعة النور في الاتساع. وهكذا فرضت «حركة النور» نفسها على واقع المجتمع التركي، فلم يعد بوسع أحد أن يتجاهلها، رغم كل هذا الاضطهاد.

عشر سنوات من الحرية النسبية

سنة ١٩٥٠م استبشر المسلمون بمجيء «الحزب الديمقراطي» بزعامة عدنان مندرس إلى الحكم لا لإسلامية هذا الحزب بل لأنه أزاح من الحكم حزب الشعب الجمهوري الحاقّد على الاسلام، ولأنه أعطى بعض الحرية للنشاط الاسلامي، وأرجع الأذان الشرعي.

لذلك فقد أرسل الاستاذ بديع الزمان برقية تهنئة لرئيس الجمهورية الجديد تمنّى فيها أن يوفّقه الله لخدمة الاسلام، وقد ردّ عليه رئيس الجمهورية ببرقية شكر. ورغم تعرّض الاستاذ خلال هذه السنوات إلى عدة محاكمات، لكنه حظي بحرية نسبية، استعاد خلالها حريته في اللقاء بتلاميذه، وفي بثّ روح جديدة في جماعته، وأخذ يتجوّل في المدن إلى أن توفاه الله سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠ م) في مدينة (أورفة) ودفن فيها.

والغريب أن الانقلاب العسكري الذي أطاح سنة ١٩٦٠م بالحزب الديمقراطي لم يطلق أن يرى قبر النورسي واضح المغالمة ومهوى قلوب جماعته. فنقل رفاته إلى جهة

مجهولة. ولا يعرف مكان قبره حتى الآن^١.

رسائل النور

أُتيح لي خلال هذه الزيارة أن أحصل على جزئين من كليات رسائل النور بالعربية،
الاول : الكلمات، والثاني : المكتوبات^٢.

يصف الاستاذ النورسي رحمه الله هذه الرسائل بقوله : «إن رسائل النور برهان باهر
للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براءة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من
رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز العلم، وترجمة معنوية
نابعة من فيوضاته».

«فهي ليست كالمؤلفات الاخرى التي تستقي من مصادر متعددة من العلوم والفنون. فلا
مصدر لها سوى القرآن الحكيم ولا ترجع إلا إليه، فلم يكن عند المؤلف أي كتاب حين
تأليفها».

إنها إذن تفسير للقرآن الكريم، ولكن لا على الطريقة المألوفة لدى المفسرين، بل إنها
لون من العرض الموضوعي لآيات القرآن بأسلوب ذوقي عرفاني تربوي.

إن اهتمام المسلمين الاتراك برسائل النور منذ ظهورها إلى اليوم، ونجاح حركة النور
في الاوساط المسلمة التركية لا يعود إلى محتوى الرسائل وأفكارها بقدر ما يعود إلى
المنهج الذي سار عليه الاستاذ النورسي في دعوته، وألخصه فيما يلي :

(١) لمزيد من الاطلاع على حياة يدع الزمان النورسي يراجع :

- رائد الشباب، يدع الزمان سعيد النورسي، ترجمة عاصم الحسيني و خليل عبد الكريم، بيروت، ١٩٧٤.

- سيرة إمام مجدد، مؤسسة الخدمات الطباعة، بيروت، ١٩٧٤.

- من الفكر والقلب، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، بيروت، ١٩٧٢.

- سعيد النورسي، حياته وبعض أفكاره، الدكتور البوطي، مطبعة دار الجزائر، دمشق.

(٢) وهي من ترجمة الاستاذ إحسان قاسم الصالحي، وهو الذي تفضل أن وعدني بإرسال الجزء الثالث حالما
ينتهي طبعه من أجل نقل موضوعاته إلى اللغة الفارسية والتعريف بشخصية النورسي في إيران.

منهج بديع الزمان النورسي

١ - الأصالة في طرح الاسلام دون تأثر بأفكار زمانه، وهذا جعل الطرح خالداً خلود القرآن والاسلام، على عكس أولئك الذين كانت طروحاتهم متأثرة بأفكار زمانهم، وهكذا كل التأليفات التي تتخذ من قاعدة القرآن الرصينة منطلقاً وإطاراً لموضوعاتها. يقول المؤلف عن رسائله إنها :

«ليست طريقة (صوفية)، إنما هي حقيقة، وهي نور مترشح من الآيات القرآنية، فلم تؤخذ من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم تخص هذا العصر». ٢ - الطريقة العرفانية في سرد الموضوعات، والابتعاد عن الجدل العقلي والكلامي. وهذا اللون من الخطاب يتناسب مع طبيعة النفس الانسانية، ومع الجو الاسلامي في تركيا الذي عاش أمداً طويلاً في ظل التصوف والعرفان. يقول - مثلاً - في المقام الثاني من الكلمة الثالثة عشرة :

«طلب عدد من الشباب أن تعينهم «رسائل النور» وتمد لهم يد النجدة سائلين : كيف يمكننا أن ننقذ آخرتنا أزاء ما يحيط بنا في زماننا هذا من فتنة الاغراء وجاذبية الهوى وخداع اللهو ؟

فأجبتهم باسم شخصية «رسائل النور» المعنوية، قائلاً :
القبر مائل أمام الجميع ! لا يمكن أن ينكره أحد. كلنا سندخله لا مناص ! والدخول فيه بثلاث طرق لا غيرها :

الطريق الاول : يؤدي إلى أن القبر باب يفتح للمؤمنين إلى رياض جميلة وعالم رحب فسح أفضل وأجمل من هذه الدنيا.

الطريق الثاني : يوصل إلى أن القبر باب لسجن دائم للمتمادين في الضلالة والفي - مع إيمانهم بالآخرة - فهم يُعاملون بجنس ما كانوا يعتقدونه ويرون الوجود والحياة من خلاله، فيُعزلون عن جميع أحبّتهم في هذا السجن الانفرادي، لعدم عملهم بما كانوا يعتقدونه.

الطريق الثالث : يُساق إليه من لا يؤمن بالآخرة من أرباب الضلالة، فإذا القبر باب إلى العدم المحض وإعدام نهائي له. والقبر في نظره مشنقة تغنيه وتُفني معه جميع أحبته. فهذا جزاء جحوده بالآخرة...

فما دام الأجل مستوراً عنا بستار الغيب، والموت يمكنه أن يدركنا في كل حين، يضرب عنق الانسان دون تمييز بين الشاب والشيخ، فلا شك أن الانسان الضعيف الذي يرى هذه القضية المذهلة أمام عينيه، في كل وقت، سوف يتحوّل عما ينجمه من ذلك الاعدام، ويبحث عما يحوّل له القبر من ظلمة قاتمة إلى نور ساطع يفتح إلى عالم خالد ورياض موقنة في عالم النور والسعادة الخالدة.. ولا ريب أن هذه المسألة هي القضية الكبرى لدى الانسان، بل هي أعظم وأجلّ من الدنيا كلها..^١

هذا الاسلوب الذي يخاطب فطرة الانسان ويوقظ ضميره هو الذي استطاع أن يصون لحد الآن ثلاثة أجيال من الشباب المسلم التركي تجاه أفضع ألوان التحديات وأشدّ ممارسات التمييز والتذويب والانغماس في الرذيلة.

٣ - الابتعاد عن الشطحات والطامات التي يقع فيها بعض الصوفية، وعن مواطن الشبهات الفكرية التي تثير القيل والقال. والالتزام بالسنة، والذي يلفت النظر في هذا المجال أنه في التزامه بالسنة لا يترك ذكر سيرة أهل البيت.. وأصحاب العباء (الكساء).

٤ - الحث على الأخذ بأسباب العلم والمعرفة لاستكشاف قوانين الله في الكون واستثمارها لرفقي الانسان والمجتمع. وهي دعوة هامة جداً لو أخذنا بنظر الاعتبار ما آلت اليه اوضاع الدولة العثمانية في عصره من انحطاط علمي وفكري جعلها تتمزّق أمام ضربات الغرب المسلّح بوسائل العلم والتقنية الحديثة.

يقول معقّباً على قوله تعالى : ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة

(١) الكلمات، سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي : ١٠٦ و ١٠٧، ط ١، دار نشر سوزلر - استانبول،

«هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى عليه السلام، وهي تشير الى أنه يمكن الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الارض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلبة ميتة كالحجر بواسطة عصا..

فالله سبحانه يخاطب الانسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية :

ما دمتُ أسلم بيد عبد يعتمد علي ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجر الماء أينما شاء، فأنت أيها الانسان ان اعتمدت على قوانين رحمتي، يمكنك أيضاً أن تخترع آلة شبيهة بتلك العصا، أو نظيرة لها. فهي اسع لتجد تلك الآلة^٢.

ولا شك أن هذه الدعوة للاخذ بأسباب العلم فوّتت الفرصة على الذين يحاولون باسم خدمة التقدم العلمي أن يطعنوا في الدعوة الدينية.

٥ - الحكمة في الدعوة ظاهرة مشهودة لدى الرجل في مختلف مراحل حياته. وهذه الحكمة هي التي صانت مسيرته ومسيرة جماعته من الأبداء والتلاشي والضمور والاجهاض، وابعده عن المواقف الانفعالية.

بعد أن انهارت الدولة العثمانية ومزّقت، ظهرت رغبة عند بعض المثقفين الاكراد في إنشاء دولة كردية في الولايات الشرقية من تركيا. ولكون سعيد النورسي كردي الاصل وذا منزلة في نفوس أهالي الولايات الشرقية، أرسل اليه أحد الصحفيين رسالة يطلب فيها الانضمام الى الداعين لتكوين هذه الدولة، وقد أجابه سعيد النورسي برسالة مطوّلة قال فيها :

«يا رفعت بك.. سأكون معك إن حاولت إحياء الدولة العثمانية.. وأنا مستعد للتضحية بنفسي في هذا السبيل. أما تكوين دولة كردية.. فلا!«.

ومن الملفت للنظر أن الرجل لم ينجرف حتى وراء من رفعوا الشعار الاسلامي في

تلك الضجة الصاخبة، بل حُكْم عقله ودرس نتائج الامر واتخذ الموقف الحكيم المناسب. فالزعيم الكردي الشيخ سعيد بيران ثار ضد مصطفى كمال، وطلب من الاستاذ سعيد النورسي أن يشترك معه في الثورة ضد حكومة أنقرة، لكن النورسي رأى أنها عملية انتحارية لا أمل فيها فقال له: «أتريد تطبيق الشريعة إن تطبيق الشريعة لا يكون بهذه الطريقة...».

ولكن هذا الموقف لم ينجح من غضب حكومة أنقرة، فبعد إخفاق حركة شيخ سعيد بيران أُلقي القبض على النورسي فيمن أُلقي القبض عليه من رؤساء العشائر الكردية وزعمائهم.

وهذا الموقف يدلّ من جهة على مبدئية الرجل، ومن جهة أخرى على قوة إرادته وعدم انسياقه وراء عواطفه في ذلك الجوّ الهائج المتذرّ الساخط على أتاتورك.

أَوْصِي مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي
بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

الرسول الأعظم (ص) كنز العمال ١١ : ٦١٠

الإسلام

مُطَلَبَاتُ الْحَيَاةِ الْعَصْرِيَّةِ

من وجهة نظر العلامة الشهيد المطهري قدس سره

(١)

الشيخ مجتبي المحمودي

نظرة إلى موضوع جدير بالتمعق والدراسة الشاملة، وقد اعتمدنا في إعدادها على ما أجاد به المفكر الاسلامي والباحث المتمتع الشهيد المطهري قدس سره وذلك في كتبه التالية :

- ١- الإسلام ومُتطلّبات العصر.
- ٢- نظام حقوق المرأة في الإسلام.
- ٣- ختم النبوة.

آملين أن تكون الدراسة خطوة قصيرة في طريق الاجابة عن السؤال القيم وهو العلاقة بين ثوابت الإسلام ومتغيرات الزمن.

مدى أهمية الموضوع

هناك مجموعة من الموضوعات والقضايا تسترعي انتباه المؤمنين دائماً، وتطرح نفسها في أذهان المثقفين. ومن أبرز تلك الموضوعات ما نحن بصدد الحديث عنه، وبشأن ذلك يقول العلامة المطهري: إنني لم أظفر بموضوع يكون مورداً للمساءلة والمناقشة بين المثقفين كهذا الموضوع.

وهناك عدد كبير من المثقفين لم يبعدهم عن الدين سوى تصوّرهم الخاطيء عن عدم مطابقة الإسلام الشؤون والتطورات المستمرة في الحياة البشريّة، فزعموا أنّ من جملة النتائج الحتمية للالتزام بالدين هي السكون والجمود والحرمان من مواهب الحضارة الحديثة. فهذا نهرو الزعيم الهندي الذي يصرح أنّ الجمود الديني هو الذي

حال دون اعتقاده بالدين.

بل يمكن القول بأن نشوء فكرة التناقض بين العلم والدين والتركيز عليها في القرون الأخيرة كان بسبب عاملين أساسيين :

الأول : اعتقاد الكنيسة أن متبنياتها العلمية أو الفلسفية هي قضايا دينية، فكانت ترفض الاكتشافات الحديثة في المجالات العلمية بسبب تعارضها مع تلك المتبنيات، الأمر الذي كان له الدور التام في نشوء فكرة تعارض الدين مع العلم.

الثاني : التصور الذي يحظى بالقبول عند المثقفين عادة، وهو أن الدين يعرف بالثبات في نظامه وأحكامه، فلا يمكن أن يتلاءم مع التغيرات والتطورات العلمية.

والسؤال المطروح

هل من الممكن أن تكون الشريعة الإسلامية متلائمة مع المستجدات التي تظهر وتؤثر في مختلف مجالات الحياة الانسانية ؟

والدافع الاساسي لإثارة هذا السؤال هو أن المؤمنين بالديانات السماوية يؤمنون أيضاً بثبات الاحكام والمفاهيم الدينية، في حين أن الملاحظ هو أن التغير سمة عامة للكون وظواهره.

فالسؤال الذي يطرح نفسه هو أن الاحكام الثابتة كيف يمكنها أن تتسق مع الظواهر المتغيرة ؟ وقد يبرز هذا السؤال من خلال صياغة فلسفية أو اجتماعية أو دينية.

الصياغة الفلسفية

قد يقال إن التغير هو الوصف العام الثابت لمظاهر الكون، ولا تتخلف أية ظاهرة عن هذا القانون، وبناءً عليه فكيف يمكن أن تستثنى ظاهرة الدين من ذلك، وكيف يمكن أن يستمر الدين بنظاميه الاجتماعي والقانوني إلى الأبد ؟

ولمناقشة هذا الرأي لابد من الالتفات إلى أنَّ التغيّر وعدم الثبات المشهود في ظواهر الكون حقيقة لا تقبل الإنكار، لكنّ الاعتراف بأصل مبدأ التغيّر شيء، والقول بشموله لكلّ حقائق الوجود شيء آخر، فإن المواد والاجسام الموجودة في العالم هي التي تتغيّر دائماً، لكنّ الحقائق الثابتة هي الأخرى موجودة وليست نادرة كي تعدّ خرقاً واستثناءً في نظام الوجود، فمثلاً الجسد الانساني متغيّر باستمرار، لكن هل ترى أنَّ الشخصية أو الروح الانسانية لها تقلّبات واقعية أيضاً؟ وهل تبدّل الروح الانسانية إلى حقيقةٍ غيرها؟ أم أنها ثابتة منذ الولادة وحتى الموت؟

ولا بأس بالاشارة هنا إلى المحاوراة التي تمّت بين الفيلسوف الكبير ابن سينا وتلميذه بهمنيار. فإن بهمنيار كان يرى أنَّ عنصر الزمان دخیل في حقيقة كل الأشياء، بل يعتبر جزءاً من كيانهما، وبما أنَّ الزمان أمر غير ثابت فلا بدّ أن تكون الأشياء بأسرها متطورة وغير ثابتة. وكان بهمنيار مصرّاً على هذا الموقف، بينما يرفض ابن سينا القول بكلّيته وشموله. وأثناء الحديث حول الموضوع وجّه بهمنيار سؤالاً إلى ابن سينا فلم يجبه، فسأله بهمنيار عن علّة عدم إجابته فقال: اطلب الجواب عند الذي سألته، فقال بهمنيار: أنت الذي سألتك، فردّ عليه ابن سينا: إن الذي سألته قبل هذه اللحظات غير موجود فعلاً لأنّه تبدّل بتبدّل الزمان حسب زعمك، فهل يمكنك الالتزام بذلك؟

إن السنن الكونية التي تسود العالم ثابتة غير متطورة، والنظريات الكونية هي أيضاً ثابتة أبداً، أصابت في رؤيتها للكون أم أخطأت. فهل أنَّ نظرية دارون عن تطور الانواع -سواء اعتبرناها صحيحة أم لا- ثابتة أم يشملها التطور والتغيّر؟

والجدير بالذكر أنَّ الدين الاسلامي ليس هو الوحيد الذي يدّعي الثبات لنفسه، بل كل المذاهب الإجتماعيّة ترى أنها ثابتة في الاسس والاصول، وحتى المذاهب التي بنت صرحها على الاعتقاد بالتغيّر المستمر في جوانب الكون والحياة، لا ترى أصولها محدّدة بزمان معيّن أو مرحلة خاصة من التاريخ. فالماركسية تبتني على القول بالتطور الشامل

في شتى مجالات الوجود ومع ذلك تزعم الخلود والأبدية لنفسها.

الصياغة الإجتماعية

وقد يطرح السؤال على ضوء معطيات العلوم الإجتماعية فيقال : إن تشريع القوانين إنما هو لسد الحاجات الإجتماعية للانسان، وبما أن الحاجات ليست ثابتة بل هي متطورة يوماً بعد يوم، فلا يصح أن تصبح قوانينها ثابتة جامدة.

لكن الموضوع بحاجة إلى تثبت أكثر، فهل من الصحيح أن نعتبر الحاجات البشرية متغيرة بأسرها ؟ ولو فرضناها كذلك فهل من الحتم أن تتغير القوانين الحاكمة على هذه الحاجات تبعاً لتغيرها ؟

والجواب عن السؤالين بالسلب، فلا الحاجات البشرية يشملها التطور بأكملها، ولا تطور الحاجات يستلزم تغير القوانين المتعلقة بها.

أما ما يتعلق بالمقطع الاول فهو إن الحاجات البشرية على قسمين : أحدهما الحاجات الاولى، وثانيهما الحاجات الثانوية. فالحاجات الاولى هي التي تنبع من صميم ذات الانسان، والنظام الروحي والاجتماعي الحاكم على حياته. وقد تكون هذه الحاجات جسمية أو معنوية أو اجتماعية، فالجسمية منها كاللباس والغذاء والمسكن والزواج... إلخ. والمعنوية منها كالعلم والجمال والخير وأمثالها، وأما الحاجات الإجتماعية فهي كالعشرة مع الناس، وتبادل الاموال، والعدالة والحرية وغيرها.

أما الحاجات الثانوية فهي التي تنفرع عن الحاجات الاولى، فالحاجة إلى الآلات والادوات المختلفة والمتطورة عبر الزمن هي إحدى النماذج للحاجات المتغيرة. وهنا نلاحظ أن الحاجات الثانوية هي المتغيرة وهي التي يطرأ عليها التجدد المستمر، وأما الحاجات الاولى فهي ثابتة لا تبلى ولا تزول بل تبقى على حقيقتها دوماً.

وأما بالنسبة إلى المقطع الثاني من السؤال فنكتفي بالإشارة إلى أن التقدم الحضاري

وإن كان يخلق آفاقاً جديدة لتتعم الإنسان بمواهب الحياة، ولا يقف في طريق تقدّمه أبداً كالذي حصل في عالم الاتصالات والمواصلات من تطور تكنولوجي كبير، إلا أن القوانين الراجعة إلى هذه الظواهر لا تتحوّل ولا تتغيّر، فالبيع والشراء والوكالة والضمان وسائر القوانين المتعلقة بها لا تتحوّل إلى قوانين أخرى وكذلك القوانين الراجعة إلى تنظيم علاقة الإنسان بالله، أو علاقته بالكون وبالأخرين لا تتحوّل في هذا العصر إلى غير ما كانت عليه سابقاً، وسيأتي المزيد من التوضيح في البحوث القادمة إن شاء الله.

الصياغة الدينية

يعتقد المسلمون أن الأديان السماوية قد نسخ بعضها البعض، إلا الشريعة الإسلامية الخاتمة فإنها نسخت جميع الأديان السماوية السابقة، ولن يشملها النسخ أبداً. ومن الواضح أن من جملة المؤثرات في نسخ الشرائع إنما هو المتطلبات المستجدة للعصور المختلفة، فإن تجدد مقتضيات يجدد الضرورة في بعث رسول بشريعة جديدة تستوعب الظروف الجديدة ومتطلباتها، فهل توقف نمو الحضارة وتطور معطياتها بعد بعثة نبي الإسلام؟ أو ليست التطورات الضخمة التي حصلت - سيما في العصر الحاضر - في مختلف مجالات الحياة توحى بضرورة نسخ الشريعة الإسلامية التي كانت متناسبة مع ظروف زمنية معينة؟

إذن فكيف نفسر خاتمية الشريعة الإسلامية ورسولها؟ وكيف يمكن أن يكون حلاله (محمد صلى الله عليه وآله) حلالاً إلى يوم القيامة وحرامه حراماً إلى يوم القيامة؟

وجواباً عن هذه التساؤلات نقول: إذا كان العامل الأساس في نسخ الشرائع السماوية هو التجدد المستمر في ظواهر الحياة، فمن الصحيح ترقّب نهاية للشريعة الإسلامية أيضاً. لكنّ الواقع يبين ذلك كثيراً، وذلك لأن الحضارة ليست إلا التطور في تلبية

الحاجات البشرية المتنوعة الناتجة عن الجهود والطاقات المبذولة في استثمار المواهب الطبيعية، وليس للشرعية الإسلامية أو الأديان السماوية بشكل عام موقف يخالف ذلك الاتجاه حتى يضطرّ المؤمنون إلى تعديل مواقفهم تجاه الدين وتغييرها، وبناءً عليه فإن النسخ الجاري بالنسبة إلى الشرائع السماوية يستند إلى دليل أدق وأعمق من ذلك.

الواقع هو أنّ البشرية مرّت عليها أدوار ومراحل من التطور المعنوي والثقافي، كما أنّها مرّت بمراحل من المدنية والرقى المادي، ومن الواضح أنّها لم تكن تستعد في بداية تلك الأدوار لتلقّي النظام الإلهي الكامل وذلك لعدم نضجها وكمالها الفكري، فكانت الرسل ترى والأحكام تتواصل بطريقة متدرّجة ليتدرّج الإنسان معها في كماله الميسر له. وبعد أن بلغ الإنسان مرحلة متكاملة - نسبياً - من النمو والنضج العقلي بعث الله سبحانه نبيه محمداً صلى الله عليه وآله بالشرعية الخاتمة لما سبق من الرسالات بشرعة تشمل المناهج العامة والخطوط العريضة لإدارة شؤون المجتمع الإسلامي. وبالإمكان أن يستلهم الإنسان المسلم من تلك المناهج العامة والمعالم الخالدة حلولاً شاملة لقضاياها المتطورة دائماً وأبداً، وبذلك فهو في غنى عن شريعة سماوية أو أرضية بعد ذلك.

ومما يثبت ما أُلحنا إليه من عدم بلوغ الإنسان كماله العقلي قبل البعثة النبوية الخاتمة هو التحريف المتسرب إلى كتب الأنبياء، إذ إن ذلك يعني عدم استعداد الأمم السابقة واهتمامهم لحفظ كتبهم المقدسة، بينما يبرز اهتمام المسلمين البالغ منذ نزول القرآن الكريم بحفظه عن تحريف المحرّفين وإبطال المبطلين. وهذا ما نطق به عزّاسمه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^١.

كما أنّ السنّة النبوية الشريفة - وهي المصدر الثاني للشرعية - قد بقي معظمها مصوناً عن التحريف بفعل الدور الذي لعبه أئمة المسلمين عليهم السلام وعلمائهم في حفظها ونقلها بدقّة وأمانة.

ويتضح مما سبق أنَّ الصيغ المذكورة لعدم تطابق الشريعة الإسلامية مع المتطلبات المعاصرة لا تجدي في إثبات الموضوع، ومع ذلك لم نقف حتى الآن على الجواب المطلوب للسؤال المطروح في بداية البحث. وهو أنَّ القوانين الثابتة كيف يمكن أن تكون منهجاً لإدارة الشؤون المتغيرة للمجتمعات البشرية ؟

وقبل أن نبدأ بتفاصيل الجواب عن هذا السؤال، يجب أن نعرف بدقة المعاني المتصورة لـ «متطلبات العصر» لنرى أنَّ الشريعة الإسلامية تتلاءم مع أي منها ؟

مفهوم «متطلبات العصر»

١ - بالامكان أن نفترض هذا العنوان بمعنى الأجهزة والادوات الحديثة التي يخترعها الإنسان ويصنعها، أو الظواهر التي تظهر يومياً على مسرح الحياة الإجتماعية من أزياء وأساليب التجميل وأمثالها التي يكون لكل واحدة منها اقتضاء معين، ولا بد أن تساير الشريعة الإسلامية هذه المظاهر المستجدة ومقتضياتها.

وبدهي أنَّ التطابق بهذا المفهوم لا يمكن الموافقة عليه، إذ ليس كل ما يستجد من الظواهر والمصنوعات البشرية حقيق بالآخذ والقبول. فإن الجديد منها قد يكون هداماً للأخلاق والمثل الإنسانية، وكم من البضائع والأزياء الحديثة التي تعرض في الأسواق لا تمثل سوى الانهيار المعنوي لدى الراغبين فيها، فهل من المتوقع أن يتخذ الإسلام موقفاً متساهلاً أمام هذه التحديات الهدامة للقيم الإنسانية ؟

٢ - أن تكون متطلبات العصر بمعنى رغبة الغالبية من الناس في التوجه إلى جهة أو عمل معين في كل زمان. وتطابق الإسلام مع هذه المتطلبات هو بمعنى اعترافه بمبدأ الموافقة على الرأي العام في المجالات المتنوعة للحياة والآخذ به.

لكن هذا المعنى مرفوض أيضاً، وذلك لأن الاتجاه العام نحو مزاولة طريقة معينة في الحياة قد يأتي مطابقاً لما لا بد أن يكون، وقد لا يكون كذلك بل يرسم خط الانحراف

والفساد، فكيف يمكن أن تقرّ الشريعة الاسلامية مبدأ الموافقة على اتجاهات الغالبية في كل زمان وبشكل مطلق ؟

ويمكن التأكيد على مجانية هذين المعنيين للواقع من خلال الإشارة إلى وجود المصلحين أو الحركات الإصلاحية في المراحل المختلفة من تاريخ المجتمعات، فكما أنّ هناك من يقف في وجه الحركة التقدمية للمجتمع ويعارضها، فكذلك هناك عباقرة يرفضون الانحراف الغالب على المجتمع فيحاولون إرجاع مجتمعاتهم إلى المسير الذي يتطلبه العقل والفطرة الانسانية، وهذا صريح في أنّ الانحراف قد يسود عامة الناس، وإن الزمان ومستجداته ليس معصوماً عن الانحراف والزلل.

والسرّ في ذلك يرجع إلى عنصر واحد وهو الميزة الخاصة المودعة في الشخصية الانسانية دون غيرها من المخلوقات، فالحيوانات قد رسم لها منهج في الحياة لا يمكنها تجاوزه، فالغرائز هي التي تسيطر عليها وتهديها إلى مقاصدها، ولذلك لا نجد تطوراً ولا تخلفاً في نظام حياتها، بل تستمرّ على المنهج المعين لها منذ آلاف السنين وحتى اليوم. ولكنّ الانسان خلق حرّاً في إرادته ومبدعاً في تصرّفه، فيمكنه السير على منهج الرشده والصلاح، كما أنّه قد يتيه في وادي الضلال والضياع.

نعم، هذا هو الأساس لما قلناه سابقاً من أنّه ليس كل المخترعات البشرية والظواهر المعاصرة إيجابياً يليق بالأخذ والقبول.

٣- أن يكون المقصود منه هو الحاجات الانسانية المستجدة حسب تجدد الاوضاع والظروف، ولا بد أن يكون للشريعة الاسلامية تخطيط عام لتلبية هذه الحاجات المتطورة.

وهذا التفسير هو الذي يمكن الالتزام به على شكل محدود، وسنقدّم ما يوضّح ذلك إن شاء الله تعالى.

الحلول المقترحة

الشبهة المطروحة عريقة ذات جذور ممتدة وتاريخية، وقد طرحت لها عدّة حلول من قبل الاتجاهات الفكرية المختلفة :

١- الإتجاه الإفراطي

يرى أصحاب هذا الإتجاه أنّ العقل والمصالح التي يكتشفها العقل والعلم هما الأساس في تعيين الموقف تجاه الظواهر الحديثة، وإن كان ذلك الموقف مخالفاً لظواهر الاحكام الشرعية.

ووفقاً لهذا الرأي فإنه لا بد من ترك العمل بالاحكام الشرعية التي قد يتراءى فيها شيء من المغايرة لبعض الضرورات الإجتماعية والاقتصادية وبؤخذ بالمقتضيات المستجدة. وهناك بعض المدارس والفرق الدينية اقتنعت بهذا الاسلوب من التعامل مع الاحكام الشرعية.

والنموذج التطبيقي لهذه الطريقة من التفكير ما شاهدناه عند بعض الزعماء في الدول الاسلامية^١ حيث اقترح أن يترك العمال الصوم في شهر رمضان المبارك، وذلك لأنه -على حد زعمه- يقلّل من طاقتهم الجسدية للعمل. وكسا ذلك بغطاء شرعي إذ قال :إن الإسلام قد اهتم اهتماماً بالغاً بالعمل والنشاط الاقتصادي وحثّ عليهما، ولا بدّ من التحرّز عن كل ما يقعد الانسان عن العمل ويعطل نشاطه.

وغفل هذا عن نقطتين أساسيتين :

الاولى : أنّه قد فرض أنّ الانسان جهاز لا شأن له غير العمل والانتاج، أو أنّه حيوان لا شغل له إلاّ حمل الاثقال. وتغافل عن حاجة الانسان إلى الجانب المعنوي والروحي في حياته، وأنّ الصوم له الدور الأمثل في ذلك المجال.

(١) هو رئيس تونس السابق الحبيب بورقيبة.

الثاني : أنه زعم أن الصوم يسبب دائماً ضعف الطاقة الجسدية، وجعل أن ذلك إنما هو بسبب العادات التي رسمها الانسان لنفسه وليس بسبب الصوم، ولا شك في قدرة الانسان على الخروج عن إطار العادات المتحكمة فيه، والتقليل من الاكل لكي يزداد قوة ونشاطاً معنويين. كما نلاحظ ذلك في حياة الامام علي عليه السلام حين يذكر في رسالته إلى عثمان بن حنيف أنه قد اكتفى من دنيا الناس بطمريه ومن طعمه بقرصيه فيستمر ويقول : «وكأنني بقاتلكم يقول، إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن مقاتلة الاقران ومنازلة الشجعان، ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات العذبة^٥ أقوى وقوداً وأبطأ خموداً^١».

والامام عليه السلام يؤكد أن الذي أشرنا إليه هو قاعدة طبيعية عامة، لا أنه حالة نادرة تخصه عليه السلام دون سائر الناس.

وقد زعم الكتاب من المسلمين المنشدين إلى الثقافة الغربية أن أحكام الشريعة الاسلامية السياسية والمدنية والاقتصادية مقتبسة من التقاليد والعادات الاجتماعية المتعارفة بين العرب قبل ظهور الإسلام، فهي لا تعتبر جزءاً من صميم الشريعة الاسلامية، فلا بد أن تصاغ هذه الاحكام صياغة جديدة تتفق مع روح العصر الحديث، وتبقى المفاهيم الاعتقادية والاحكام العبادية هي المحتوى الحقيقي للشريعة الاسلامية وهي ثابتة لا تتغير ولا تتأثر بالتطورات الحضارية.

والسبب في إثارة هذه الفكرة أمران :

الاول : جهل بعض المسلمين بعناصر القوة والحيوية الكامنة في الشريعة الاسلامية التي تمكّنها من إعطاء الحلول لمستحدثات الوقائع الاجتماعية وغيرها.

الثاني : التخطيط الاستعماري لإبعاد الإسلام عن ساحة الحياة الاجتماعية وحصره في مجال المفاهيم والعقائد التجريدية، وذلك ليخدم مصالح الاستعمار، فالإيديولوجية

(١) نهج البلاغة : ٤١٨، صبحي الصالح.

(٥) العذبة : النباتات التي لا تسقى إلا بالمطر.

الاسلامية كأطروحة للحياة الإجتماعية البشرية يجب أن تمحق وتزول، ولكنها كعقيدة تقف في وجه المد الشيوعي الملحد - مثلاً - يسمح لها بالبقاء.

٢ - الإتجاه التفرطي

يرى القشريون من المؤمنين مخرجاً آخر للشبهة المطروحة، فهم ملتزمون بالظواهر الشرعية ويستنكرون المظاهر الحضارية، لأنها تتعارض - على حسب زعمهم - مع الحقائق الشرعية. وقد بلغ بهم التفریط إلى تحريمهم الانتفاع بالوسائل الحديثة التي قدّمتها الحضارة البشرية لغرض تحسين أو تسهيل وجوه الحياة. وهناك بعض الطوائف الدينية تلتزم بشكل وآخر بهذه الطريقة، كما أنّ هناك النماذج العديدة والغريبة من تصرفاتهم في هذا الجانب.

والحجر الأساس في هذا النمط من التفكير هو أنّ أصحابه ظنّوا أنّ الدين الاسلامي يحدّد أو يفرض على الناس شكلاً معيناً ونمطاً خاصاً من الحياة المادية أو الإجتماعية، فيعتبرون كل الظواهر المادية القديمة من المقدّسات الشرعية التي يجب المحافظة عليها، ولم ينتبهوا إلى أنّ الإسلام لا يهتمّ إلاّ ببيان الأهداف والمضامين الواقعية للحياة دون ظواهرها وشكلياتها، فهم لم يميّزوا القشر عن اللب والوسيلة عن الهدف، وسنوضّح ما يتعلّق بهذا الجانب في البحوث القادمة.

٣ - الإتجاه الاعتدالي

يقال وفقاً لهذا المنهج في المواجهة مع الشبهة المذكورة: إن التجنّب عن الافراط والتفریط واختيار الحلّ الاوسط أمر ممكن، وذلك ليبقى الإسلام قائداً للحياة في كل المجالات، مع الاخذ بعين الاعتبار التطورات الحديثة والحاجات المستجدة للانسان

فرداً ومجتمعاً، فإن الشريعة الاسلامية وإن كانت تقوم على أساس العناصر الثابتة لكنها تتميز أيضاً بأنها تتحمّل التطابق مع الوجه المتغيرة للحياة.

وواضح أنّ هذا هو الطريق الوحيد للتخلّص عن سلبات الافراط والتفريط، وهذا هو المنهج العام للدين الاسلامي حيث يقول عزّ اسمه : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾^١. وقال الامام علي عليه السلام : «اليمين والشمال مضلّة والطريق الوسطى هي الجادة»^٢.

وسنشير في البحث القادم إلى أهمّ القواعد التي يمكن استلها من هذه الميزة منها. ونركّز - قبل ذلك - على نقطة أساسية في الموضوع، وهي : أنّ هذه القواعد ترجع إلى حقيقة واحدة وهي أنّ الشريعة الاسلامية أرست قواعدها على أساس المتطلبات القطرية للانسان. وهذا هو سرّ خلودها وثباتها على مرّ الزمن.

«يتبع»

أَنَا الْمُنْذِرُ عَلَى الْهَادِي،
وَلَيْكَ يَا عَلِيُّ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ مِنْ بَعْدِي

تفسير الطبري ١٣ : ١٠٨

النبي الكريم (ص)

اِسْلَامِيّونَ فِي اَلْبَلْقَانِ

(١)

(البوسنة والهرسك، مقدونيا، كوسوفو، سنجق وألبانيا)

نبذة جغرافية وتاريخية : المركز الاسلامي للابحاث السياسية (قم المقدسة)

تقع شبه جزيرة البلقان في الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا، وتشمل الجزء الأكبر من يوغسلافيا السابقة وكذلك ألبانيا، وبلغاريا واليونان والقسم التركي (في أوروبا)، ولفظة «بلقان» تركية الأصل معناها «جبل».

وأما يوغسلافيا فقد تكونت من جراء اتحاد فدرالي بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م تحت نظام ملكي، وتميّز وضع هذا الاتحاد بعد الحرب العالمية الثانية ليصبح بعد سيطرة الشيوعيين ذا نظام جمهوري اشتراكي ويضم ست جمهوريات هي : صربيا (وفيها العاصمة بلغراد)، والجبل الأسود، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك، وسلوفينيا ومقدونيا. بالإضافة إلى إقليمين يتمتّعان بالحكم الذاتي هما : كوسوفو وفويفودينا.

تبلغ مساحة يوغسلافيا السابقة ٢٥٥٨٠٤ كيلومتر مربع، وعدد سكانها ٢٣ مليون نسمة.

يتألف الشعب اليوغسلافي من أربع قوميات : الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين والمقدونيين وأقليات أخرى أبرزها الألبانيون.

وكانت أغلب أقاليم يوغسلافيا - فيما مضى - جزءاً من الدولة العثمانية، غير أن الحال تغيّر تدريجياً منذ بدايات القرن الحالي الذي شهد انفصال بعض مناطق البلقان عن الدولة العثمانية^١.

دخول الإسلام إلى شبه جزيرة البلقان :

انتشر الإسلام في البلقان على أيدي التجّار المسلمين الذين كانوا يحملون بضائعهم إلى هناك، ويرجع التواجد الاسلامي هناك إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين بسبب نشاط الدولة الفاطمية التي مقرّها شمال إفريقيا، فانتشر الاسلام إلى شمال البحر المتوسط وجنوب شرق أوروبا، وتعتبر البلقان جزءاً منه، لكن السيطرة الإسلامية على البلقان إنّما تمتّ في القرن الرابع عشر الميلادي بقوة الجيش الإسلامي. وفي أواسط هذا القرن وبينما كانت الدولة البيزنطية في طريقها إلى الانحلال نجح أورخان بن عثمان (هو ابن طغرل بيك، وينسب له الأتراك العثمانيون) بفتح مناطق حساسة من (غاليبولي) من الساحل الأوربي، ويُعدّ هذا أوّل فتح إسلامي في منطقة

(١) مجلة نور الاسلام، العددان ١٧ و١٨، السنة الثانية، محرّم وصفر ١٤١٢ هـ.

جنوب شرق أوروبا^١.

كما يمكن أن نأخذ صورة عن انتشار الإسلام هناك من خلال إطلاعنا على طريقة دخول الإسلام إلى المجر - وهي بلد مجاور ليوغسلافيا -:

يشير ياقوت الحموي إلى أنه لقي بعض مسلمي المجر في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). كما تحدّث أبو حامد الفرناطي المتوفى سنة ١١٦٩ م (٥٦٥ هـ)، وهو عالم مسلم ورّحالة عاش في المجر وتولّى مشيخة الإسلام فيها، تحدّث في كتابه «تحفة الألباب ونخبة الآداب» عن المسلمين هناك قبل ياقوت بحوالي قرن من الزمن.

وهكذا فإن العثمانيين عندما دخلوا يوغسلافيا وجدوا تربة صالحة لنشر الإسلام ولاسيّما في منطقة البوسنة والهرسك.

ويعتقد البعض أن الدين الإسلامي قد دخل إلى هذه البلاد على يد سلاطين العثمانيين، ولعلّ السلطان بايزيد بن مراد (٨٠٠ هـ - ٨١٦ هـ) هو أول من بسط نفوذ الإسلام الرسمي عليها. بيد أن الواقع يشير إلى أن علاقة تلك الأصقاع بالإسلام هي أقدم من الفتح العثماني وسابقة عليه، فقد مهّد مشايخ الصوفية الطريق بمساهماتهم في نشر الإسلام وتعاليمه. بل ويروي التاريخ أن بعض المسيحيين من (البشناق) و(الفوميل) ممن كانوا يرفضون عقيدة التثليث وألوهية المسيح عليه السلام، قد تعرّضوا للإضطهاد على يد أحد الملوك الكاثوليك، فما كان منهم إلّا أن استنجدوا بالجيش العثماني بقيادة السلطان محمد الفاتح (١٤٥٣ م).

وقد انتهج الفتح العثماني مع سكان البلاد مبدأ التسامح، مما جعل كثيراً من أبناء البوسنة والهرسك يدخلون في دين الله أفواجا. وقد تبوّأ بعضهم مناصب عليا في الدولة والصدارة العظمى.

(١) نقلًا عن مجلة (باسدار إسلام)، العدد ١٣٥.

وقد عانى المسلمون اليوغوسلافيون في الثلث الأخير من القرن الماضي الشيء الكثير من الإضطهاد على أثر دخول قوات مملكة النمسا والمجر إلى مناطقهم (البوسنة والهرسك) مما اضطرهم إلى الهجرة نحو مناطق أكثر أماناً في الدولة العثمانية. وفي عام ١٩٠٩ م نال المسلمون اعترافاً بحقوقهم الدينية. غير أن ذلك لم يدم طويلاً، فما إن قامت دولة خاصة للصرب الأرثوذكس حتى تعرّض المسلمون لمصادرة أراضيهم وممتلكاتهم على يد الدولة الجديدة. كما مورس التنصير الإجباري ضدهم من قبل الحكومة.

وفي بدايات الحرب العالمية الثانية عاد الأرثوذكس الصربون إلى التنكيل بالمسلمين وارْتُكبت ضدهم مجازر عديدة^١.

جمهورية البوسنة والهرسك :

بعد أن استقر الجنود العثمانيون في البلقان شكّل أحد قادة الجيش العثماني (خسرو بيك) حكومة في قلب البلقان، وكان مركزها (سراجيفو) أو (سراييفو)، واشتهرت منطقة حكمه بإسم (سراي خسرو) وقد تغيّر اسمها فيما بعد إلى (سراي أو) وتعرف اليوم بـ(سراييفو) أو (سراجيفو) والتي تشكّل الآن مركز وعاصمة جمهورية البوسنة والهرسك^٢.

تقع بلاد البوسنة والهرسك وسط البيئة الأوربية منعزلة عن البلاد الإسلامية، ويعيش فيها حوالي خمسة ملايين نسمة نصفهم مسلمون. أما عدد المسلمين المهاجرين من البوسنة والهرسك بسبب من الأسباب في الماضي فإنه يفوق عدد المقيمين فيها، ومن المعروف أن العدوان الفاشم عليها من قبل الصرب والجبل الأسود والجيش الفيدرالي

(١) مجلة نور الاسلام، العددان ١٧ و ١٨، السنة الثانية، محرم وصفر ١٤١٢ هـ.

(٢) مجلة (هاسنادر اسلام)، العدد ١٣٥.

اليوغسلافي بمعاونة المتطرفين المسيحيين الأرثوذكس (أعضاء الحزب الديمقراطي الصربي الفاشي) سبب كارثة عامة، حيث يعيش المسلمون البوسنيون اليوم أسوء الحالات مادياً ومعنوياً في تاريخهم.

تأثير الحضارة الإسلامية على البيئة في البوسنة والهرسك :

بعد دخول العثمانيين بلاد البوسنة والهرسك أخذ أبناؤها ينطبعون بالطابع الاسلامي ثقافياً ومدنياً، ومن مظاهر ذلك الانطباع :

- ١ - إنتشار اللغات الإسلامية الثلاثة : العربية والتركية والفارسية.
 - ٢ - إنتشار المراكز الثقافية الإسلامية التي كانت تحتوي على الكتاتيب والمدارس والمساجد والزوايا والمكتبات.
 - ٣ - إنتشار المراكز الاقتصادية «الأسواق للبيع والشراء، والمحلات للإنتاج، والحوانيت» والجسور عبر الروافد والأنهر.
 - ٤ - إنشاء المنشآت الصحية والخيرية «الحمامات، دورات المياه، ودور الضيافة، والدواوين، ونقل المياه العذبة عن طريق الأنابيب من العيون الطبيعية إلى الأمكنة حسب الحاجة».
- وكانت معالم وآثار هذه الحضارة تنشأ في كثير من المدن والقرى (مثل فوجا، وسرايفو، وفيشغراد، وأزفارينق، وترافنيك، وموستاروالي).
- إن كثيراً من المنشآت الإسلامية في البوسنة والهرسك دُمّرت قبل الحرب العالمية الثانية، وأُتمت الحكومة الشيوعية السابقة كل ما بقي منها، وتمّ تحويلها إلى أغراض أخرى بمساعدة عملائها المتلبّسين بزيّ علماء الدين، والمتقفين الجامعيين المتظاهرين بأنهم مسلمون^١.

(١) نقلاً عن تقرير لكتلة الدراسات الإسلامية في سرايفو.

وفي أثناء حركة المقاومة ضد الألمان وعد تيتو بأن يعطي للمجاميع القتالية حكماً ذاتياً. ولهذا ساندته المسلمون وأبلوا بلاء حسناً. ولكن تيتو لم يُعْطِ للمسلمين في البوسنة والهرسك حكماً ذاتياً بخلاف ما أعطى للكروات والسلوفينيين والمقدونيين ومنطقة مونتنگرو (الجيل الأسود)، ولأجل إنهاء معارضتهم قام بمجازر وحشية على ضفاف نهر (درينا) ضد المسلمين، وقتل منهم ما يقرب من (٢٠٠٠٠٠) شخص قتلاً جماعياً، وقد كانت الحادثة مروعة إلى الحد الذي تلون فيه ماء النهر باللون الأحمر من دماء المسلمين^١.

وبعدها وفي عام ١٩٦٠ م اعترف رسمياً بوجود قومية إسلامية، وقامت على هذا الأساس جمهورية البوسنة - الهرسك كجمهورية للمسلمين، وهي أكبر الجمهوريات اليوغوسلافية مساحة. وفي هذه الفترة أيضاً تمت إعادة فتح الكلية الإسلامية في مدينة سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك بعد إغلاقها لأكثر من ثلاثين سنة^٢.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق تأثرت يوغسلافيا بهذا التحول أيضاً. وظهرت تغييرات أدت إلى استقلال بعض الجمهوريات مثل كرواتيا وسلوفينيا بتأييد من الدول الأوربية، في حين أن البوسنة والهرسك لم تحصل على هذا التأييد لكون الحكم القائم فيها بيد المسلمين، فقام الصرب المتعصبون بالقتل الجماعي للمسلمين وتدمير المساجد والمناطق السكنية، وأدت هذه المجازر إلى استشهاد أكثر من مائة ألف مسلم وتشريد مليون آخرين، ولم تحرك المنظمات والمحافل الدولية - التي تعتبر نفسها مدافعة عن حقوق الإنسان - ساكناً أزاء هذه الجرائم الوحشية، بل إنها - في الحقيقة - ساعدت على استمرار الصرب لأكثر وحشية من ذلك^٣.

(١) مجلة (باسدار إسلام)، العدد : ١٣٥.

(٢) و (٣) مجلة نور الاسلام، العددان ١٧ و ١٨، السنة الثانية، محرم وصفر ١٤١٢ هـ

إقليم كوسوفو ذو الحكم الذاتي :

يقع إقليم كوسوفو في أقصى الجنوب اليوغوسلافي، ويسكنه حوالي مليون ونصف المليون مسلم، ٩٠٪ من سكانه مسلمون، غالبيتهم من أتباع المذهب الحنفي والبقية من المسلمين الشيعة. وقد كان هذا الإقليم فيما مضى جزءاً من جمهورية ألبانيا ذات الأغلبية الإسلامية، وبعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية غزاه الصربيون الأرثوذكس وضمّوه إلى صربيا عنوة بعدما هجّروا الكثير من سكّانه إلى تركيا.

وعلى إثر قيام الاتحاد اليوغسلافي تمّ الاتفاق على إعطاء هذه المنطقة حكماً ذاتياً ضمن الجمهورية الصربية التي تمارس على المسلمين فيها عملية الهيمنة والإذلال والإستغلال والتهجير القسري الواسع للسكان إلى تركيا.

وفي سنة ١٩٧٤ م وبعد احتجاجات على هذا الوضع وقيام مظاهرات وصدّامات دامية مع الجيش سقط خلالها آلاف القتلى في كوسوفو، حصل سكّان الإقليم على وعدٍ من تيتو زعيم الاتحاد اليوغسلافي بأن يصبح إقليم كوسوفو جمهورية سنة ١٩٨٠ م، وذلك بموافقة جميع الجمهوريات.

وبعد موت تيتو صاحب هذا الوعد، تزعزع وضع الاتحاد ويات حلم سكّان كوسوفو بالاستقلال عن الصرب بعيد التحقيق، وعلى العكس من ذلك بدأ الصرب يحاولون السيطرة الكاملة عليها من جديد، فعملوا على نقل أعداد كبيرة من الصربيين إلى كوسوفو وبناء مساكن ومصانع تستوعب ٣٠٠ ألف نسمة منهم.

وفي سنة ١٩٨٩ م إتخذ برلمان صربيا قراراً بضمّ كامل تراب كوسوفو إلى صربيا الأم كما يدّعون. عندها شعر المسلمون بأن مصيرهم أصبح مهدّداً أكثر من أي وقت آخر، فبدأوا حملة احتجاجات واسعة مطالبين بتنفيذ قرار سنة ١٩٧٤ م. وقد جوبهوا خلالها بعنف كبير من قبل حكومة صربيا، وسقط منهم قتلى كثيرون. ومنذ ذلك الوقت ما زال أهل هذا الإقليم يخضعون لشتى صنوف الضغوط والقهر والممارسات اللاإنسانية من

أجل إخضاعهم. فمرة يطرد آلاف العمال من وظائفهم وآلاف التلامذة من مدارسهم، ومرة يعمد إلى تسميم جماعي غامض لآلاف الطلاب والطالبات، كما حدث قبل سنتين. ومرة يُتخذ قرارٌ بوقف التعليم باللغة الألبانية في جامعة كوسوفو - علماً أنها اللغة المحلية - واستبدالها باللغة الصربية في محاولة لإغلاق الجامعة، هذا إضافة إلى أعمال التضييق المالي والحصار الغذائي والملاحقة والسجن، بحيث بات أهل هذا الإقليم الأفقر في يوغوسلافيا والأكثر بطالة في حين أنه يتمتع بخيرات وفيرة^١.

وتعدّ كوسوفو تاريخياً جزءاً من ألبانيا - كما ذكرنا سابقاً - وقد اقتطعتها صربيا وضمتها إلى أراضيها عام ١٩١٨ م. بمساعدة الحلفاء.

ومنذ أن تأسست الحكومة الألبانية كانت تدّعي ملكية هذه المنطقة. وأدت هذه المسألة إلى تعكّر العلاقات بين يوغوسلافيا وألبانيا. ويشارك هذا الإقليم مع ألبانيا بروابط ثقافية وقومية، وقد قام الألبانيون المقيمون في كوسوفو بعد الحرب العالمية الثانية ببعض الاحتجاجات في مواجهة الصرب مطالبين باستقلال كوسوفو.

مركز حكومة كوسوفو هو مدينة (بريستينا) ويقطنها حوالي (٢٠٠) ألف نسمة، والتشكيلات الإسلامية في كوسوفو تسمّى (المشايع)، وللفرق الصوفية فيها نشاط ملحوظ، والتوجّه نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام ملحوظ كذلك^٢.

معركة كوسوفو:

لقد شهدت أوروبا غزوتين رئيسيتين قام بهما المسلمون لأراضيها التي أضفت عليها المسيحية طابعاً بالغ القداسة، ففي الغزوة الأولى (٧١١ م) سقطت أسبانيا وصقلية، واحتل المسلمون جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا. وبدأت الغزوة الثانية في عام ١٣٥٣ م، حين سارت الجيوش العثمانية لتخضع شبه جزيرة البلقان، وظلت المناوشات مستمرة

(١) مجلة نور الإسلام، العددان ١٧ و١٨، السنة الثانية، محرّم وصفر ١٤١٢ هـ.

(٢) مجلة (باسدار إسلام)، العدد ١٣٥.

بين الطرفين، فيما تشهد ساحات الوغى حالة الكَرْ والفرّ، حتى حلول عام ١٣٨٩ م، حيث كانت معركة كوسوفو الفاصلة. ففي الخامس عشر من حزيران ١٣٨٩ م، التقى العثمانيون - بقيادة (السلطان مراد) - بالقوات الصربية والتي كانت تساندها جيوش إضافية من البشناق والمجر والبلغار والألبانيين (الأرناؤوط)، وكانت المواجهة عنيفة، قتل فيها (مراد) نفسه في هذه المعركة، كما إن الأتراك قتلوا ملك الصرب (لازار)، وانقشع غبار المعركة الدامية عن هزيمة نكراء للصرب وسقوط مملكتهم، وهكذا خسرت مملكة الصرب المجاورة لألبانيا استقلالها، وقد ترك هذا الحدث أثراً بليغاً في نفسية الشعب الصربي، الذي تلبّسته منذ ذلك الحين وحتى اليوم، عقدة الانتقام^١.

كان طبيعياً أن تثير الانتصارات الاسلامية بقيادة العثمانيين جزع الغرب، فقام البابا (بونيفاسيوس التاسع) يدعو إلى الحرب ضد المسلمين في فرنسا والبلدان المجاورة لجبال الألب، وجنوبي ألمانيا، وإذا بالفكرة الصليبية التي نسيها الناس في الظاهر، منذ أمد طويل تعود إلى الظهور، فلا يطلّ ربيع سنة ١٣٩٦ م حتى يكون (سيجسموند) ملك المجر قد استطاع أن يجمع حوله في (بودا) جيشاً قوياً من الفرسان تقاطروا إليه من بلدان أوروبا الغربية، ولكن فقدان روح النظام عند هؤلاء المحاربين في سبيل (الايمان) جعل حماسهم عديمة الجدوى بالكامل، وذهبت جميع جهود (سيجسموند) لقيادتهم في حرب منظمة أدراج الرياح^٢.

ولكن هذه الرياح الصليبية ما فتأت تعاود هبوبها، بين فترة وأخرى، فما إن انقضت خمس سنوات على معركة كوسوفو، حتى سيطر العثمانيون على البلقان كلّ ما عدا القسطنطينية على أثر معركة (نيكوبولس) الحاسمة، وبعد أن تبدل الوضع القانوني للصرب عدة مرّات، أصبحت هذه البلاد مقاطعة تركية في ١٤٥٩ م، وبقيت كوسوفو

(١) صحيفة كيهان العربي، العدد ٢٦٤٣، ٢٧ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ - ٢٥ تشرين الاول ١٩٩٢ م.

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية : ٤١٩، الطبعة العاشرة.

جزءاً من الدولة العثمانية حتى عام ١٩١٢ م، واعتنق النبلاء الصرب - ممن بقي حياً بعد معركة كوسوفو وهم قلة - الإسلام وبدأوا يتصرفون كدعاة لنشر الدين المنتصر بين عامة الشعب^١.

والجدير بالذكر أن الألبان اليوم يشكلون غالبية السكان في كوسوفو، ولكنهم ليسوا المسلمين الوحيديين هناك، فإلى جنبهم يعيش المسلمون الأتراك والمسلمون الذين يرجع أصلهم إلى البوسنة والمسلمون المونتينيغريون بالإضافة إلى المسلمين الصرب^٢.

إقليم سنـجـق :

تتوسط سنـجـق أراضي كل من البوسنة وكوسوفو في منطقة البلقان ويبلغ عدد نفوسها (٣٥٠) ألف نسمة، ٨٠ ٪ منهم مسلمون، وقد قامت قوات الاحتلال الصربية بإخضاع هذه المنطقة إلى سيطرتها، وقامت بمحاصرتها بشكل شديد إبان احتلالها للبوسنة وإلى الآن. إذ جاء في الميثاق الوطني المنشور عام ١٨٤٨ م أن «سنـجـق» يجب «تطهيرها» من الألبان، أما البوسنة والهرسك فيجب إزالة المسلمين وإبعاد الكروات منها. وحالياً ليست ثمة حرب رسمية على أراضي «سنـجـق»، لكن المواطنين المسلمين فيها يواجهون تصفيات ومضايقات وأعمال اختطاف وقتل بواسطة الإرهابيين الصرب في المنطقة. وقد قام هؤلاء بحرق أكثر من مائة بيت ومحل سكني وتسببوا في قتل أكثر من ٥٠ مسلماً، وبسبب الإرهاب الحاصل على يد الصرب غادر «سنـجـق» وفرّ منها نحو ٦٩ ألفاً من أهاليها للعام ١٩٩٢ م فقط. وكخطوة على سبيل الإنقاذ (والدفاع عن النفس) شكّل مسلمو (سنـجـق) مجلساً وطنياً للمسلمين في هذه المنطقة، وذلك بتاريخ الحادي عشر من أيار عام ١٩٩١ م. «وهو مجلس إداري يضمّ وحدات تعنى بالشؤون

(١) صحيفة كيهان العربي، العدد ٢٦٤٣، ٢٧ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ - ٢٥ تشرين الأول ١٩٩٢ م.

(٢) صحيفة الهلال الدولي، ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٨ م.

الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتعليمية والانسانية والسياسية، وفيه أمانة عامة، وهو يواصل نشاطه بجذّ في الحقوق المذكورة. والمسلمون السنّجق بحاجة فعلية إلى مساعدات هامة وعاجلة ليقوموا بمؤسساتهم الوطنية».

هذا هو جانب من البيان الصادر عن أمانة المجلس الوطني للمسلمين في سنّجق والمذيل بتوقيع الدكتور (سليمان أوغلانين)^٥ رئيس المجلس الوطني الذي زار طهران اوائل العام الحالي. ليناقدش الوضع في البوسنة والهرسك وفي (سنّجق) أيضاً مع المسؤولين فيها^١.

وأخذت الصحوة الاسلامية العالمية مأخذها في (سنّجق) وبدأت معالم النهضة الاسلامية والتوجّه العام - خصوصاً في أوساط الشباب - تظهر جليّة على السطح الاجتماعي، وعبر المسلمون في هذا الإقليم عن رغبتهم بالعودة إلى الاسلام وتطبيقه. وأدّى هذا الشعور المتنامي إلى تخوّف الاستكبار العالمي والصرب، لذلك بدأ السعي بكل وحشية وإرهاب من أجل الوقوف أمام أهداف المسلمين. فنّصّب الصرب أسلحتهم على المرتفعات المشرفة على مدن سنّجق، وفي أية لحظة يمكن أن تتكرّر فاجعة مشابهة لتلك التي حدثت في البوسنة، فالتفجيرات المتتالية التي قام بها الصرب خلال الأشهر الماضية في الأماكن الدينية والمناطق السكنية، وتدمير المراكز التجارية للمسلمين وإحراق ممتلكاتهم هي مؤشرات على بداية التطهير العرقي في المنطقة لإيجاد دولة صربية خالية من المساجد. ويواجه المسلمون مشاكل جمّة عند إقامة المراسم والمجالس الدينية، وإذا ما أرادوا الخروج من هذه المنطقة فما عليهم إلا عبور

(٥) الدكتور سليمان أوغلانين أحد مؤسسي الحزب الديمقراطي الاسلامي الذي يرأسه الرئيس البوسني عزت بيكوفيتش، ويشغل الآن منصب نائب رئيس الحزب، وقد ترجم كتاب الحكومة الاسلامية للامام الخميني قدس سره إلى اللغة الابانية. وله صدئ واسع في صفوف المسلمين البلقان وقد لعب دوراً مهماً في رفع المستوى الثقافي السياسي هناك. (عن مجلة پاسدار اسلام).

(١) صحيفة كيهان العربي، العدد ٢٧٣٠، ٢٢ شعبان ١٤١٣ هـ - ١٤ شباط ١٩٩٣ م..

العشرات من نقاط التفتيش التابعة للجيش الصربي^١.

مقدونيا:

تقع مقدونيا في أقصى جنوب الاتحاد اليوغسلافي السابق ومساحتها (٢٥١٧٣) كيلومتراً مربعاً وتقع جنوب صربيا وكوسوفو، وشرق ألبانيا وشمال اليونان، وتحدها بلغاريا شرقاً، ويبلغ عدد سكانها مليوني نسمة، ٦٧٪ منهم مقدونيون الأصل، و٢٥٪ منهم ألبانيون، و٤/٥٪ منهم أتراك و٣/٥٪ منهم صربيون. وإن ٥٠٪ من سكان مقدونيا مسلمون، ولكن الحكم بيد المسيحيين، ومن المؤسف أن المسلمين قد أبعدوا عن الساحة السياسية والتنفيذية والاقتصادية تَعَمُّداً، علماً بأن المناطق المسيحية أكثر إعماراً ورقياً من المناطق المسلمة. ومع هذا فقد تمسك المسلمون بهويتهم الاسلامية أكثر من ذي قبل، وأخذوا يهتمون بالشعائر الاسلامية كالحجاب والمظاهر الأخرى، ويُرى الحجاب الاسلامي في مدينة (أسكوبيا) مركز الحكم المقدوني ومدينة أخرى هي (تتو) بشكل ملحوظ.

وأكثر المسلمين هناك سُنّة حنفية ولهم تصوّر حسن عن التشيع، ويسعى المثقفون والكتاب إلى إحياء الدين مستلهمين ذلك من الثورة الاسلامية. ويسعون لإدخال الدين في الحياة السياسية والاجتماعية، وتوجد في (أسكوبيا) مساجد عديدة يرجع تاريخها إلى القرن العاشر والحادي عشر الهجري، وقد بُني أغلبها بأمر السلطان العثماني محمد الفاتح. وتقام دروس تعليم القرآن والمعارف الإسلامية في هذه المساجد، ويشارك الشباب فيها بشغف. وأغلب طلاب العلوم الدينية يدرسون في مصر والسعودية وتركيا. وصمّموا أخيراً على إنشاء كليات تختص بالعلوم الاسلامية في بلدهم.

وتوجد في مقدونيا بعض التكايا (أماكن لإقامة المراسم الدينية) مزخرفة من الداخل

بأسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام وبعض الايات الشعرية في مدحهم. كما توجد هذه الاسماء في بعض المساجد مكتوبة على الجدران. وتوجد في هذا الاقليم آثار شعرية للشاعر الألباني (فلاشري) والذي يعتبر حقاً شاعراً لأهل البيت، وقد نُشرت أشعاره بكثرة، ويتناولها الناس باهتمام وشوق، وفي مقدونيا عدد قليل من أتباع أهل البيت. وهناك متصوفة ودراويش يعملون في تكاياهم وصوامعهم. وتسمى الجمعيات الدينية الرسمية كما في كوسوفو (المشيخات) وهي تُدير الجماعات وتؤمن مواردها المالية. وتصدر هناك صحيفة لهذه الجمعيات كل أسبوعين بإسم الهلال. وقد وضعت كتب العلامة الطباطبائي والشهيد المطهري والوصية الإلهية السياسية للإمام الخميني قدس سره في متناول أيدي المسلمين هناك. وهذه الحركة الثقافية مؤثرة جداً في نشر الوعي الديني للشباب. وإن شباب هذا الإقليم ينظرون إلى الثورة الاسلامية باحترام، بخلاف ما يروّجه الاعلام الاستكباري والصربي.

وفي مقدونيا مدينة مقدّسة تسمى (تتو)، ومظاهرها غير الدينية قليلة جداً، وإن مطاعمها خالية من المشروبات الكحولية. وبالرغم من الهجوم الثقافي الصربي الشديد والحكم الشيوعي لسنوات عديدة إلا أن مشاهدة المظاهر الاسلامية القوية تُعَدّ من العجائب، وفيها شباب ثوريون متمسكون باسلامهم، ولديهم إطلاع سياسي جيد عن العالم الاسلامي. وهناك حزب بإسم (الحركة الاسلامية) وهو غير رسمي، كما وتعتقد المجالس الحسينية أيام عاشوراء لأبي الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ويوزّع طعام (نذر عاشوراء) فيها.

ولمقدونيا مشتركات ثقافية وقومية مع اليونان، لأنها كانت جزءاً من حضارة اليونان، وقد حكمها الاسكندر المقدوني، وقد حكمها الصرب إلى القرن الرابع عشر الميلادي، ثم سقطت بأيدي العثمانيين، وحكموها خمسة قرون متوالية. وفي القرن التاسع عشر وخلال معارك طاحنة بين العثمانيين والروس خرجت من أيدي الدولة العثمانية، وسعت

بلغاريا لضمّها، ولكن مؤتمر برلين الذي انعقد لهذا الشأن وبحث الوضع في شبه جزيرة البلقان حال دون ذلك.

وبقيت الحال على ذلك، وكان للصرب والبلغار مطامع فيها. وخلال المعارك الدامية التي وقعت بين اليونان والصرب عام ١٩١٢ م - ١٩١٣ م احتُلت من قبل الدولتين، واحتُلت بعض أجزائها الشرقية من قبل البلغار إثر الهرج والمرج الحاصل آنذاك من الحرب.

وخلال الحرب العالمية الثانية احتُلت بلغاريا مقدونيا ثم انتزعتها منها الشيوعيون اليوغسلاف عام ١٩٤٥ م. وبقيت بأيدي الصرب منذ عام ١٩٤٦ م كجزء من أراضي الإتحاد اليوغسلافي.

وقد حظيت مقدونيا في عهد تيتو بالاستقرار والهدوء، ولكن بموته تقوّى الصرب، وأحدثوا فيها الهرج والمرج بدعم من صربيا، ونشروا الرعب والتعذيب الوحشي للقضاء على القيم الاسلامية والفكر الديني.

أعلنت مقدونيا عام ١٩٩١ م ومن خلال انتخابات عامة استقلالها من بلغراد كثالث جمهورية من جمهوريات يوغسلافيا بعد كرواتيا وسلوفينيا، وفي الثامن من أيلول أعلنت رسمياً استقلالها، واعترفت بها روسيا في ٥ مايس ١٩٩٢ م، وقد امتنعت دول السوق الأوروبية عن الاعتراف بها بسبب ممانعة اليونان، مدّعية أن مقدونيا جزء من الحضارة اليونانية، ومن السخرية أن تقام دولة في مقدونيا يقطنها السلافيون، ويجب أن يرافق استقلالها تبديل اسمها ورفع نواقص الدستور، لذلك بقيت مقدونيا متأرجحة، ويُخشى أن يهاجمها الصرب في كل لحظة بعد خروجهم من المستنقع الذي أوجدوه في البوسنة والهرسك ليقوموا بالقتل الجماعي للمسلمين في هذا الإقليم^١.

جمهورية ألبانيا:

تقع ألبانيا في أوربا، وهي إحدى البلدان الإسلامية، وعدد سكانها أربعة ملايين نسمة، عرفت ألبانيا الإسلام على أيدي المسلمين الأتراك يوم كانت استانبول هي دار الخلافة وذلك مع بداية القرن السادس عشر (١٥٠١ م). ولقد تعبد المسلمون الاتراك في إخضاع هذه الأرض إلى حكم الله أول فتحهم لها. ذلك أنه كان هناك رجل نصراني قارع المسلمين ووقف في وجههم عشرين سنة على الرغم من دخول قومه الاسلام راغبين، كان ذلك الرجل هو «جورج اسكندر باك»، وإنك تجد اليوم أساطير كثيرة تعظم شأنه كيداً للإسلام. كما إنك تلاحظ اليوم في أكبر ساحة بالعاصمة «تيرانا» تمثالاً له وهو راكب فرسه والسيف بيده وإنك ترى على بضعة أمتار منه مسجداً وقد أغلق ظمناً وعدواناً منذ عام ١٩٦٧ م..

وكما هو معروف فإن الفتوحات الإسلامية لأوربا توقفت عند (فيينا) العاصمة النمساوية، وذلك بعد فتح بلغاريا وألبانيا واليونان والجمهوريات اليوغسلافية وجزء من إيطاليا^١.

تميّز انتشار الاسلام بين الألبان عن انتشاره بين بقية الشعوب في البلقان بأنه كان انتشاراً شبه عام، بحيث أن حوالي ٨٠٪ من الألبان اعتنقوا الدين الجديد وظلّوا إلى يومنا هذا ثابتين على معتقدتهم رغم الظروف والمحن التي مرّت وتمرّ بهم، وذلك بعكس بقية الشعوب البلقانية التي دخل منها قسم قليل إلى الاسلام، وتخلّى بعضهم عنه في ظروف مختلفة، وترجع هذه الظاهرة إلى أمرين متصلين بإسلام العثمانيين :

الأول : إيجابي، لأن الدولة العثمانية قدّمت في تلك المناطق نموذجاً من التسامح الديني اشتهر لدى كثير من الرّحالة والمستشرقين الأوروبيين الذين كانوا يشيدون بالمستوى العالي من الحرية التي كان يتمتع بها غير المسلمين من مسيحيين ويهود في

مناطق الحكم العثماني. وهذه الحالة شجعت الكثير من المسيحيين واليهود (يهود
الاندلس تحديداً) على الهجرة إلى مناطق البلقان للعيش فيها. وإذا كان التسامح يحسب
لمصلحة الدولة العثمانية رغم الاضرار التي ألحقها بمصير الدولة في مراحل لاحقة من
تطورها، فإن الأمر الثاني يحسب عليها، وهو أن العثمانيين اكتفوا من الداخلين بالاسلام
أن ينطقوا بالشهادتين، أي بالمظهر فقط، وكان ذلك يتم ضمن تظاهرة احتفالية كبرى
فرحاً بالمتضمنين الجدد، وهذا يعود إلى أن بعضهم أسلم حفاظاً على الثروات
والامتيازات، وإن الكثير من الذين أسلموا لم تتح لهم الفرصة للتعلم بالاسلام ومبادئه
توعية وترسيخاً في نفوسهم^١.

إن حرب البلقان التي اندلعت في أواخر العام ١٩١٢ م كانت لها أصدائها في
مختلف الاقطار الاسلامية، وعمت التظاهرات مدناً كثيرة تطالب بالنطق للقتال إلى
جانب الألبان، ولم يكن الدافع في هذا كله سوى رابطة الدين، بغض النظر عن أي انتماء
عرقي أو لغوي، وبنتيجة هذه الحرب أعلنت الدول الأوربية استقلال ألبانيا، ولكن أي
استقلال كان ؟ فقد انحصر في رقعة صغيرة حول مدينة (فلورا) في حين وقعت مناطق
الألبان الأخرى تحت إحتلالات عسكرية.

فالدولة «المستقلة» كانت تضم أقل من ٨٠٠ ألف ألباني، في حين أن المناطق التي
صُمت إلى مملكة صربيا كان يعيش فيها ما يعادل هذا العدد، هذا غير تلك التي صُمت
إلى الجبل الأسود وإلى اليونان.

وقد كان حظ الألبان أكثر تعاسةً عندما نصب على عرش الإمارة ويقرر من الدول
الأوربية نبيل ألماني يدعى (فيلهلم فون فيد). وقد كانت الاوساط السياسية الألبانية تأمل
أن يكون عرش الإمارة من نصيب الأمير (أحمد فؤاد) باعتباره ألباني الأصل وذا نشأة
شرقية، وقد تفجّر استياء الجماهير في وجه الأمير الألماني وكان ذلك بتحريض من

المشايع لكونه أجنبياً (كافراً) لا يحقّ له أن يحكم بلداً مسلماً. ثم تحوّل الاستياء إلى حركة جماهيرية مسلّحة تمكّنت من السيطرة على معظم ألبانيا. وقد كان الزعيم الفعلي لهذه الحركة الشيخ (موسى كاظمي) مفتي مدينة (تيرانا) الذي كان من أشدّ المدافعين عن الابدعية العربية. وقد أقلقت الحركة الدول الاوربية لأنها خشيت امتدادها إلى الألبان المسلمين في المناطق المجاورة التي كانت قد سلّخت عن السلطنة قبل سنوات. وبدلاً من قبولها حركة إسلامية للدفاع عن النفس عمدت الأجهزة إلى تصويرها على أنها حرب المسلمين ضد المسيحيين. واندفعت قوات يونانية من الجنوب، وأدّى ذلك إلى جرف الوجود الاسلامي حتى أن أكثر من مائة ألباني أبيضوا داخل الكنيسة التي التجأوا إليها هرباً من القوات الغازية. ولكن الحركة الجماهيرية المسلّحة اتّقدت وتوسّعت إلى (دورس) عاصمة ألبانيا آنذاك وأقامت حكومة مؤقتة فيها.

وكان ردّ الدول الاوربية بتوسيع التدخّل العسكري في معظم الدول المجاورة التي تمكّنت (خصوصاً قوات صربيا) من ضرب هذه الحركة بعد معركة طاحنة وتمّ اعتقال زعماء الحركة وإعدامهم ومنهم الشيخ (موسى كاظمي) نفسه. هكذا فإن مأساة الشعب الألباني تجاوزت كل حدّ، خصوصاً بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ م، حيث وقعت ضحية التقسيم وفق معاهدات لندن السرية بين إيطاليا وصربيا والجبل الاسود واليونان، مع إبقاء دولة صغيرة خاضعة للنفوذ الايطالي، وذلك في إطار صفقة مع إيطاليا كي تعلن الحرب على دول المحور. ولكن النمسا تمكّنت من احتلال ألبانيا على حساب أكثرية سكانها المسلمين في العام ١٩٢٠ م في إطار مؤتمر السلام المزعوم. وقد تشكّل مجلس أعلى للرئاسة جعلت عضويته بالتساوي بين المسلمين (الذين يشكّلون أكثر من ٨٠% من السكان) وبين الطوائف المسيحية الذين يمثلون ٢٠% من السكان. ولم تكتمل مأساة ألبانيا فصولاً حتى تولّى السلطة فيها الرئيس - الملك - (أحمد زوغو) فقد بدأ (أحمد) المذكور رئيساً لجمهورية ألبانيا المشكّلة في العام ١٩٢٥ م،

ولكن لم يلبث أن أعلن في العام ١٩٢٨ م نفسه ملكاً على ألبانيا، وفي ظل ملكيته سقطت ألبانيا بالتدريج تحت النفوذ الاقتصادي والعسكري الغربي، وكان ذلك مقدمة لاحتلال ألبانيا من قبل إيطاليا في ١٩٣٩ م، وتمّ دمج ألبانيا بإيطاليا وقدمّ تاجها إلى ملك إيطاليا (فيكتور عمانوئيل الثالث)^١.

وهكذا كانت ألبانيا أرضاً إسلامية حتى عام (١٩٤٠ م)، ففي هذه الفترة وبعد إبعاد الدولة العثمانية عن الساحة السياسية، تمّ إعلان الحرب العالمية الثانية، وسقطت ألبانيا في قبضة الفاشية الإيطالية.

قاوم الألبان الغزاة الإيطاليين وأخرجوهم من أرضهم. وكانت للمجاهدين المسلمين مشاركة فعّالة في هذه الحرب. نذكر من هؤلاء (الشيخ مصطفى بابا فایت) إمام أحد مساجد البلاد آنذاك، والذي كان قائداً في إحدى الجبهات. ولقد أعدم هذا الشيخ بعد الحصول على الاستقلال المزعوم عام ١٩٤٦ م.. ومع استقلال البلاد هذا، بدأ «أنور خوجا» في تصفية أعدائه ورفقائه حتى يخلو له الجوّ.

و(أنور خوجا) هذا هو مسلم إسماعيلي اعتقداً. وكان جدّه إمام مسجد بجنوب البلاد، وبالقبط في مدينة «جيروكاسترا». وكان عمه من علماء البلاد^٢.

استولى حزب العمال الألباني (أي الحزب الشيوعي) على السلطة في بلاد «ألبانيا» الجبلية الصغيرة حين انهارت الإمبراطورية الإيطالية - الألمانية في ألبان سنة ١٩٤٥ هـ. وعلى الفور قامت السلطات الجديدة بالاستيلاء على ممتلكات الأوقاف، ووضعت المدارس الإسلامية الدينية تحت سيطرة الدولة، وقامت بقتل عدد لا يحصى من العلماء وسجنهم. وتدهورت الأمور أكثر بعد الخصام الألباني مع يوغسلافيا سنة ١٩٤٦ م، وإن كانت التدابير المتخذة ضد الإسلام حينذاك تعتبر جدّاً خفية بالمقارنة مع ما حدث

(١) مجلة العالم، العدد ٩٥، ٧ / ١٢ / ١٩٨٥، الموضوع (سايس بيكو على الطريقة الألبانية): ٢٨.

(٢) مجلة منار الإسلام، العدد العاشر، السنة الحادية عشر، شوال ١٤٠٦ هـ.

بعد ١٩٦٧ م.. وصدر قانون بتاريخ ١١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٩ طلب من كل الهيئات الدينية أن تؤدي يمين الولاء للدولة الشيوعية.

ولقد قام الشعب الألباني بانتفاضة عام ١٩٦١ م، التي شملت غالبية مناطق الشمال المسلم وجزءاً من الوسط والجنوب، إلا أنها قمعت بمجازر راح ضحيتها الآلاف من سكان البلاد والذين كان عددهم في ذلك الوقت حوالي مليوني نسمة^١.

ويجدر بنا أن نلاحظ في ضوء القهر الكلي للإسلام، الذي كان سيأتي عمّا قريب، أن النظام الألباني في هذا الوقت - مقلداً الخط السوفياتي - لم يكن يتردد في استخدام العلماء لأجل الدعاية السياسية في الخارج، وخصوصاً في البلاد الإسلامية. وهكذا قام أحد زعماء الدين وهو (حافظ موسى حاجي علي) بزيارة آسيا الوسطى على رأس وفد ألباني إسلامي واستقبله رئيس المجلس الإسلامي الديني في (أوزبكستان)، بينما زار الاتحاد السوفيتي وفد أرثوذكسي ألباني مماثل في الوقت نفسه. ويبدو أن روسيا كانت تريد أن تستغل علاقاتها الوثيقة مع ألبانيا لإنشاء علاقات مع بلاد إسلامية. ففي هذا الوقت لم يكن المسلمون يواجهون ذلك القدر من الاضطهاد الذي كان يتعرض له الكاثوليك.

وانتهت هذه الايام السعيدة في أعقاب ١٩٦١ م، حين انشقت ألبانيا عن موسكو بسبب السياسة الروسية «الانحرافية» عن السياسة الستالينية، وتوجهت تيرانا إلى بكين، ولكنها سرعان ما واجهت العزلة مرة أخرى حين «انحرفت» بكين هي الأخرى عن الستالينية. وظهرت آثار هذه العزلة بعد تفاعلات دامت ست سنوات. ففي ٦/ شباط / ١٩٦٧ ألقى أنور خوجا خطبة هاجم فيها الإسلام هجوماً شديداً، ووصف الدين بأنه تعبير عن «إيديولوجية بورجوازية رجعية» وتم إعلان ألبانيا كأول دولة إلحادية في العالم. وأنشأ متحفاً للإلحاد بمدينة (شكودرا). وأغلق ٢١٦٩ مسجداً وكنيسة

في أنحاء البلاد، وحُرِّمت العبادة.. الأمر الذي كان يعني أن مجرد العبادة «جريمة» يعاقب عليها بالسجن، وهدّمت المساجد أو حوّلت لاستعمالات أخرى. وصدر دستور جديد سنة ١٩٧٦ م يحظر أية دعاية دينية. وفي السنة نفسها صدر قانون يحظر الآباء من تسمية أولادهم بأسماء ذات مدلولات دينية، وفي السنة التالية صدر قانون عقوبات جديد، وتضمّن هذا القانون عقوبة تمتدّ من ثلاث سنوات إلى عشر سنوات لأي شخص يُدان بالدعاية الدينية. وابتعد الاسلام عن الساحة، وأصبح يمارَس في الخفاء نتيجة هذه القرارات والقوانين الجديدة.

ومن الصعب القول كيف بقي الاسلام يقاوم طوال هذه المدة من الانقطاع، بعد تغيّبه عن الانظار، وذلك بسبب شدة الإضطهاد الذي عاناه المسلمون الألبان. ولم يبلغ قرار تحريم الممارسة الدينية إلّا في آيار ١٩٩٠ م^١.

وفي مطلع نيسان ١٩٨٥ م هلك «أنور خوجه» الزعيم الشيوعي الألباني، وقد أتاحت وفاته الفرصة ليتذكّر العالم ذلك البلد الذي حكمه (٤١) عاماً وفرض عليه خلالها عزلة فريدة من نوعها في التاريخ، حتى قيل: إن الانجاز الوحيد لـ (خوجه) هو قدرته على إثبات أن بإمكان بلد ما أن يعيش منعزلاً في هذا القرن الذي تحوّل فيه العالم بفضل وسائل الاتصال إلى قرية صغيرة^٢. وبعد موت «خوجه» خلفه رامز عاليا وهو من قادة الحزب. لقد انتخب (رامز عاليا) أميناً عاماً للحزب الشيوعي وزعيماً لألبانيا، حيث واصل تطبيق سياسة سلفه (خوجه) وعبر في مناسبات عديدة عن التزامه بالنهج المتشدّد الذي سلكه^٣.

ورغم سياسة القهر والارهاب بقي الاسلام حيّاً نابضاً في قلوب أبنائه من مسلمي ألبانيا، ومع سقوط وانهيار الشيوعية في العالم، حاولت السلطات الشيوعية هناك البقاء

(١) صحيفة الهلال الدولي، ١٦ - ٢١ كانون الثاني ١٩٩١ م..

(٢) مجلة الأمة، العدد ٥٧، آيار ١٩٨٥ م..

(٣) صحيفة الجهاد الدولي، العدد ٢٩ - ٤٩٨، ٤ ذي الحجة ١٤١١ هـ - ١٧ حزيران ١٩٩١ م..

بمعزل عن هذا السقوط، إلا أن إرادة الشعب المسلم كانت أقوى من ألفيات حكام ألبانيا الذين خضعوا أخيراً لتلك الإرادة الصلبة، وأذعنوا بإقرار نظام التعددية الحزبية، وإطلاق الحريات السياسية والدينية في البلاد. مما يشير إلى أن هذا الشعب وضع أقدامه على طريق تحطيم قوانين الإلحاد المفروضة عليه، والعودة إلى أحضان دينه الحنيف وعقيدته الإسلامية.

ألبانيا ومذهب أهل البيت عليهم السلام :

إن أكثر مسلمي ألبانيا هم من الفرقة البكتاشية، وهي من الفرق الشيعية المحبة لأهل البيت عليهم السلام. وقد تأسست الفرقة البكتاشية على يد السيد محمد الرضوي المعروف بالحاج ولي بكتاش الصوفي المولود في نيشابور، ويقال إن نسبه ينتهي إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام^١.

وعقائد الفرقة البكتاشية قريبة من عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فهم يؤمنون بالأئمة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام، ويظهرون حباً وولاءً لجميع أهل البيت عليهم السلام.

ولهذه الفرقة دور كبير في نفوذ فكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وشعائره، حتى أن الادب الشيعي أصبح جزءاً مهماً من الأدب الألباني بما فيه من تراث ومذائع لآل البيت عليهم السلام، ومن ذلك ملحمة شعرية للشاعر (نعيم بك) (١٨٤٦ م - ١٩٠٠ م) في مقتل الحسين عليه السلام، سماها كربلاء، وتعتبر من روائع الأدب الألباني. ونعيم بك هذا هو شقيق المؤلف الألباني الكبير (شمس الدين سامي بك) (١٨٥٠ م - ١٩٠٤ م) الذي اشتهر بمؤلفاته العلمية.

والايام العشرة الاولى من شهر محرم في ذكرى شهداء كربلاء لها تقاليد خاصة

في أوساط الألبانيين البكاشيين، ففي خلال هذه الايام العشرة لا يشربون الماء، كما يشربون للعطش الذي حلّ بأبطال كربلاء، كما يتخلّى الالبانيون عن الفخخة^١ في هذه الأيام، ويذهبون للتكية لاستذكار أيام كربلاء، حيث يردّدون في الطريق: يا إمام! يا إمام! ولكن في هذه الايام العشرة لا يسترجعون ذكرى كربلاء فقط، بل الحوادث والتضحيات الأخرى لبعض الانبياء والأئمة عليهم السلام. وقد جرت العادة على تقسيم هذه الأيام العشرة بحيث تترك كل ليلة لذكرى خاصة:

١ - الليلة الاولى، تسترجع فيها معاناة بعض الانبياء كآدم ونوح وإبراهيم ويوسف وموسى وأخيراً المسيح عليهم السلام.

٢ - الليلة الثانية، تسترجع فيها ذكرى النبي محمد صلى الله عليه وآله ومعاناته مع قومه.

٣ - الليلة الثالثة، تختص بذكرى الامام علي عليه السلام الذي سقط شهيداً في سبيل العدالة.

٤ - الليلة الرابعة، تفتح سيرة الامام الحسن عليه السلام الذي توفي مسموماً بتدبير المؤامرة.

٥ - الليلة الخامسة، تترك لسيرة الامام الحسين عليه السلام.

٦ - الليلة السادسة، تسترجع فيها ذكرى هجرة الامام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة.

٧ - الليلة السابعة، تختص بذكر مسلم بن عقيل، الذي ذهب سفيراً للامام الحسين عليهما السلام إلى الكوفة، حيث استشهد هناك.

٨ - الليلة الثامنة، تسترجع فيها ذكرى انطلاق الحسين عليه السلام باتجاه الكوفة.

٩ - الليلة التاسعة، وتختص بذكرى وصول الامام الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

١٠ - أما الليلة العاشرة، فتترك لذكرى واقعة كربلاء.

(٥) الفخخة: التفاخر بالباطل. (المنجد: باب فتح).

وفي هذه الليالي العشر يتم استرجاع الذكرى بالاحاديث التي تستند إلى الروايات التاريخية حول هذه الواقعة، كما تُنشد فيها القصائد التي تتناول أحداث كربلاء. وقد وضعت في القرن التاسع عشر لهذه الحاجة ملحمة (الحديقة) لـ (داليب فراشيري Dalip Frasheri)، وترجمت في الوقت نفسه تقريباً «مختارات نامه» من قبل (شاهين فراشيري Shahin Frasheri). فقد كانت القصائد تُنشد منهما في المناسبات الخاصة في التكايا، ومن ذلك مناسبة كربلاء.

وعكف الشاعر نعيم بك ما بين السنوات (١٨٩٢ م - ١٨٩٥ م) على كتابة ملحمة «كربلاء» شعراً، التي صدرت سنة (١٨٩٨ م) في عشرة آلاف بيت من الشعر. وتعتبر هذه الملحمة من أفضل الابداعات، لا في شعر نعيم فحسب، بل في الادب البكتاشي بشكل عام. وقد قسم نعيم ملحمة هذه إلى خمسة وعشرين فصلاً مرقمة دون عناوين، بحيث يتناول كل فصل حادثة أو أكثر^١.

وبسبب ذلك تعرّض البكتاشيون للاضطهاد والظلم التعسفي على يد حكومة (أنور خوجا) بهدف القضاء عليهم وصهرهم في إطار النظام الشيوعي الألباني رغم أن (أنور خوجا) هذا وأباه (خليل) كانا ينتميان إلى هذه الفرقة، إلا أن حقه المتولد من عقيدته الشيوعية دفعه لقتل أبيه سنة ١٩٦٧ م.. وفي نفس السنة أعلن عن حظر هذه الفرقة في ألبانيا، وشنّ حملة ظالمة عليها توجّها بقتل جميع رجال الدين المنتمين لها، وذلك خلال ما سمي «بحرب التحرير».

ولم يكتف بذلك، بل أحرق مقابرهم، مما اضطر رؤساء هذه الفرقة إلى نقل مقرهم إلى مدينة (ديترويت) في الولايات المتحدة الأمريكية، تحت عنوان : «المركز العالمي البكتاشي» ويتولّى قيادتها (بابا رجب باردي)، ويعد انهيار النظام الشيوعي في ألبانيا عقدت الفرقة مؤتمرها العالمي سنة ١٩٩٢ م ، وأحادت مقرّها إلى ألبانيا.

(١) الأمين. حسن، دائرة المعارف الاسلامية، الشيعة، ط ٣، ٥ : ١٨٦، باب ألبانيا - التشيخ في ألبانيا.

وكان من أبرز أنواع الاضطهاد الذي لحقهم خلال مدة الحكم الشيوعي لألبانيا والذي استمرّ حوالي نصف قرن هو سلب الحريات الدينية والسياسية والثقافية، فقد منعوا من إقامة الشعائر الدينية، وحرّموا من أية وسيلة إعلامية تربطهم بالعالم الخارجي، فلم تكن لديهم صحيفة، ولا إذاعة، ولا تلفزيون، وغاية ما كان يصلهم هو ما كانت تبثّه الدولة من أخبار عن طريق مكبّرات الصوت مرّة واحدة في الاسبوع، التي نصبت في الساحة الرئيسية للعاصمة (تيرانا)، كما لا يوجد في هذه العاصمة سوى مسجد واحد.

وأمام الضعف المادي وقلة الوسائل والقدرات التبليغية، فقد بقي المسلمون في ألبانيا يعانون من جهل بالثقافة الاسلامية وشؤون المسلمين في العالم، في الوقت الذي وصل فيه التبشير النصراني فيها ذروته لما يملكونه من أسباب ووسائل كبيرة مكّنتهم من الوصول إلى القرى والارياف. ونشر الافكار والعقائد النصرانية من خلال ما يسمّونه بالخدمات والمساعدات الانسانية، كالخدمات الصحية، خصوصاً وأن مسلمي ألبانيا يعيشون حصاراً إعلامياً وثقافياً عزلهم عن باقي المسلمين ومجريات الاحداث في العالم.

(يتبع)

مختارات من الرواية الشعرية



(٢)

علي الصقلي (المغرب)

[حوار شعري متخيل بين الامام الحسين عليه السلام وزوجته الرباب وهما
يتناخيان ابنتهما سكينه]

الرباب :

لَيْسَعِدَ الْحُسَيْنُ وَالرَّبَابُ بِكَ، وَتُفْتَحَ لَهُمَا الْأَبْوَابُ
[في نفسها مرعدة]

حَتَّى يَحُولَ كَالرَّحِيقِ الصَّابِ!

الحسين :

دَعِي، رَبَابُ، الصَّابَا مَنْ ضَاقَ... مَا أَصَابَا
دَنَا الرَّجَاءُ، وَأَنَا، رَبَابُ، مِنْهُ قَابَا^١
مَنْ ذَا الَّذِي يُوصِدُ، دُو نَ رَبِّكَ، الْأَبْوَابَا؟

الرباب :

جَلَّ الَّذِي يَعْرِفُ خَا بِنَّةً^٢ كُلَّ عَيْنِ

(١) القاب في الأصل : ما بين الوتر وقوسه، يقال : «هو على قاب قوسين» كناية عن القرب.

(٢) خائنة الأعين : ما تسارق من النظر إلى ما لا يحل.

كَمَا يُحِيط بِالَّذِي
يَعْلَمُ مَنْ أَنْتَ وَمَا
أَلَيْسَ بِمِثْلِكَ الَّذِي
خَصَّافَةٌ وَجِجَمَةٌ
لِذَا فَأَنْتَ وَحَدَّكَ الـ
تَسْأَلُ مَا إِلَيْهِ قَدْ
الحسين :

أَنَا لَمْ أَضِبْ، يَا رَبَّابُ، إِلَى مَا
الرباب :
أَيُّ فَرِيضٍ عَنَيْتَ ؟
الحسين :

وَعِدِي لِمَنْ قَدْ
وَأَنَا فِي حِمَى «الْحَرَامِ» ، وَجَمَعَ
الرباب :
أَرْجَاكَ الْعِرَاقِ مَنْ أَنْتَ تَعْنِي
وَبِهِمْ مَكَّةُ الْفَسِيحَةُ كَالطُّوفَانِ
الحسين :

أَيُّ تَعَمُّ
الرباب :

مَا رَجَا الْعِرَاقُ ؟ وَمَا كُنْتَ

يَسْرِي لِكُلِّ أَذِنٍ
أَوَّلَاكُهُ مِنْ شَأْنٍ
عَلَيْهِ - جَلُّ - يُشْنِي ؟
مُثْلِي، وَحَسَنَ ظَنُّ
أَحَقُّ دُونَ مَنْ
صَبَوْتُ مِنْ تَمَنِّي

دُونَ فَرِيضٍ عَدَا لِرِزَامًا عَلَيَّا

هَرَعُوا بِالْأُلُوفِ، أَمِيرِ، إِلَيَّا !
مِنْ صِحَابِي قَدْ قَامَ بَيْنَ يَدَيَّا

مَنْ طَوَّأُوا نَحْوَكَ الْفِيَّافِي^٢ طَيًّا ؟
سَأَلْتُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ عَشِيًّا ١٩

بِهِ وَاعْدَأُ بَنِيهِ وَقِيَّا ؟

(٢) الفيافي : ج فيفاء، المفازة لا ماء فيها.

(١) المراد به البيت الحرام بمكة.

فُنُونٌ وَأَدَابٌ

الحسين :

قَدْ رَجَوْنَا أَنْ أَجِثُ حَقًّا مُضَاعًا
بَيَّعُونِي عَلَى الْجِهَادِ دِفَاعًا...
وَمَتَى كَانَتِ الْخِلَافَةُ إِرثًا

الرباب :

يَا ابْنَ خَيْرِ الْوَرَى أَتَأْمَنُهم
وَهُمُ أَخْرَجُوا أَخَاكَ سَلِيلَ

الحسين :

لَمْ يَعُدْ، يَا رَبَّابْ، دُونِي مَلَاذٌ

الرباب :

الحسين :

هِيَ، لَوْ تَعْلَمِينَ، لَا رَبِّبَ فِيهَا
فَلَا تُخْلَصُ مَنْ جَاءَنِي مُسْتَفِيئًا

الرباب :

يَا لَهَذَا الْيَزِيدِ ! لَا زَادَ عُمرًا،
حَافِظًا عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ الْأكْبَرِ
وَعَلَيْكُمْ، يَا آلَ هَاشِمٍ، مِنْ جَا

الحسين :

كَبَنِي عَيْدِ شَمْسٍ طُرًّا، وَهَلْ هُمْ

لَسْتُ إِلَّا أَنَا عَلَيْهِ وَلِيًّا
دُونَ مَنْ أَوْرَثَ الْخِلَافَةَ بَغْيًا^(١)
كُسُورِيًّا، رَبَّابْ، أَوْ قَيْصَرِيًّا ؟

أَنْتَ، وَهُمْ جَنْدَلُوا أَبَاكَ عَلِيًّا ؟
النُّورِ مِنْ أَرْضِهِمْ، فَقَادَ رَزِيًّا ؟

لَهُمُ

لَيْتَهَا الْحَقِيقَةُ هِيَ

أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَبْلُهُمْ فِي يَدَيَّا
بَلَّغَ الْحُكْمُ مِنْ أَذَاهُ عَتِيَّا

غَاصَ فِي حِمَاةٍ^(٢) الْمُجُونِ زَرِيًّا
حَقْدًا بَيْنَ الصُّلُوحِ خَفِيًّا
مَسَاتِيهِ^(٣) صَبَّ كَالْأَجَاجِ^(٤) عَدِيًّا

رَجِمُوا مِنْ رِجَالِنَا هَاشِمِيًّا ؟

(٢) الحِمَاةُ فِي الْأَصْلِ : الطَّيْنُ الْأَسْوَدُ.

(٤) الْأَجَاجُ مِنَ الْمَاءِ : الْمَالِحُ الْمُرُّ.

(١) الْمُرَادُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ.

(٣) الْجَامُ : الْكَاسُ.

وَلِذَا صَارَ مِثْلَ عَهْدِ عَلِينَا

تَحَامَى وَتَنَقَّى الْأُمُورِ

الرباب :

بِسْطَ طَه، مَا أُرِثَ الْحَقْدَ فِيهِمْ

فَتَجَافُوا عَنِ الْقَرَابَةِ عُمِيَا ؟

الحسين :

أَتْنَا، قَبْلَ مَبْعَثِ الْحَقِّ، أَوْلَثْنَا

قُرَيْشَ زِمَامَهَا الْحَكَمِيَا

لَيْسَ إِلَّا لَنَا الزُّعَامَةُ فِيهَا

بَيْنَ مَنْ كَانَ دَانِيَا أَوْ قَصِيَا

وَقَضَى بِاصْطِفَاءِ أَحْمَدَ مِنَّا،

بَعْدُ، مَنْ أَثَرَ الْهُدَى أَحْمَدِيَا

فَإِذَا مَجْمَعُ السِّيَادَةِ أَحْضَانُ

بَنِي هَاشِمٍ لِدِينٍ وَدُنْيَا

وَإِذَا مُرْشِدُ الْوَرَى هَاشِمِي

يَتَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ الْأَمْرَ وَخِيَا

الرباب :

إِلِذَا صَدَّ عَنْ يَدَاهُ أَبُو سَفِيَانَ

حِينَ، بِالْحَرْبِ كَانَ غَنِيَا ؟

وَلَهُ لَمْ يَدِنْ يَوْمَ جَاءَ

الْفَتْحُ، لَا قَبْلَهُ، عَصِيَا إِيَّايَا

الحسين :

هُوَ مَا قُلْتِ، يَا رَبَابُ، وَمَا إِنْ

كَانَ فِي حَرْبِهِ الضُّرُوسِ سَرِيَا

وَكَفَى، يَا رَبِّي، بِأَكْلَةِ الْأَكْبَادِ

نَجْوَاهُ^٢، شَاهِدَا سَرْمَدِيَا

الرباب :

وَكَظِلٌ لَهَا أَبْنَاهَا

(١) ظل أبو سفيان يحارب الرسول صلى الله عليه وآله لمدة ثماني سنوات قبل أن يسلم.

(٢) من الثابت أن أبا سفيان لم يسلم إلا يوم فتح مكة، وكانما أسلم مكرها لا بطلا !

(٣) النجوى كالنجي : من تسارّه، وهو وصف بالمصدر يستوي فيه المفرد والجمع، والمراد بنجواه زوجته هند أم معاوية، ولقبت بأكلة الأكباد لأنها كبّدت حمزة عم الرسول صلى الله عليه وآله !

الحسين :

وَهَوَ لَحْمًا وَدَمًا صُنْمَهَا

الرباب :

وَمِنْهَا تَهَيَّا

الحسين :

وَعَلَى نَحْوِ أُمِّ حُبِّ سَفَكٍ لِلدَّمَا

الرباب :

بَلْ عَلَى الدَّمَا ظَلَّ يَحْيَا

الحسين :

وَعَلَى الْمَكْرِ

الرباب :

وَالْخَدِيعَةِ

الحسين :

وَالدُّسِّ

الرباب :

وَمَا لَيْسَ مَسْلَكًا قُرَشِيًّا

أَخْرُوكَ الَّذِي تَرْدَى فَيِّئًا ؟

قَاضِحَى بِهِ «ابْنُ هَنْدٍ» قَرِيبًا

بَابِنَةِ الْأَشْعَمِ^٢ الْكَلِيلَةِ وَهَيَّا

أَوْ مَا كَانَ وَاحِدًا مِّنْ ضَحَايَاهُ

بَعْدَ أَنْ بَايَعَ «ابْنَ هَنْدٍ»^١ كَمَا شَاءَ

لَمْ يَسُوْ ظَنُّهُ بِهِ قَرَمَاهُ

(١) معاوية بن أبي سفيان.

(٢) زوجة الحسن بن علي شقيق الحسين عليهم السلام.

فَهَوَى تَحْتَ سُمْهَا، وَيَلَّ مَنْ يُغْرِي

الحسين :

لَيْسَ بِالْمَالِ وَحْدَهُ هُوَ أَغْرَا

الرباب :

بِمَالٍ يَرْجُو بِهِ قَتْلَ أَخِيَا

هَآ

بِمَاذَا سِوَاهُ كَانَ سَخِيَا ؟

الحسين :

وَعَدَهُ أَنَّهُ سَيُصْهِرُهَا مِنْهُ

الرباب :

وَعَدَ عُرْقُوبَ كَانَ

الحسين :

هَلْ كَانَ إِلَّا

الرباب :

هَكَذَا عَاشَ

الحسين :

بَلْ وَمَاتَ كَذَا

الرباب :

لَا عَفَا اللَّهُ عَنْ مُعَاوِيَةَ، مِنْ

الحسين :

وَارْتَضَى شَرُّ فَاسِقِي خَلَفَاءَ

الرباب :

بِالزُّبَيْغِ عَنْ مَنَهِجِ الصُّرَابِ رَضِيَا

زَائِغِ جَانِبِ الصُّرَاطِ السُّوَيَا

وَنَلَّ لَهَا مِنْ خِلَافَةِ لَيْسَ شَيْئَا

اللَّهُ، يَأْتِي إِلَيْهِ أَنْقَى مُحَيَا

كَانَ أَوْلَى بِهِ يَخَافُ لِقَاءَ

فُنُونٌ وَأَدَابٌ

ظَهَرَهُ غَيْرُ مُوقِرٍ^(١) بِذُنُوبٍ
كَيْفَ يَرْضَى ابْنَهُ وَلِيّاً لِمَعْدٍ
الحسين :

جَاءَهَا عَامِداً، أَمَاماً وَخِزْباً
مِنْهُ ؟

شَهْوَةٌ مِنْهُ، فِي حُرُوفٍ عَنِ اللَّهِ
الرباب [مقاطعة]:

وَهُوَ الَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا

كَأَن لَيْسَ عِنْدَهُ، جَلٌّ، حَيّاً !

الحسين :

شَرُّ الْعَصَاةِ رِيَابٌ، عِنْدِي مَنْ بِهِ
الْقَى زِمَامَ الْحُكْمِ فِي يَدِ فَاجِرٍ
مَا بَيْنَ كَاسِ طِلَافٍ^(٢)، وَزَغَةِ قَيْتَةٍ^(٣)،
يَنْهَى وَيَأْمُرُ بِاسْمِ دِينِ مُحَمَّدٍ
وَعُدّاً عَلَيْهِ سَوْفَ تَشْهَدُ أُمَّةٌ
الرباب :

أَدْرَى فَكَابَرٍ وَاجْتَبَاهُ إِمَاماً
لَيْسَ وَسْ، وَهُوَ الْفَاجِرُ، الْإِسْلَامَا
وَدَمٍ سَفِيكِ ضَاعَفَ الْأَنَامَا
لَمْ يَرَعْ إِلَّا، وَنَحَهُ، وَدِمَامَا
جَلَّتْ لَدَى رَبِّ الْأَنَامِ مَقَامَا

لَا حَرَوُ ! مِثْلُ يَزِيدَ يُجْرِمُ عَابِثَا
الحسين :

قُولِي : لَقَدْ بَلَغَ الزُّنَى إِجْرَامَا !
مِنْ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ^(٤) !

مُتَحَدِّياً رَبَّ الْبَرِّيَّةِ، سَاخِراً
الرباب [مقاطعة]:

يَا لَكَ ذَامَا^(٥) !

(٢) الطلا (وهو مقصور من ممدود) : الخمر.

(٤) الإل : العهد.

(٥) الذام : العيب والذم.

(١) الموقر : المحمل حملاً ثقيلاً.

(٣) القينة : المغنية.

(٥) الثقلان : الإنس والجن.

الحسين :

وَكَاثِمًا بِالْإِثْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ
وَكَانَ لَهُ، هُوَ وَحْدَهُ، الْمُلْكُ الَّذِي
لِلسَّابِقِينَ إِلَى الْجِهَادِ تَنَافُسًا
أَوْ مَا اشْتَرَوْا بِدِمَائِهِمْ لِمُحَمَّدٍ
وَاسْتَرْخَصُوا أَعْمَارَهُمْ فَكَانَ مَا
فَالْمُلْكُ، ثُمَّ، إِنَّمَا لِمُحَمَّدٍ
لَا لِلزَّيْدِ وَزَهْطِ سُفْيَانٍ، وَمَنْ
حَتَّى سَكِينَةً وَهِيَ غُصْنٌ نَاعِمٌ
أَدْرَى بِمَا يَجْرِي

الرباب :

وَحَقِّكَ إِنَّهَا

الحسين :

أَتَرَى، رَبِّا، تَطْوِي عَلَى لَفْحِ الْأَسَى
الرباب :

مَا مِثْلَهَا مَنْ لِلْأَسَى يَعْنُو، وَلَوْ
طَبِعَتْ عَلَى مَرَحٍ، وَظَرْفٍ ضَاحِكٍ،
أَوْ مَا إِلَيْهَا نَحْنُ نَسْكُنُ كُنُتًا
حَتَّى جَعَلَتْ سَكِينَةً لِقَبْلِ لَهَا
أَوْ لَسْتَ أَنْتَ بِأَنْسِهَا وَحَدِيثِهَا
أَوْ لَيْسَ سِحْرٌ خِطَابِهَا لَكَ مَا جَلَا

أَخَذَتْهُ مُبْتَدِرًا بِهِ اللَّوَامَا
لِلَّهِ قَامَ مُحَقِّقًا أَحْلَامَا
فِي حُبِّهِ، وَالْخَائِضِيهِ كِرَامَا
تِلْكَ أَلْبِلَادَ عِرَاقَهَا وَالشَّامَا ؟
كَانُوا يَلْدُونَ الْجِمَامَ زُؤَامَا ؟
وَالْأَخْذِينَ بِدِيهِ قَدْ قَامَا
بِسِوَاهُ قَالَ، رَبَابٌ، قَالَ حَرَامَا
أَزْهَارُهُ مَا فُتِحَتْ أَكْمَامَا

أَدْرَى، وَلَوْ أَضَحْتُ أَقْلُ كَلَامَا

نَفْسًا تَتَوَقَّ لِتَطْرُدَ الْأَوْهَامَا ؟

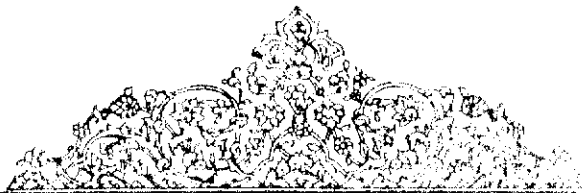
حَمَلَتْ خُطُوبَ الْعَالَمِينَ جِسَامَا !
وَدَمَائِهِ سَحَرَتْ بِهَا أَقْوَامَا
مَرَحًا، بِهِ كَمْ عَالَجَتْ أَسْقَامَا ؟
وَنَعْمَتُهَا نَعْتًا كَرِيمًا دَامَا
تَجْلُو الظُّلَامَ إِذَا لَمَحْتَ ظَلَامَا ؟
فِي نَفْسِكَ الْحَسَرَاتِ وَالْآلَامَا ؟

الحسين :

حَقًّا، رَبَّابٌ، فَهَلْ تَدُومُ كَذَلِكَ ؟ هَلْ ؟ قُولِي، أَلَا تَرَى السُّجُونَ رُكَّامًا ؟

الرباب :

مَنْ لِي فَأَكْشِفُ، بَعْدُ، سِرَّ قُرَادِهَا حَتَّى أَرَاهُ عَلَى الْهِنَاءِ أَقَامًا ؟



عَلَى أَمَامِ الْبَرَّةِ
وَقَاتِلِ الْفَجْرَةَ
مَنْصُورٌ مَنْ نَصْرَهُ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ

النبى العظيم (ص) كنز العمال ١١ : ٦٠٢

السَّالِحُ السَّائِرُ

الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

وردتنا رسالة من باكستان تتضمن مجموعة من الشبهات التي أثارها زائر إلى مدينة مشهد المقدسة في الجمهورية الإسلامية في إيران، والتي نشرت في مجلة «الدعوة» التي تصدر في لاهور باللغة الأردية تحت عنوان «أكبر جريمة للشيعية» مؤرخة بالشهر السادس سنة ١٩٩٢ م. وقد تفضل الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي بالاجابة عليها، فيما يلي:

- ١- زيارة القبور.
 - ٢- تجديد القبور.
 - ٣- وجود الصور القديمة والنقوش على جدران الحرم المطهر.
 - ٤- تعليق صور الامام الخميني الراحل قدس سره على جدران الحرم الشريف.
 - ٥- تسمية أتباع أهل البيت عليهم السلام للامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام بـ(الضامن).
- «التحرير»

لما استتب الأمر للخليفة العباسي المأمون، وكان بخراسان، أرسل رجاء بن أبي الضحاك ليحضر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام. فأحضره إلى مرو وأخذ له البيعة بولاية العهد من بعده، في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ. وكتب بذلك إلى الآفاق لأمر لا يخفى على القاريء المتفحص.

وفي سنة ٢٠٢ هـ. خرج المأمون متوجهاً إلى العراق ومعه الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولما صار إلى طوس أوائل سنة ٢٠٣ هـ. توفي الامام الرضا عليه السلام

مسموماً، وكان عمره الشريف يومئذ أربعاً وأربعين سنة. فدفنه المأمون بطوس تحت القبة التي بناها لأبيه الرشيد إلى جواره. والغريب في الأمر أن أحداً لم يستنكر بناء القبة على قبر الرشيد، ولما آل الأمر إلى الامام الرضا عليه السلام، وبنيت القبة فوق قبره الشريف ارتفعت أصوات الاستنكار والقذف بالشرك لاتباع أهل البيت عليهم السلام.

وقال الأموي الاصفهاني: لما توفي الرضا... أظهر (المأمون) عليه جزعاً شديداً وحزناً كثيراً وخرج مع جنازته يحملها حتى دفنه إلى جانب هارون الرشيد^١.

وفي «زهر الآداب»: مات علي بن موسى في حياة المأمون بطوس، فشقَّ قبر الرشيد ودفن فيه تبركاً (كذا) ولذلك قال دعبل بن علي الخزاعي:

أربع بطوس على قبر الزكي بها	إن كنت ترع من دين علي وطّر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا	على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امريء رهن بما كسبت	له يداه فخذ ما شئت أو فذر
قبران في طوس خير الناس كلهم	وقبر شرهم هذا من العبر ^٢

زيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام

وكان دعبل قد دخل على الامام الرضا عليه السلام في مدينة مرو بعد بيعة المأمون له بولايته عهده بعده، وقال له: يا بن رسول الله، إني قد قلت فيك قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال عليه السلام: هاتها. فأنشده:

مدارس آيات خلّت من تلاوة ومسنزل وحي مُقفر العرصات

(١) اليعقوبي ٢: ٤٥٣، ط. بيروت. ومروج الذهب ٣: ٤١٧ و٤٤١، ط. بيروت. والتنبيه والاشراف: ٣٠٣.

(٢) مقاتل الطالبين: ٣٨٧، ط. النجف الأشرف. و٥٦٧، ط. القاهرة.

(٣) زهر الآداب ١: ١٣٣، للخصري القيرواني المتوفى ٤١٣ هـ. وروى الأبيات الشيخ الصدوق في أماليه بسنده عنه قال: جاني خبر موت الرضا عليه السلام وأنا مقبم بقم، فقلت القصيدة الرائية:

أرى أمية معذورين ان قستلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
أمالي الصدوق: ٥٢٦، ط. بيروت. وعيون أخبار الرضا ٢: ٢٥١، ط. قم المقدسة.

فلما انتهى إلى قوله :

وقبر ببغداد لنفس زكيّة تضمّنها الرحمان في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام : أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين يكون بهما تمام قصيدتك ؟

قال : بلى يا بن رسول الله. فقال عليه السلام :

«وقبر بطوس، يا لها من مصيبة توفّد في الأحشاء بالحرقّات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنا الهمّ والكُرْبَات»

فقال دعبل : يا بن رسول الله، هذا القبر الذي بطوس قبر من هو ؟

فقال الرضا عليه السلام : قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف

شيعتي وزوّاري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له^١.

وعليه فقد استحَبّ وندب شيعة إلى زيارته في طوس خراسان واعدأ لهم المغفرة

والجنة، فانتدبت لذلك شيعة منذ وفاته عليه السلام إلى يومنا هذا.

قبة الإمام الرضا عليه السلام

والقبة التي دفن فيها هي القبة التي بناها المأمون العباسي من قبل على قبر أبيه هارون

الرشيد في حدود المئتين الهجرية، وبعد قرنين تقريباً جدّدها السلطان محمود الغزنوي

على نفس الأساس الذي وضعه المأمون، وبعد قرنين تقريباً أيضاً جدّدها السلطان سنجر

السلجوقي وعلى نفس الأساس، وبعد قرنين تقريباً أيضاً جدّدها السلطان المغولي

ألجايته بهادر خان المغولي وعلى نفس الأساس أيضاً، وقد استغرق العمل فيها

حوالي ١٢ عاماً، وهي العمارة القائمة الآن، إلا أن السلطان ألجايته المغولي كسّى القبة

(١) عيون أخبار الرضا ٢ : ٣٦٣ - ٣٦٤ ط. قم المقدسة. وعنه في اعلام الورى : ٣٢٩ - ٣٣٠ ط. النجف الأشرف.

وعنه في مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٣٨. وكشف الغمة ٣ : ١٠٨ - ١١٧. وعن مطالب السؤل لكمال الدين ابن طلحة

الشافعي : ٥١ - ٥٥. وفي المطالب : ٨٥ - ٨٦.

بالقاساني الأزرق، والسلطان طهماسب الصفوي رئيس الأسرة الصفوية كساها بصفائح من الذهب الابريز، في منتصف القرن العاشر الهجري. ولما أغارت عشيرة الاوزبك من الأفغان بقيادة زعيمها عبد المؤمن خان الاوزبكي على مدينة مشهد الامام الرضا عليه السلام نهبوا النفائس ومنها ذهب القبة، فقاد الشاه عباس الصفوي حملة لقمع تمرّد الاوزبك واستعاد مدينة هراة لحكمه وعاد الى مشهد الرضا فأمر بتجديد تذهيب القبة وأثبت في كتيبة القبة حولها ما نصّه :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عطايم توفيقات الله سبحانه أن وفق السلطان الأعظم، مولى ملوك العرب والعجم، صاحب النسب الطاهر النبوي، والحسب الباهر العلوي... مروج آثار أجداده المعصومين: السلطان بن السلطان أبو المظفر (كذا) شاه عباس الحسني الموسوي الصفوي بهادر خان، فاستسعد بالمجيء ماشياً على قدميه من دار السلطنة اصفهان الى زيارة هذا الحرم الأشرف، وقد تشرف بزيئة هذه القبة من خالص ماله في سنة ألف وعشر، وتم في سنة ألف وست وعشر».

وهو الذي أوقف لمصاريف الحرم الشريف أوقافاً عظيمة ونصب له سادناً متولياً لأوقافه بالنيابة عنه، فجرت العادة بتوكلي ذلك من قبل الملوك، وغالباً ما كان حاكم محافظة خراسان في مدينة مشهد جامعاً بين الحكم السياسي والنيابة عن الملك في سدانة الحرم وتوكلي أوقافه، ولذلك كان يطلق عليه أحياناً: القائم مقام. منهم صادق النوري القائم مقام ناصر الدين شاه القاجاري الذي قام بآخر تزيينات الحرم الشريف بالمرايا والنقوش البارزة والكتابات الجميلة، في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري.

وكانت مساحة الحرم تحت القبة مربعاً كل ضلع منه عشرة أمتار، فالمجموع مئة متر، ولا تزال كذلك، ولكن تدريجياً أصبح مجموع الأبنية والعمارات المختلفة المرتبطة بالحرم الشريف حدود الألف وخمسمئة متراً، هي أربعة أروقة بأسماء عربية هي: دار

السيادة، ودار الحفاظة، ودار الضيافة، ودار العمارة، وحولها ساحات واسعة تعرف بالصحنون : الصحن العتيق، والصحن الجديد، وصحن القدس، وصحن الامام الخميني قدس سره.

* * *

السائح التائه

وضمن عشرات الآلاف ممن يلتبّون دعوة الامام الرضا عليه السلام الى زيارة قبره النائي، قرابة الى الله وطلباً لرضاه ومغفرته والجنة..زار مرقد سائح تائه مبعوث من قبل مجلة «الدعوة» التي تصدر في مدينة لاهور في باكستان باللغة الأردية، وهي مجله معروفة باتجاهها الوهابي، فعاد الى مجلته بمقال بعنوان معناه : اكبر جريمة للشيعه في ايران ! فسر فيه أفعال الشيعة وأقوالهم في ايران بصورة مفرضة، فوصم كل ما يقومون به ضمن زيارتهم لمرقد الامام الرضا عليه السلام بوصمة الشرك، من :

- ١ - زيارتهم للقبر، واحترامهم له، وتقبيلهم الشباك الفضي حول الضريح الطاهر.
 - ٢ - صلاتهم في الأروقة حول الحرم الشريف.
 - ٣ - توسلهم لشفائهم من أمراضهم وأدوائهم في محل حول الحرم يُعرف بالمشفى.
 - ٤ - تعبيرهم عن الامام الثامن بأنه «الضامن».
 - ٥ - كتابة الأشعار فيهم على الجدران والبيبان.
 - ٦ - وجود صور للامام الخميني قدس سره في بعض أبنائات الحرم.
- وقد كان للحرم الشريف خزانة أودع فيها كثير من التحف الثمينة الموقوفة على الحرم الشريف، وفي عهد الشاه «رضا بهلوي» وتقليداً للمتاحف الغربية أمر بهلوي باقامة متحف للحرم الشريف لعرض تلك الهدايا والتحف. وقد زار ذلك السائح التائه هذا المتحف فأدعى أنه رأى فيه :
- أ - صوراً منقوشة تمثل الرسول الكريم والأئمة الأطهار عليهم السلام.

ب - ونقوشاً بآيات قرآنية وكأن حروفها تمثل نساءً وهن يرقصن !
ثم ادعى أنه لذلك لم يتمكن من الاستمرار في استعراض المتحف !
والى جانب المتحف هناك مكتبة كبرى تحتوي على أكثر من خمسين ألف كتاب
قديم وجديد مخطوط ومطبوع. وقد زار هذا السائح التائه هذه المكتبة فادعى أنه رأى
في «كتاب من لا يحضره الفقيه» ما يدل على حرمة الأعمال التالية :

- ١ - تصوير الرسول والأئمة عليهم السلام.
- ٢ - إقامة الضرائح للرسول والأئمة والأولياء.
- ٣ - بناء المساجد حول أو جوار قبور الأنبياء والأئمة.
- ٤ - السفر لزيارة القبور وحتى المساجد إلا المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد
الكوفة. وقال : الصحيح : المسجد الأقصى.
- ٥ - التوسل بقبور الأئمة، إلا قبر الرسول صلى الله عليه وآله.

كتاب من لا يحضره الفقيه ؟

وليت شعري، وليتني كنت أدري أنّ هذا السائح التائه لو كان حقاً قد قرأ في «كتاب
من لا يحضره الفقيه» كل هذا الفقه، فماذا كان عليه لو كان يعين المجلد والصفحة
والطبعة ؟ أما نحن أتباع أهل البيت عليهم السلام فلا نعهد من كتابنا هذا هذه الأبواب،
والكتاب مطبوع منشور موفور، فهل له أن يدلّنا على موضع كل ذلك ؟ «كلاً، إنها كلمة
هو قائلها، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون»^١.

إتخاذ المساجد عند القبور

وبهذه المناسبة تصفّحت الكتاب واستقرأت أبوابه عسى ولعلّي أجد ما قد تاه فيه

هذا السائح التائه، وإنما وجدت مما يرتبط بهذه المواضع التي ذكرها ما يلي :

في الجزء الأول، في «باب التعزية، والجزع عند المصيبة، وزيارة القبور، والنوح والمآتم» روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لا تتخذوا قبوري قبلة ولا مسجداً، فإن الله عز وجل لعن اليهود حين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^١.

ولعل هذا هو ما تشبّث به هذا السائح التائه فأدعى أن الكتاب اشتمل على تحريم بناء المساجد حول أو جوار قبور الأنبياء والأئمة. فلو أنه حقاً رأى الخبر في الكتاب فهل رأى التعليق عليه من الشيخ الشهيد الثاني علي بن أحمد الجبعي العاملي (م ١٦٦ هـ) في كتابه «الذكرى» قال : «هذه الأخبار رواها الصدوق والشيخان (الكليني والطوسي) وجماعة من المتأخرين في كتبهم، ولم يستثنوا قبراً. ولا ريب أن الامامية مطبقة على بناء المشاهد المقدسة والصلاة فيها. فيمكن القدح في هذه الأخبار بأنها: آحاد، وبعضها ضعيف، وقد عارضها أشهر منها».

وكذلك تعليق العلامة المجلسي قال : «نستثني من النهي عن البناء على بيت فيه قبر والصلاة فيها قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وذلك لإطباق المسلمين على البناء على قبورهم من غير نكير، بل استفادة الروايات بالترغيب في ذلك، بل لا يبعد استثناء قبور العلماء والصلحاء أيضاً، استضعافاً لسند المنع، والتفاتاً إلى كون ذلك تعظيماً لشعائر الاسلام، وتحصيلاً لكثير من المصالح الدينية كما لا يخفى».

والنهي الوارد عن اتخاذ قبر النبي صلى الله عليه وآله قبلة ومسجداً يمكن أن يكون المراد به أن لا تجعلوه بمثل الكعبة ولا تسجدوا إليه كالكعبة كما فعلته اليهود في قبور أنبيائهم، أو يكون نهياً عن التوجّه إليها في الصلاة مخافة أن تنقلب قبلة بمرور الأيام، وكذا النهي عن الصلاة في بيت فيه قبر، على فرض صحّة الخبر^٢.

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه ١ : ١٧٨، الحديث ٥٣٢، ط. طهران.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه ١ : ١٧٩، ط. طهران.

وقال الصدوق في موضع آخر : وأما القبور فلا يجوز أن تُتخذ قبلة ولا مسجداً، ولا بأس بالصلاة بين خللها ما لم يُتخذ شيء منها قبلة، والمستحب أن يكون بين المصلي وبين القبور عشرة أذرع من كل جانب^١.

وقال الشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ) في «المقنعة» : ولا تجوز الصلاة إلى شيء من القبور حتى يكون بين الإنسان وبينه حائل ولو قدر لبنة، أو عترة منصوبة، أو ثوب موضوع. وقد روي أنه لا بأس بالصلاة إلى قبلة قبة فيها قبر إمام.. ويصلي الزائر مما يلي رأس الإمام عليه السلام فهو أفضل من أن يصلي إلى القبر من غير حائل بينه وبينه على كل حال^٢. وها هي مرافد الأئمة عليهم السلام يكون بينها وبين المصلين حولها حوائل من الصندوق الخشبي المرصع، والشباك الفضي، وقاعدته أرفع من ذراع، أو نصف المتر. هذا عن اتخاذ المساجد حول قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصلاة فيها.

وعن زيارة القبور

وأما عن زيارة قبورهم بل قبور المؤمنين كافة :

فقد روى الصدوق في نفس الباب بعد الحديث السابق قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا مرَّ على القبور قال : السلام عليكم من ديار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون.

وعن الصادق عليه السلام قال : كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء كل غداة سبت، فتأتي قبر حمزة فتترحم عليه وتستغفر له.

وعن علي عليه السلام أنه لما دخل المقابر قال : يا أهل التربة ويا أهل الغربة.. وروي عن محمد بن مسلم الثقفي قال : قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام : نزور الموتى ؟ قال : نعم. قلت : فيعلمون بنا إذا أتيناهم ؟ فقال : إي والله انهم ليعلمون بكم

ويفرحون بكم ويستأنسون اليكم. قلت : فأني شيء نقول اذا أتيناهم ؟ فقال : قل : اللهم جاف الأرض عن جنوبهم ..

وعن جرّاح المدائني أنه سأله قال : كيف التسليم على أهل القبور ؟ فقال : تقول : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، رحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، وأنا ان شاء الله بكم لاحقون.

وعن أحمد بن محمد عن إبراهيم بن هاشم عن محمد بن اسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام قال : ما من عبد مؤمن زار قبر مؤمن فقراً عنده ﴿أنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ سبع مرّات إلّا عُفِرَ الله له ولصاحب القبر^١.

وفي زيارة الرسول خاصة روى فيه بسنده عنه عليه السلام أيضاً قال : لو أن الناس تركوا زيارة النبي صلى الله عليه وآله لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المُقام عنده، فإن لم يكن لهم مال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين^٢.

بل روى في موضع بعده بسنده عنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة^٣.

ويقول الصدوق عن نفسه : واني لما حججت بيت الله الحرام كان رجوعي على المدينة بتوفيق الله تعالى ذكره، فلما فرغت من زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله قصدت بيت فاطمة عليها السلام وهو من عند الاسطوانة التي تدخل اليها من باب جبرئيل عليه السلام، إلى مؤخر الحضيصة التي فيها النبي فقامت عند الحضيصة^٤.

وبدا بذكر آداب زيارة الرسول وفاطمة وأئمة البقيع ثم سائر الأئمة بما فيهم الامام

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه ١ : ١٧٩ - ١٨١؛ واسند الأخير عن ثواب الأعمال للصدوق أيضاً.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه ٢ : ٤٢٠. (٣) كتاب من لا يحضره الفقيه ٢ : ٥٦٥.

(٤) كتاب من لا يحضره الفقيه ٢ : ٥٧٢.

الرضا عليه السلام، إلى آخر الجزء الثاني من كتابه^١.

وفي تجديد القبور

وأخرج الصدوق فيه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من جدد قبراً، أو مثل مثلاً، فقد خرج من الاسلام.

ثم قال: اختلف مشايخنا في معنى هذا الخبر:

فقال محمد بن الحسن الصفار رحمه الله: هو «جدد» بالجيم لا غير..

وذكر عن سعد بن عبد الله رحمه الله أنه كان يقول: إنما هو «من حدّد قبراً» بالخاء المعجمة، يعني به من سنّم قبراً (أي جعل لظهره ستاماً كستام الجمل).

وذكر عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي أنه قال: إنما هو «من جدّث قبراً» ولا ندري ما عنى به.

والذي أذهب إليه: أنه «جدد» بالجيم، ومعناه: «نبش قبراً» لأن من نبش قبراً فقد أحوج إلى تجديده، فقد جدّده^٢.

ورواه الشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ): «من حدّد» بالخاء المعجمة والبدال بمعنى الحفر، ومنه الأخدود^٣.

وقال الشيخ الطوسي في «التهذيب» يمكن أن يكون المعنى بهذه الرواية النهي عن أن يجعل قبراً لإنسان آخر^٤.

وعليه فليس معناه أن القبر بعد ما بُني وبعد مرور الأيام عليه لا يجوز تجديد تطيينه وترميمه، فليس هذا من التجديد المقصود بشيء، ومع الاختلاف المتعدد الأطراف في قراءته ولفظه ومعناه، ومع الارسل في سنده.

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٦٥-٦١٦، وزيارة الرضا عليه السلام: ٦٠٢-٦٠٥.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٩. (٣) الأخبار الدخيلة ١: ٥٠.

(٤) التهذيب ١: ١٣.

أجل، هذا كله ما وجدته في «كتاب من لا يحضره الفقيه» لا بالبحث في مظان ما ادّعاه عنه السائح التائه، بل بالتصفح للكتاب وقراءة عناوين أبوابه في مجلّداته الأربعة، وما وجدت فيه غير ما ذكرته بالفاظه، فأين ما ادّعاه ؟ لا أدري.

وكدعواه هذه ما ادّعى على متحف الامام الرضا عليه السلام أنه رأى فيه نقوشاً بآيات قرآنية كأنّ حروفها تمثل نساء يرقصن ! والمتحف تفتح أبوابه للزائرين يوماً في ساعات الدوام الرسمي، ولقد شاهدت ما فيه من أوله إلى آخره عدّة مرّات، وشاهدت فيه عدة لوحات من الآيات الكريمة من الأخشاب والأحجار المنقوتة والمعدنيات المنقوشة والسجاد والفرش والأقمشة المنسوجة، فلم أشاهد فيها ما ادّعاه هذا الرجل مما لم يتمكن معه من الاستمرار في استعراض المتحف، فليتة كان يدّئنا عليه.

ويصحّ ما ادّعاه من الصور المنقوشة التي تمثل الرسول الكريم والأئمة عليهم السلام، ولكن ذلك ليس مما فعله أو ندب إليه الأئمة أو الفقهاء والعلماء، بل كرهوه ولم يصحّحوه ولم يباركوه، وإنّما ذلك من عمل عوام الناس وبفعل عواطفهم نحو تلك الذوات المقدسة يتمثلونهم بهذه الصور، ومن دون أن يصح نسبتهما إليهم عليهم السلام. أما هل هي حرام يحرم إبقاؤها وجب إفناؤها ؟ فلا يفتي الفقهاء فيها إلّا بالكراهة دون الحرمة.

والصور القديمة إنّما كانت منقوشة بالأيدي والأقلام، فطبيعي أن نهى الكراهة في نصوص الأئمة عليهم السلام كان ينصرف إليها، ولكنها حيث تكره «الصورة» فالصورة -باطلاقها- تشمل مطلق الصور حتّى الصور الصناعية اليوم، وعليه فتاوى الفقهاء. إلّا أن الكراهة في أكثرها متّجهة إلى الصلاة إليها أو في بيوت فيها الصور.

وانطلقت الثورة الاسلامية الجماهيرية بقيادة المرحوم السيد الامام

الخميني قدس سره وانتصرت على الطواغيت والفراعنة، وتحزرت الجماهير منهم، فأحبت ثورتها وقائدها، ورأت أن عليها أو لها الاعلان عن حبها وولائها واخلاصها ودعمها وتأييدها المطلق له بأي وسيلة، ومنها رفع صورته في كل موطن وموقف، ففعلت ذلك حتى في المساجد والجوامع.

وبلغ ذلك الامام الراحل وعلم به، فأعلن في رسالة بثها في وسائل الاعلام، طلب فيها من الناس رفع صورته عن المساجد والجوامع، ورُفعت من محل الصلاة في المساجد، أما في الجوامع والمجامع في غير محل الصلاة والعبادة فقد بقي بعضهم متمسكاً بتخصيص الكراهية بمحل الصلاة، مفضلاً المصلحة الراجحة في وجودها في غيرها. ومنها الصور التي رآها وحكى عنها السائح التائه، في بعض أيوانات صحن الامام الرضا عليه السلام، وليست هي في الغالب محلاً للصلاة. فما النكير في ذلك؟! ❦

وأما ما استنكره الرجل من تعبير بعض زوّار الرضا عليه السلام عنه بالامام الضامين، فليت شعري أي منكر فيه؟ وأما يعود ذلك إلى خبر من الأخبار الكثيرة عما ظهر من مرقده عليه السلام من البركات والكرامات؛ وإليك خبره:

في كتاب «فردوس التواريخ»: أنه كان للسلطان سنجر السلجوقي (حدود ٥٠٠ هـ). ولد أصيب بالاختناق النفسي فحكم له الأطباء بالتفرج والصيد.

فخرج يوماً مع بعض غلمانه وحاشيته للصيد، وإذا هو بغزال مرق بين يديه، فأرسل فرسه في طلبه وجدّ في العُدْو، فالتجأ الغزال إلى قبر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام، فوصل ابن الملك إليه وحاول صيده، فلم تجسر خيله على الاقدام على ذلك، فتحيروا من ذلك، فأمر ابن الملك غلمانه وحاشيته بالنزول من خيولهم، ونزل هو معهم واحتفى وأخذ يمشي حافياً متأذباً نحو المرقد الشريف حتى ألقي بنفسه عليه وأخذ في الابتهاال به إلى الله يسأله به شفاء علته، فعوفي، فأقام عليه يقول: إنه لا يتحول

منه حتى تُبنى عليه قبة.

وبشروا الملك سنجر بذلك وأخبروه بقول ابنه، فسجد شكراً لله، ووجّه المعمارين والبنّائين، فبنوا على المشهد بقعة وقبة، وبلداً وسوراً يدور على البلد^١.
ولهذه الكرامة ومن حينها اشتهر الرضا عليه السلام على السنة عوام الناس بالامام الضامن، حيث ضمن الغزال عن الصيد والاختزال، فأَيّ نكير في ذلك ؟

١ - ١٠٠

هذا، وأما ما استنكره ووصمه بالشرك من زيارة القبر والتوسّل به والصلاة - لله - حوله، فهي نعمة معروفة من أتباع ابن عبد الوهّاب النجدي، وهو بدوره تبع لابن تيمية، وابن القيم الجوزية.

ومنذ انتشار هذه الدعوة صدرت كتب غير قليلة من علماء مختلف المذاهب الاسلامية لدفع شبهاتهم، نحيل القاريء الكريم هنا على نماذج منها :

١ - كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهّاب، للسيد محسن الأمين العاملي قدس سزه.

٢ - بحوث مع أهل السنة والسلفية، للسيد محمد مهدي الحسيني الروحاني دام ظله.

٣ - هذي هي الوهّابية، للمغفور له الشيخ محمد جواد مَغْنِيّة.

٤ - الوهّابية في الميزان، للشيخ جعفر السبحاني.



(١) تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، للسيد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي، المطبوع منه في آخر الجزء ٤٨ من بحار الأنوار : ٣٢٨.

تَعْرِيفٌ

الصحيفة الصادقية
أخذت حلقاتها من حياة الإمام الصادق

كتاب

الصحيفة الصادقية .

بأقرشيف القرشي

المؤلف : الشيخ باقر شريف القرشي .

الناشر : دار الاضواء للطباعة والنشر في لبنان .

القطع : وزيري .

عدد الصفحات : ٣٩٦ صفحة .

دار الاضواء للطباعة والنشر

الطبعة : الاولى (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م) .

الشيخ عباس كوراني (لبنان)

أهمية الكتاب

الكتاب حلقة من حلقات حياة الإمام الصادق عليه السلام، التي يريد المؤلف أن يجعلها مجموعة من إحدى المجموعات التي هو بصدد تأليفها عن حياة جميع الأئمة عليهم السلام، وأهميته تكمن في كونه يكشف عن مجموعة كبيرة من الأدعية السياسية الاجتماعية، التي أنشأها الإمام الصادق عليه السلام في مناسبات مختلفة. والكتاب يسلط الاضواء على أدعية الإمام الصادق عليه السلام، التي تزخر بالمفاهيم الإسلامية، والأدب العبودي الراقى، الذي قلما يجده الانسان في أدعية أخرى. الكتاب يعرفك على أدعية، تقرأها في مناسبات شتى، فأنت تعرفها، وقد لا تعرف قائلها ومناسباتها، فهو يذكر كل دعاء والمناسبة التي أنشأ الإمام عليه السلام فيها. يعرفك على كيفية العلاقة التي يجب أن تكون بين العبد وربّه في مختلف حالاته، من الخوف والرجاء، يعرفك على الأدب الربّاني، الذي لا بدّ للعبد من أن يتأدّب به مع ربّه.

وكذلك تكشف هذه الأدعية عن جانب مهم من حياة الإمام الصادق عليه السلام السياسية، ومعاناته مع الخلفاء في زمانه، وخاصة المنصور الدوانيقي، الذي حاول قتل الإمام مرات عديدة، ولكن الأدعية المهمة التي كان يقرأها الإمام نَجَتْه من القتل. ثم إن الأئمة عليهم السلام عموماً، والإمام الصادق عليه السلام بشكل خاص، كانوا يهدفون من هذه الأدعية تربية الامة، وتعريفها بجميع المفاهيم والتعاليم التي لا بد للانسان المسلم من أن يعيشها، ليمتاز بها عن غيره. وتتنوع المواضيع التي يعلمها أهل البيت عليهم السلام لأتباعهم في هذه الأدعية، فهي تشمل مختلف شؤون الحياة من أبسط المفاهيم إلى أدقها وأعلاها، ويربط أهل البيت عليهم السلام أتباعهم بهم ربطاً وثيقاً، لأن ارتباطهم بهم هو ارتباطهم بالعقيدة الاسلامية وبالله تعالى.

أقسام الكتاب

قسّم المؤلف أدعية الإمام الصادق عليه السلام، في هذا الكتاب إلى أقسام عشرة :

القسم الأول منها : حول أدعية الصباح والمساء. وفي هذا القسم ذكر المؤلف مجموعة من الأدعية، التي نُقلت عن الامام الصادق عليه السلام، في الكتب المعتمدة مثل «أصول الكافي» و«البلد الامين».

ونرى أن المؤلف، يذكر نصّ الدعاء ثم يعلق عليه بما يناسبه.

والقسم الثاني : في أدعية الوقاية من الكوارث والأخطار، سواء منها ما يكون طبيعياً، أو من الأعداء، وخاصة الحكّام الذين كانوا يترَبّصون الدوائر بأهل بيت النبوة عليهم السلام، وخاصة الامام الصادق عليه السلام، حسداً لهم لما يروونه من إقبال الأمة عليهم.

القسم الثالث : وفيه مجموعة من أدعية الامام الصادق عليه السلام، في الأيام المباركة : كيوم الجمعة، ويوم المباهلة، ويوم الغدير، وأيام رجب، وليلة النصف من شعبان. ومن المعروف أن هذه الأيام والمناسبات لها أهمية خاصة في الاسلام، وكان الامام الصادق أراد - حينما أورد هذه الأدعية المركّزة والطويلة نسبياً - أن يخلّد هذه المناسبات ويغرس مفاهيمها في ضمير المسلمين عبر التاريخ.

القسم الرابع : وهذا القسم خاص بالأدعية التي أثرت عن الامام الصادق عليه السلام في شهر رمضان المبارك، حيث أنه كان عليه السلام يتفرّغ فيه للعبادة ويأتي بهذه الأدعية، ليترك لنا هذا التراث الضخم من المعارف الإلهية. والامام يعالج في هذا القسم من الأدعية الأمراض النفسية المتفشية في الناس، مثل : الشكّ والجحود، والقنوط، والبطر، والفخر، والشقاق، والنفاق، والمعصيان، وغير ذلك، فيذكر كيفية معالجتها.

القسم الخامس : وفيه أدعية الحج، فقد أثر عن الامام الصادق عليه السلام كوكبة مشرقة من الأدعية الجليلة في حال خروجه للسفر من بيته، إلى حال فراغه من مناسك الحج، وباعتبار أن الحج مؤتمر عالمي يحضره المسلمون من كافة المذاهب والأقطار، فقد استفاد منه الامام الصادق عليه السلام في تبیین أحكام الاسلام، ولولاه هو وأبوه

الباقر عليهما السلام لما بُيِّنَتْ أكثر أحكام الحج للمسلمين.

وكذلك كان الامام عليه السلام يتصدَّى في هذا الموسم للردِّ على شبهات الملحدين، كابن أبي العوجاء وجماعته، الذين كانوا يقصدون مكة المكرمة لإفساد عقائد المسلمين، فكان لهم الامام وأصحابه بالمرصاد، وقصة المفضل بن عمر الجعفي وحواره مع ابن أبي العوجاء وجماعته، وذهاب المفضل إلى الامام، وإملاء الامام عليه كتاب «التوحيد» المعروف بتوحيد المفضل مشهورة.

القسم السادس : في أدعية الامام عليه السلام في وضوئه وصلاته، والوضوء هو مقدمة للصلاة، وبالأدعية يتهيأ الانسان للدخول في الصلاة، ومن الاوقات التي تستجاب فيها الادعية هي أوقات الصلاة، ولذا ذكر في هذا القسم مجموعة أدعية تُقرأ قبلها وفي أثنائها وبعدها.

القسم السابع : وفيه دعاؤه عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله والشيعة، وفي هذا القسم يذكر المؤلف دعاءً يبيِّن فيه الامام عليه السلام الصفات التي كان يتَّصف بها جدّه من المنزلة الرفيعة، وكيف أنَّه صلى الله عليه وآله أمضى حياته الشريفة في الدعوة إلى سبيل الله تعالى، ودعاءً آخر يذكر فيه صفات آل الرسول صلى الله عليه وآله ولزوم الكون معهم.

القسم الثامن : في مجموعة أدعية مهمة منها أدعية يُطلق عليها الامام اسم الدعاء الجامع، وهي مجموعة طويلة نسبياً يجمع فيها ألطاف الله تعالى، ومنها ما يقرأ عند تلاوة القرآن أو عند الفراغ منه أو لحفظه، أو لمهام الامور، أو لوسائل الخير، أو للخضوع والخشوع لله، أو لتوحيد الله، أو لطلب الأمن والسلامة، ولتمجيد الله، ولأمور الدين والدنيا، ومنها دعاؤه الفلسفي الذي علَّمه عليه السلام جابر بن حيَّان.

القسم التاسع : في مناجاته وأدعيته القصيرة، والأدعية القصيرة في : التوحيد، وطلب الرزق، والعفو، وقضاء الحوائج، ودفع الامراض، ومهام الامور.

القسم العاشر : في الادعية التي يرويها الامام عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، كأدعية النبي صلى الله عليه وآله، وهي : في أمور مختلفة، ثم أدعية أمير المؤمنين عليه السلام، وهي عند الصباح والاستفتاح في الصلاة، ومنها دعاء سريع الإجابة، وكذلك الأدعية التي يرويها الامام الصادق عن الامام زين العابدين وعن أبيه الامام الباقر عليهم السلام، وهي أدعية في الصباح، وحال السجود، وفي حادثات الامور، وللعاية، وغير ذلك.

وفي النهاية فإن هذا الكتاب يفتح آفاقاً جديدة على أدعية أهل البيت عليهم السلام وخاصة أنه يضم مجموعة من الأدعية المهمة التي أملاها الامام الصادق عليه السلام. وحرى باتباع أهل البيت صلوات الله عليهم أن يستفيدوا منها في مختلف شؤونهم.

لَا عَلَى اللَّهِ عِزُّهُ لَعْنَةُ الْبُحْرَانِ عَزَّ
الْأَجْوَزِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

أُخُوَّةُ الْمُؤْمِنِينَ

أُخُوَّةُ الْمُؤْمِنِينَ : إعداد: عبد السلام فرج الله

١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم»^١.

٢ - وعنه صلى الله عليه وآله : «المؤمنون إخوة ولا شيء أثر عند كل أخ من أخيه»^٢.

٣ - وعنه صلى الله عليه وآله : «إن المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد»^٣.

٤ - وعن الامام الصادق عليه السلام : «إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»^٤.

٥ - وعنه عليه السلام : «لكل شيء شيء يستريح إليه، وإن المؤمن ليستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله»^٥.

(٢) بحار الأنوار ٧٧ : ٢٦٩.

(٤) المصدر ٧٤ : ٢٦٤.

(١) أمالي المفيد : ١١٠.

(٣) المصدر ٧٤ : ٢٨٠.

(٥) المصدر ٧٤ : ٢٣٤.

أساس الاخوة:

- ١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «النظر إلى الاخ تودّه في الله عز وجل عبادة»^١.
- ٢ - وعن علي بن أبي طالب عليه السلام : «ما تواخى قوم على غير ذات الله سبحانه إلا كانت عليهم أخوتهم ترة يوم العرض على الله سبحانه»^٢.
- ٣ - وعنه عليه السلام : «الناس إخوان، فمن كانت أخوته في غير ذات الله فهي عداوة. وذلك قوله عز وجل : ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾»^٣.
- ٤ - وعنه عليه السلام : «إخوان الدين أبقي مودة، وإخوان الصدق أفضل عدة»^٤.
- ٥ - وعنه عليه السلام : «الاخ المكتسب في الله أقرب الأقرباء، وأرحم من الأمهات والآباء»^٥.

الإكثار من الاخوان:

- ١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «من جدّد أخاً في الاسلام بنى الله له برجاً في الجنة»^٦.
- ٢ - وعنه صلى الله عليه وآله : «استكثروا من الاخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة»^٧.
- ٣ - وعن علي بن أبي طالب عليه السلام : «عليك بإخوان الصدق فأكثر من اكتسابهم فإنهم عدة عند الرخاء، وجنة عند البلاء»^٨.
- ٤ - وعنه عليه السلام : «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم»^٩.

(٢) غرر الحكم للأمدي.

(٤) غرر الحكم للأمدي.

(٦) بحار الأنوار ٧٥ : ٢٦٠.

(٨) بحار الأنوار ٧٤ : ١٨٧.

(١) بحار الأنوار ٧٤ : ٢٧٩.

(٣) بحار الأنوار ٧٤ : ١٦٥.

(٥) المصدر.

(٧) كنز العمال : خ ٢٤٦٤٢.

(٩) المصدر ٧٤ : ٢٧٨.

- ٥ - وعن الامام الصادق عليه السلام : «من لم يرغب في الاستكثار من الاخوان ابتلي بالخسران»^١ .
- ٦ - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الاسلام مثل أخ يستفيده في الله»^٢ .
- ٧ - وعن الامام الباقر عليه السلام : «من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه طلباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله»^٣ .
- ٨ - وعن الامام الرضا عليه السلام : «من استفاد أخاً في الله عز وجل استفاد بيتاً في الجنة»^٤ .

شروط الاخوة وحدودها :

- ١ - عن الامام علي عليه السلام : «أحبب الاخوان على قدر التقوى»^٥ .
- ٢ - وعن الامام الصادق عليه السلام : «المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يفشيه ولا يعده عدة فيخلفه»^٦ .
- ٣ - وعنه عليه السلام : «تحتاج الاخوة فيما بينهم إلى ثلاثة أشياء، فإن استعملوها وإلا تباينوا وتباغضوا، وهي : التناصف والتراحم ونفي الحسد»^٧ .
- ٤ - وعن الامام علي عليه السلام : «لا تصدم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، وإن لمن غاظك فإنه يوشك أن يلين لك»^٨ .
- ٥ - وعنه عليه السلام : «أخوك الذي لا يخذلك عند الشدة، ولا يغفل عنك عند الجريرة، ولا يخدعك حين تسأله»^٩ .

(٢) تنبيه الخواطر : ٤١١ .

(٤) المصدر ٧٤ : ٢٧٦ .

(٦) أصول الكافي ٢ : ١٦٦ .

(٨) المصدر ٧٧ : ٢٠٩ .

(١) بحار الانوار ٧٨ : ٢٣٢ .

(٣) بحار الانوار ٧٨ : ١٧٥ .

(٥) المصدر ٧٨ : ٣٣ .

(٧) بحار الانوار ٧٨ : ٢٣٦ .

(٩) المصدر ٧٧ : ٢٦٩ .

- ٦ - وعنه عليه السلام : « لا تواخ من يستر مناقبك، وينشر مثالبك »^١.
- ٧ - وعن الامام الصادق عليه السلام : « اختبروا إخوانكم بخصلتين فإن كانتا فيهم وألا فأعزب ثم أعزب : المحافظة على الصلوات في مواقيتها، والبرّ بالآخوان في العسر واليسر »^٢.
- ٨ - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه : الحياء والأمانة والصدق، وإذا لم ترها فلا ترجمه »^٣.
- ٩ - وعن الامام علي عليه السلام : « من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه »^٤.
- ١٠ - وعن الامام الصادق عليه السلام : « من رأى أخاه على أمرٍ يكرهه فلم يرده عنه وهو يقدر عليه فقد خانته »^٥.
- ١١ - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، ومجلس يكرمه به، لم يزل في ظل الله عز وجل ممدوداً عليه بالرحمة ما كان في ذلك »^٦.

مودّة الاخوان وقضاء حوائجهم :

- ١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما في أمتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لطف إلا خدمه الله من خدم الجنة »^٧.
- ٢ - وعن الامام علي عليه السلام : « لا يكونن أخوك أقوى منك على مودته »^٨.
- ٣ - وعنه عليه السلام : « إذا لم تحبّ أخاك فلست أخاه »^٩.
- ٤ - وعن الامام علي عليه السلام : « قضاء حقوق الاخوان أشرف أعمال المتقين »^{١٠}.

(٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٣.

(٤) بحار الأنوار ٧٤ : ١٦٦.

(٦) المصدر ٧٤ : ٣١٦.

(٨) المصدر ٧٤ : ١٦٥.

(١٠) المصدر ٧٤ : ٢٢٩.

(١) غرر الحكم للأمدى.

(٣) كنز العمال : خ ٢٤٧٥٥.

(٥) المصدر ٧٥ : ٦٥.

(٧) بحار الأنوار ٧٤ : ٢٢٧.

(٩) المصدر ٧٧ : ٢٦٩.

٥- وعن الامام موسى الكاظم عليه السلام : «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل»^١.

الإعلام بالحب :

١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «إذا أحب أحدكم صاحبه أو أخاه فليعلمه، فإنه أصلح لذات البين»^٢.

٢ - مرّ رجل في المسجد وأبو جعفر الباقر عليه السلام جالس، وأبو عبد الله الصادق عليه السلام، فقال بعض جلسائه، والله إنني لأحب هذا الرجل، قال له أبو جعفر عليه السلام : «ألا فأعلمه، فإنه أبقن للمودة، وخير في الألفة»^٣.

خير الاخوان :

١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «خير إخوانك من أعانك على طاعة الله، وصدك عن معاصيه، وأمرك برضاه»^٤.

٢ - عن الامام علي عليه السلام : «خير إخوانك من عتقك في طاعة الله سبحانه»^٥.

٣ - وعنه عليه السلام : «خير إخوانك من ذلك على هدى، وأكسبك تقى، وصدك عن اتباع الهوى»^٦.

٤ - وعنه عليه السلام : «خير إخوانك من واساك بخيره، وخير منه من أغناك عن غيره»^٧.

٥ - وعن الامام الحسن العسكري عليه السلام : «أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوي»^٨.

(١) أصول الكافي ٢ : ٣٦٧.

(٣) بحار الأنوار ٧٤ : ١٨١.

(٥) غرر الحكم للأمدى.

(٧) المصدر.

(٢) كنز العمال : خ ٢٤٧٤٨.

(٤) تنبيه الخواطر : ٣٦٢.

(٦) المصدر.

(٨) بحار الأنوار ٧٤ : ٢٨٢.



لَسَّيْلَتُهُ شَرِّ عَيْتَةٍ

مِنَ الْمَرْكَزِ الْإِسْلَامِيِّ فِي وَاشِنْغْتُنَ وَاجْوَوبُهَا (١)

وردت هذه الاسئلة من المركز الاسلامي في واشنطن
وقد تصدَّى سماحة آية الله الشيخ محمد المؤمن
الامين العام للمجمع الفقهي للاجابة عليها مشكوراً.

سماحة الشيخ محمد المؤمن

الأمين العام للمجمع الفقهي

س ١ - ما حكم التجنس بالجنسية الأجنبية أمريكية كانت أو أوروبية. علماً بأن معظم الذين قبلوا التجنس بهذه الجنسيات أو يعتزمون الحصول عليها يؤكّدون أنهم ما فعلوا ذلك إلا لأنهم قد أودوا واضطهدوا في بلادهم الأصلية بالسجن أو التهديد ومصادرة الأموال وغيرها.

وبعضهم يرى أنه ما دامت الأحكام الشرعية والحدود معطلة في بلاده الأصلية فأبي فرق بين أن يحمل جنسية ذلك البلد الذي اضطهده والبلد الذي اختار أن يستوطن فيه، وفي كليهما لا تطبق الأحكام الشرعية، ولا تقام الحدود فيهما. وهو في بلد مهجرة مصانة حقوقه الشخصية دمه وماله وعرضه، ولا يمكن سجنه أو تهديده إلا إذا فعل ما يستوجب

ذلك ؟

ج ١ - التجنس بجنسية بلاد الكفر بنفسه لا مانع عنه مطلقاً، نعم إذا استلزم محرماً آخر فلا يجوز لأدائه إلى ذلك الحرام.

وخلاصة الدليل على الجواز أن الجنسية مطلقاً من الامور المستحدثة التي ظهرت بعد زمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وماهيتها أنها وسيلة التعرف على خصوصيات حاملها، وأنه من أتباع أي البلاد، ويترتب عليها الحصول على رخص وإمكانات، وعليه فأخذها من البلاد الكافرة بنفسه لا دليل على حرمة، ولو احتملت حرمة لكان مقتضى حكم العقل قبح العقاب بلا بيان ومقتضى النبوي (رفع عن أمتي.... ما لا يعلمون)، ومقتضى الحديث المعتبر: «كل شيء هو لك حلال حتى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه» جوازه، نعم إذا أدى إلى حرام آخر فبمقتضى دليل حرمة ذلك الحرام لا بد من الاحتراز عنه لئلا يقع في ذلك الحرام الآخر. كما إنه إذا كانت نفس السكنى ببلاد الكفر موجبة للتخلف عن العمل بتكاليفه الدينية لم يجز له إلا الهجرة إلى البلاد الاسلامية لكي لا يقع في معصية الله.

س ٢ - لولادة الأبناء وتنشئتهم في أمريكا وأوروبا ونحوها من بلاد غير المسلمين مساوي ومخاطر، وبعض المحاسن، واحتمال اكتسابهم الكثير من عادات أبناء النصارى واليهود احتمال قائم - خاصة - في حالة انشغال الوالدين أو وفاة أحدهما أو كليهما. فما أثر هذا الضرر المظنون في حكم الهجرة إلى هذه البلدان والاقامة الدائمة فيها، مع ملاحظة أن كثيراً من الناس هنا على الدوام يذكرون بأن أبناءهم في بعض البلدان الاسلامية التي كانوا يقيمون فيها يتعرضون لاحتمالات الردة باعتراف الشيوعية واللا دينية أو نحوها من الأفكار الالحادية التي تروج لها حكومات بعض البلدان الاسلامية وتدخلها في برامج التعليم والتوجيه العام، وتضطهد من يرفضها ؟ ويؤكد المستوطنون، هنا، من المسلمين، أنه لم يطلب من أحدهم أن يغير دينه أو أنه

وَجْهٌ نحو دين آخر، وذلك لضعف الاهتمام بالناحية الدينية هنا.

ج ٢ - الهجرة إلى بلاد الكفر والسكنى فيها بنفسها جائزة، نعم إذا استلزمت عدم تمكّن المهاجر من إقامة شعائر الدين ووظائفه فهي محرمة. كما إنه إذا كان المهاجر أو أولاده في معرض الإعراض عن أصل الدين بهجرته فالواجب ترك هذه الهجرة.

خلاصة الدليل : إن مسألة السكنى في بلاد الكفر مذكورة في كلمات بعض فقهاءنا كالمحقق في الشرايع - كتاب الجهاد - والعلامة الحلي في غير واحد من كتبه كالمنتهى والارشاد، وكالشهيدين وشارحي كلماتهم، وقد صرحوا بوجوب الهجرة إلى بلاد الاسلام مع القدرة عليها إذا لم يقدر على إقامة شعائر الاسلام، وبعدم وجوبها مع التمكن من إقامتها هناك، ولازمه جواز المهاجرة إلى بلاد الكفر مع التمكن من العمل بالوظائف الدينية.

والمستفاد من قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^١ : أن غاية المهاجرة من الأرض التي يستضعف فيها الإنسان المسلم هي أن يتمكن من العبادة وأن يتخلص من الظلم على نفسه، وألا فالمهاجرة لا موضوعية لها بنفسها. فإذا كانت السكنى في البلد غير الاسلامي مثل السكنى في البلاد الاسلامية في التمكن من العمل بالتكليف الشرعي فلا دليل على ترك السكنى في البلاد غير الاسلامية. وإلى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وآله : «...ولا هجرة بعد الفتح»^٢. فإن الظاهر أن المراد نفي وجوب الهجرة على المسلمين من مكة بعد ما فتحت مكة بأيديهم. والوجه فيه أن سرّ وجوب الهجرة أن يتمكن المكلف من إقامة شعائر الدين وتكاليفه، وهو إنما يترتب على الهجرة إذا كانت مكة غير مفتوحة، وألا فإنه بعد فتحها ووقوعها بيد

(١) النساء : ٩٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه، باب الأيمان والنذور والكفارات : الحديث ١. ووسائل الشيعة، باب ٣٦ من أبواب جهاد العدو : الحديث ٧.

الاسلام لا موضع للهجرة عنها، فالهجرة وعدم السكنى في بلاد الكفر إذا لم تترتب عليها فائدة التمكن من إقامة التكليف ليست بواجبه.

س ٣- ما حكم زواج المسلمة بغير المسلم خاصة إذا طمعت في إسلامه بعد الزواج حيث تدعي مسلمات كثيرات أنه لا يتوافر لهن الأكفاء من المسلمين في غالب الأحيان، وأنهن مهددات بالانحراف، أو يعشن في وضع شديد الحرج ؟

ج ٣- لا يجوز زواج المسلمة بغير المسلم مطلقاً، طمعت في إسلامه بالزواج أم لا، ووجد لها كفؤ مسلم أم لا.

وخلاصة الدليل - مع أن المسألة إجماعية بين فقهاء الشيعة بل المسلمين، كما يظهر من الشيخ^١ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَمَتَّحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حَلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^٢. فإن قوله: ﴿لَا مِنْ حَلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ظاهر في التعليل للحكم بعدم رجوعهن إلى الكفار، فيدلّ بإطلاقه على عدم حلية الزوج الكافر لمن آمنت وأسلمت. هذا مضافاً إلى أخبار كثيرة معتبرة دالة على المطلوب.

وأما عن فتوى الامام الخميني رحمه الله فهي كما يلي: «لا يجوز للمسلمة أن تنكح الكافر دوماً وانقطاعاً سواء كان أصلياً حريباً، أو كتابياً، أو كان مرتدّاً عن فطرة أو ملة»^٣.

س ٤- ما حكم استمرار الزوجية والمعاشرة بين زوجة دخلت الاسلام وبقي زوجها على الكفر. ولها منه أولاد تخشى عليهم الضياع والانحراف، ولها طمع في أن يهتدي زوجها إلى الاسلام لو استمرت العلاقة الزوجية بينها وبينه.

(١) الخلاف، المسألة ١٠٥ من كتاب النكاح. (٢) المتمتحة: ١٠.

(٣) تحرير الوسيلة ٢: ٢٥٤، كتاب النكاح، القول في الكفر.

وما الحكم فيما إذا لم يكن هناك طمع في إسلامه، ولكنه يحسن معاشرتها وتخشى لو تركته أن لا تعثر على زوج مسلم ؟

ج ٤ - لا يجوز استمرار زوجية الزوجة التي أسلمت مع زوجها الكافر وإن طمعت في إسلامه باستمرار زوجيتها له، بل إن أسلمت قبل الدخول بانت منه من ساعته، وإن أسلمت بعد الدخول كانت بينوتها منه مراعاة بانقضاء العدة، فإذا أسلم زوجها قبل انقضائها بقيا على زواجهما الاول ولا تبين أنها بانت منه ساعة إسلامها.

وخلاصة الدليل : أن المسألة مما لا خلاف فيها بين فقهاءنا في من لم يكن من كفّار أهل الكتاب أو لم يكن في ذمة الاسلام، وإنما خالف الشيخ الطوسي فقط في بعض كتبه. ولا ففي كتابيه الخلاف والمبسوط أفتى في المسألة كغيره من الاصحاب.. وكيف كان فتدلّ على عدم جواز استمرار الزوجية بينهما حينئذ، الآية المذكورة في المسألة السابقة، فإن الظاهر إن موردها النساء اللاتي آمنّ وأسلمن ثم هاجرن إلى المؤمنين عن أزواجهن الكفار. ولا ريب في أن قوله تعالى : ﴿لَا هُنَّ حَلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحُلُّونَ لَهُنَّ﴾ يدلّ بوضوح على عدم بقاء الزواج بينهما إذا بقي الزوج على الكفر. وأما الانتظار بهما إلى انقضاء العدة فهو مدلول عليه في أخبار معتبرة.

وعن هذه المسألة يقول الامام الخميني رحمه الله : «لو أسلمت زوجة الوثني أو الكتابي وثنية كانت أو كتابية، فإن كان قبل الدخول انفسخ النكاح في الحال، وإن كان بعده وقف على انقضاء العدة، لكن يُفَرَّق بينهما، فإن أسلم قبل انقضائها فهي امرأته، وإلا بان أنها بانت منه حين إسلامها»^١.

س ٥ - ما حكم دفن المسلم في مقابر غير المسلمين، حيث لا يسمح بالدفن خارج المقابر المعدة لذلك، ولا توجد مقابر خاصة بالمسلمين في معظم الولايات الأمريكية

(١) تحرير الوسيلة ٢ : المسألة ٤، كتاب النكاح، القول في الكفر.

والأقطار الأوروبية ؟

ج ٥ - لا يجوز دفن المسلم في مقابر الكفار فلو لم توجد مقبرة خاصة بالمسلمين - كما في معظم البلاد الأمريكية والأوروبية - وجب نقله إلى بلدة فيها مقبرة خاصة بهم. كل ذلك مع التمكن والقدرة.

وخلاصة الدليل : - مع أن المسألة إجماعية - أن دفن المسلم في مقابر الكفار إهانة له وهتك لحرمة، وحرمة المؤمن ميتاً كحرمة وهو حي سواء، كما ورد في روايات مستفيضة^١.

يقول الامام الخميني رحمه الله : «وكذا لا يجوز دفن المسلم في مقبرة الكفار ولو دفن عسائناً أو نسياناً فالاقوى جواز نبشه خصوصاً إذا كان البقاء هتكاً له فيجب النباش والنقل»^٢.

س ٦ - ما حكم بيع المسجد (إذا انتقل المسلمون عن المنطقة التي هو فيها وخيف تلفه أو الاستيلاء عليه). فكثيراً ما يشتري المسلمون منزلاً ويحولونه مسجداً، فإذا انتقلت غالبية المسلمين من المنطقة لظروف العمل هُجر المسجد أو أهمل، وقد يستولي عليه آخرون، ومن الممكن بيعه واستبداله بمسجد يؤسس في مكان فيه مسلمون. فما حكم هذا البيع أو الاستبدال ؟ وإذا لم تتيسر فرصة استبداله بمسجد آخر فما أقرب الوجوه التي يجوز صرف ثمن المسجد فيها ؟

ج ٦ - لا يجوز بيع المساجد مطلقاً، وإذا احتل خروج المكان الذي يجعل مُصلّى عن الانتفاع به فيمكن أن يشتريه واحد أو جمع من المسلمين ثم يأذنوا بالصلاة فيه من دون قصد أن يكون مسجداً، كما يمكن تأسيس شخصية حقوقية مناسبة ثم يُشترى منزل لهذه الشخصية ويجعل بيد المسلمين يصلّون ويقيمون شعائرهم الإسلامية فيه من دون

(١) راجع : وسائل الشيعة، الباب ٢٥ من أبواب ديّات الاعضاء، والباب ١٩ من حدّ السرقة.

(٢) تحرير الوسيلة ١ : المسألة ٩ من القول في الدفن.

أن يقفونه مسجداً ثم يباع إذا اقتضته المصلحة.

وخلاصة الدليل فيه : أن المساجد من الموقوفات العامة التي يجعلها الواقف مساجد أبداً، والشارع المقدس إذا نفذ هذا الوقف المؤبد فلا محالة تصير مساجد أبداً، فهي بعد إمضاء الشارع وإنفاذه لوقف المسجدية موقوفات ومساجد دائماً وإخراجها عن المسجدية بالبيع خلاف مفاد الوقف الذي أمضاه الشارع الاقدس فلا يصح ولا يجوز. قال الامام الخميني رحمه الله : «الاقواق على الجهات العامة التي مزاها لا يملكها أحد كالمساجد والمشاهد والمدارس والمقابر والقناطر ونحوها لا يجوز بيعها بلا إشكال في مثل الاولين وعلى الاحوط في غيره وإن آل إلى ما آل حتى عند خرابها واندراسها بحيث لا يرجى الانتفاع بها في الجهة المقصودة أصلاً بل تبقى على حالها»^١.

س ٧ - كثيرات من بنات المسلمين ونسائهم تدعوهن ظروف العمل أو الدراسة إلى السفر إلى ولايات أخرى بالطائرة أو غيرها من وسائل السفر، بدون محرم، ومن غير رفقة من نسوة تعرفهن أو يعرفنها غير رفقة المسافرين والمسافرات عادة. فما حكم هذا السفر؟

ج ٧ - النساء كالرجال يجوز لهن السفر ولو إلى بلاد بعيدة بلا محرم ولا رفقة إذا لم يخفن على أنفسهن شيئاً، نعم يشترط في خروج المرأة المتزوجة إذن الزوج للخروج من بيتها.

وحاصل الدليل أنه لا دليل على حرمة انفرادهن في السفر، وأصالة البراءة عقلاً ونقلًا حاكمة بالجواز.

قال الامام الخميني رحمه الله : «لا يشترط وجود المحرم في حج المرأة إن كانت مأمونة على نفسها وبضعها، كانت ذات بعل أو لا، ومع عدم الامن يجب عليها استصحاب محرم أو

من تثق به»^١.

س ٨ - بعض النساء أو الفتيات تضطرّهن ظروف العمل أو الدراسة إلى الإقامة بمفردهن، أو مع نسوة غير مسلمات، فما حكم هذه الإقامة ؟
ج ٨ - إقامة المرأة مفردة أو مع غير المسلمة جائزة وعليها رعاية وظائفها الإسلامية، وخلاصة دليل الجواز هنا أيضاً أصالة الجواز عقلاً وشرعاً.

س ٩ - كثيرات من النساء، هنا، يذكرن أن أقصى ما بإمكانهن ستره من أجسادهن هو ما عدا الوجه والكفين، وبعضهن تمنعن جهات العمل أو الدراسة من ستر رؤوسهن وأعناقهن، فما أقصى ما يمكن السماح بكشفه من أجزاء جسم المرأة بين الأجانب في محلات العمل أو الدراسة ؟

ج ٩ - أقصى ما يسمح بجواز كشفه عند الأجانب للنساء هو الوجه والكفان إذا لم يصحبه تلذذ وريبة، نعم القواعد الثلاثي لا يرجون نكاحاً يجوز لهن كشف ما هو المعتاد فيهن من كشف الشعر والذراع ونحو ذلك.

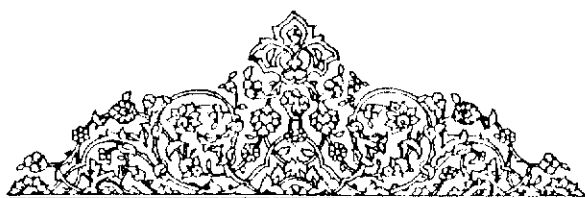
وخلاصة الدليل عليه أن قوله تعالى : ﴿ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها﴾^٢، يوجب عليهن ستر المواضع التي هي زينة إلا ما ظهر منها، كما إن قوله تعالى ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾^٣، لما أوجب عليهن ضرب الخمار على الجيب.. -والخمار هو ما تغطي به المرأة رأسها - كان المفهوم منه وجوب ستر جميع البدن والرأس والرقبة عدا ما يبقى خارجاً من الخمار - أعني الوجه - وقد ورد في الأخبار الصحيحة : «إن النساء كنّ يتقنعن قبل نزول الآية خلف آذانهن»، وعليه فإذا أمرتهن الآية بوجوب التقنع والاختمار على

(١) تحرير الوسيلة، كتاب الحج، القول في شرائط وجوب حجة الاسلام، المسألة ٥٣.

(٢) النور : ٣١.

(٣) النور : ٣١.

جيوبهن كان المستفاد من الآية وجوب ستر الرأس والرقبة وسائر الجسد الذي يُستر بالقميص والسروال. وجواز كشف الوجه الذي يظهر بنفسه خارجاً من الخمار، مضافاً إلى ورود روايات بجواز كشف الوجه والكفين وأنها المراد من ﴿ما ظهر منها﴾ وتفصيل المقال موكول إلى محله.



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
اللَّهُ تَعَالَى لَوْلَا عَلِيٌّ لَمْ يَكُنْ دِينُكُمْ دِينَهُ
سَيَفِئْتُهُ نَوْحٌ مِنْ لَبْهَا نَجَا وَمِنْ تَحْتِ عَمْرٍو

مُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ ج ٣ ص ١٥١



الشيخ جعفر الهلالي

يَوْمَ دَوَّى بِصُورِهِ الْمَهْرَجَانُ
وَسَمَتَ (عَكْبَرِي) بِتَأْرِخِ مُجِدِّ
وَيَطْلُ (الْمُفِيد) فِي جِبْهَةِ الدَّه
مَنْذُ أُلْفَ وَلِلزَّمَانِ حَدِيثُ
أُمَّةٍ كَانَ وَحْدَهُ بَيْنَ جِيلٍ
مَنْ لَهُ (الطُّهْرُ حُجَّةُ اللَّهِ) نَاعُ

قَبْ وَعِيًّا قَدْ طَابَ مِنْهُ اللَّبَانُ
لَأَقَاصِيهِ تَلَكُمُ الشَّطَّانُ
وَالدَّرَارِي فَرِيدَةُ وَالْجَمَّانُ
زَتْ بَعْلِيَاكَ حَقْبَةً (بَغْدَادُ)
إِنَّمَا فِيكَ تَلْتَقِي الْأَدْيَانُ
كَفَسْتَصْغَى لَوْحِيهَا الْآذَانُ

يا مفيد الأجيال من فكره الشا
ومفيض العلوم بحرأ ترامت
عقم الدهر ما لشخصك وغل
فخرت باسمك الحياة وإن فا
لست حكراً لأمة كنت فيها
تتبارى الأقلام فى وصف معنا

لَكَ، فكم سار نحوك الركبان
عنك نوم وغيرك الوسنان
نافع فيه يُسعدُ الانسان
ما اشتكى منك خافق أو جنان
رفان صرحاً تهوي له التيجان
سرُّ بها يُكرمُ الفتى أو يُهان
وشهيد إليك هذا العيان

لعظيم الأقدار عندك شأن
هل تُرى يحتويك منّا مكان ؟
من يجري وفي يديك العنان
عنده تكمن المعاني الجسّان
لم تزل تزدهي بها الأكوان
مشرقات قدّرها ضحيان
سرُّ مُفيداً مهما استطال الزمان
ولمعناك فهو سرُّ مصان

إذ تهاوى من خصمك البنيان
تتلظى من وقعه النيران
سرّ تخلّت من دونك الفرسان
يتلاشى ورأيها صحصحان
محكمات فيها الهدى يُستبان

يا مفيد الأجيال حتى أعادي
قد سهرت الليل الطويل تجافى
فاللذات في حياتك علم
والمعمّانة بهجة وانسراح
هو ذا أنت يا أباً شاد للـ
وكذاك الذكرى إذا فني العم
ولأنت الكريم حياً وميتاً

يا مفيد الأجيال كم قد تسامى
أنت حلّقت في الصعود مكاناً
قد أطاع اليراع كفّك فهو الق
أيّ سفرٍ كتبتَه فهو «نهج»
وعلومٍ نشرتها فهي نور
أتحتنا (السبعون) منك عصوراً
فلأنت (المفيد) تمشي مع الده
يا لعلياك ما أجلّ وأسمى

يا مفيد الأجيال كم رحّت تبني
كنت كالصاعق الذي حين يهوي
مقدّم في السباق في حلبة النّص
حجج الخصم في يدك هباء
جلّ معطيك من فيوض نداه

فلأنت الدليل للمذهب الحقّ

- لمن رآه - وأنت اللسان

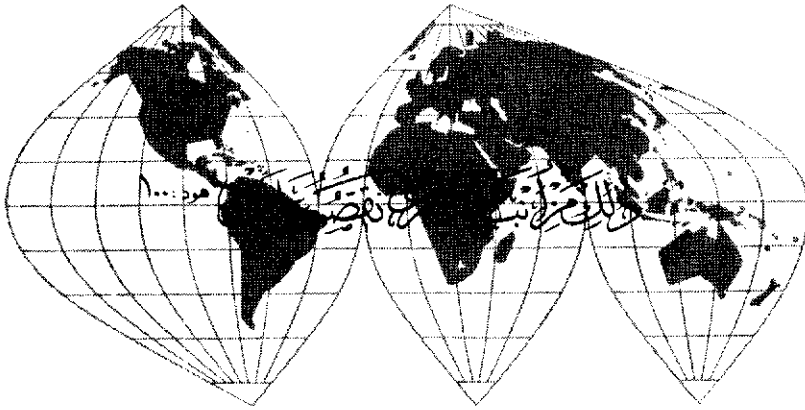
يا مفيدَ الأجيال لم تأل جهداً
يوم راحت (بغداد) باسمك تدعو
حُزته حين قُزت فيه مقاماً
كُرمَتك (الزهراء) في عالم الرؤ
يا لهذي الرؤيا وما تحتويه
فهنيئاً لما كسبت وثوقاً

رغمَ حربٍ يقودها العدوان
وبها من أساطن العلم كانوا
يقصر الفكر عنده واللسان
يا بسطين فيهما يُستعان
هل تُرى بعد ذاك يخفى ائتمان
عند أمّ الأطهار وهو الضمان

يا مفيدَ الأجيال يا زينةَ الده
أنت علّمتنا الصمودَ على البَل
كنت بالعلم عاملاً وثمارَ الم
وثقى تُكسبُ الكرامة فيها
أيّ دينا تُريد والله أولاً
فسلام عليك ما بقي الده

ر وفي مثلك الحياة تُزان
وئى إذا ما تخدّر اليقضان
لم في الدهر عِفّةً واتّزان
ونزوع عن الهوى مستبان
ك جناناً يحوطها الرّضوان ؟
ر وما حجّ مكة ركباً





إعداد: المحرّر السياسي

قبل عقدين من القرن الحالي، أدّى إلى تنامي الصحوة الاسلامية وشمولها لكل طبقات المجتمع. وقد اضطر الخبراء الغربيون والروسيون إلى الاعتراف بأن الحركة الاصولية في طاجكستان هي أمر واقع لا يمكن تجاهله.

ومن جهة أخرى فإن طاجكستان تقع في مركز آسيا الوسطى، ولذلك فإن التحوّر الاسلامي فيها سوف يؤثر على الوضع السياسي في المنطقة، وإن قيام دولة إسلامية في طاجكستان يكون له تأثير مباشر في أوزبكستان وتركمانستان وجمهورية القيرغيز وكازاخستان.

■ طاجكستان

إن الحركة الاسلامية في طاجكستان، لها جذور عميقة وتاريخية، فإن حزب النهضة الاسلامية، كان من أقوى الاحزاب وأنشطها في طاجكستان. وإن بدء نشاطه يرجع إلى خمسة عشر عاماً، وكان يعمل بشكل سرّي إلى أن أعلن عن وجوده قبل سنتين، وتمكّن من تعميق نشاطاته السياسية، حتى أنّ عدداً من مسؤولي الحزب تسلّموا مناصب حكومية في طاجكستان.

بالاضافة إلى ذلك فإن العمل الاسلامي الذي قام به العلماء والثوريون

ونظراً لما أسلفناه حول تزايد الصحوة الاسلامية في طاجكستان فإن روسيا بدأت ببذل الجهود لمرقلة هذه الحركة وضربها في حدودها الجغرافية قبل أن تتجاوز إلى سائر بلدان آسيا الوسطى. والاطروحة التي بدأت روسيا بتنفيذها هي :

١ - تجهيز وتنظيم العناصر الشيوعية بهدف شنّ الحرب ضد القوى الاسلامية والشعبية وذلك باستخدام أناس يُعرفون بالفساد والانحراف في السلوك.

٢ - تجنّب إدخال القوات الروسية ضمن المعركة والاستعانة بهم لايصال الآلات الحربية المهداة إلى الشيوعيين.

٣ - تكثيف الهجوم على منطقة (قرغان تبه) لما تتمتع به من مركزية لقيادة الحركة الاسلامية، وبعد ذلك التركيز على مدينة (دوشنبه) والمناطق المحيطة بها، وذلك بسبب تواجد حزب النهضة الاسلامية فيها.

٤ - استقرار القوات الروسية في الحدود الطاجيكية الافغانية في منطقة

(قرغان تبه) وذلك لغرض الحيلولة دون استيراد الآلات والمعدات العسكرية عن طريق أفغانستان إلى قوات حزب النهضة الاسلامية.

٥ - التصفية المرحلية لأعضاء حزب النهضة الاسلامية ومؤيديها في منطقة (كولاب) و(قرغان تبه) وأخيراً مدينة (دوشنبه).

وليست روسيا هي الوحيدة في محاولاتها ضد الحركة الاسلامية، بل إن أمريكا أيضاً كان لها دورها في ذلك، فأرسلت طائراتها العسكرية (مّرتين على الاقل) إلى منطقة (كولاب) لايصال الادوات الحربية إلى الشيوعيين، وأعلنوا أنها تحمل المساعدات الانسانية، كما أنّ سفير الولايات المتحدة قام بجولات عديدة في المنطقة نفسها للاتصال بالشيوعيين وتحريضهم على المقاومة ضد الحركة الاسلامية.

وكان من نتائج حرب الشيوعيين ضد الاسلاميين ما يلي :

١ - هدم أكثر من ٨٠ ٪ من المساجد

الموجودة في منطقة (كولاب) و(قرغان تبه) وكذلك هدم كل مراكز حزب النهضة الاسلامية في نفس المنطقة.

٢ - هتك نواميس الاعضاء ومؤيدي حزب النهضة الاسلامية.

٣ - الاعتداء على المقدسات الاسلامية، منها حرق المصاحف والمنع عن بث الأذان من إذاعة وتلفزيون طاجكستان.

٤ - هجوم القوات الشيوعية على مواقع الحركة الاسلامية في مدينة (دوشنبه) وضواحيها، وذلك ضمن مراحل ثلاثة تمت بمساعدة قوات أوزبكستانية والفرقة ٢٠١ من الجيش الروسي. وقد أدى ذلك إلى احتلال جميع المواقع التابعة لحزب النهضة الاسلامية.

٥ - تنحية الوزراء المؤيدين من قبل الاتجاهات الاسلامية والشعبية عن مناصبهم، وتعيين وزراء من الشيوعيين من منطقة (كولاب). وبعد ذلك فإن رحمانوف رئيس جمهورية طاجكستان

حذر حزب النهضة الاسلامية والعلماء المجاهدين من التدخل في الشؤون السياسية الراجعة إلى إدارة البلاد وقال : لن نسمح بتدخل الدين في أمور الدولة، بل يجب أن يستمر كل واحد منهما في طريقه.

٦ - تصفية مدينة (دوشنبه) وضواحيها من عناصر حزب النهضة الاسلامية ومؤيديه وذلك بالهجوم على منازلهم وقتل جميع أفراد عوائلهم.

٧ - فرار أكثر من ١٠٠ ألف من القاطنين في (قرغان تبه) إلى أفغانستان، وذلك بسبب جرائم الشيوعيين في المنطقة، وخلال هذه الهجرة لقي العديد من الاطفال والنساء مصارعهم بسبب الجوع والبرد والفرق في نهر جيحون (حدود أفغانستان)، وكذلك رميهم بالرصاص من قبل الجنود الروسيين المتواجدين في الحدود الطاجيكية الافغانية.

الشيوعيون يذبحون

نساء وأطفال المسلمين

حذّر بعض زعماء المسلمين في طاجكستان من مؤامرة لزيادة المسلمين في بلاده، وتحدّث إلى جريدة «الحياة» اللندنيّة عن الانتهاكات التي يتعرّض لها المسلمون بما فيهم النساء والأطفال على يد الميليشيات الشيوعية.

ولاحظ المتحدث أنّ هناك تجاهلاً إعلامياً لمعاناة المسلمين في طاجكستان، وناشد المنظمات وهيئات الاغاثة الاسلامية تقديم المزيد من المعونة والدعم لآلاف العائلات الطاجيكية التي لجأت إلى الشريط الحدودي المحاذي لأفغانستان والتي باتت مهددة بالفناء.

وأوضح بأن المخططات الشيوعية كانت تنفّذ ضد المسلمين بوحشية بعد أن شهدت طاجكستان نهضة إسلاميّة كبيرة جداً عقب تفكّك الاتحاد السوفيتي. إذ أعيد فتح المعاهد الاسلامية في عدّة ولايات، كما أعيد فتح حوالي (٢٠٠٠)

مصلّى، و(١٦٥) مسجداً.

وأضاف : إن الشيوعيين يقتلون العشرات من علماء الدين المسلمين وأئمتهم في طاجكستان ويمثّلون بجثثهم ويحرقون بيوتهم، ويعتدون على أعراض المسلمين في أنحاء البلاد.

وأهاب المتحدث بالعالم الاسلامي أن يهبّ لمساعدة المسلمين في طاجكستان حفاظاً على الكرامة الاسلامية وقال : «نعرف أنّ مشاكل العالم الاسلامي كثيرة وتبدأ من البوسنة - والهرسك وتنتهي في الصومال وأفغانستان، ونذكر أنّ تلك المشاكل تستنزف الكثير من الاموال والجهود الاسلامية لكن هذا قدرنا ولا بد من اللجوء إلى إخواننا المسلمين».

مصر

المسيحية تؤكد على فرض الحجاب نشرت صحيفة اللواء الاردنية في عددها ١٠٢١ عن صحيفة (حريتي) المصرية ما ملخصه :



من جلد وكساهما.

فالحجاب مطلوب وأمور به في
المسيحية، وستر الجسد بملابس تكسو
بدن المرأة أمر لا بد منه، واشترطت
المسيحية أن لا تكون الثياب شفافة رقيقة
تبرز ما وراءها.

وحول النصوص المؤكدة على
الحجاب يقول : جاء في الدسقولية
(تعاليم الرسل) الباب الثاني : «إن أردت
أن تصيري مؤمنة وأن تُرضي الله أيتها
المرأة لا تتزيني لترضي رجلاً غريباً، ولا
ترغبي أن تلبسي ثياباً خفيفة هذه التي تليق
بالزانيات...».

وهناك أمر إلهي للمرأة أن تغطي
رأسها سواء في الشارع أو في الكنيسة.
يقول الكتاب المقدس : «...إذا كانت
المرأة لا تغطي رأسها بقناع فأولئ لها أن
تقص شعرها، وإذا كان من العار على المرأة
أن تقص شعرها أو تحلقه فعليها أن تغطي
رأسها بقناع».

فالمسيحية ترفض الخلاعة والمجون
والاختلاط الجنسي الذي يؤدي إلى

أدى اختلاط المفاهيم إلى أن يتصور
البعض أن الحجاب هو أحد مظاهر
التطرف الإسلامي، وفي الحقيقة إن
الحجاب هو من تعاليم السيد
المسيح عليه السلام كما هو فرض إسلامي.
وفي حوار مع بعض القساوسة
المصريين حول موضوع الحجاب في
المسيحية ورد ما يلي :

الانبا غريغوريوس الاسقف العام
للدراستات العليا اللاهوتية والبحث
العلمي في كاتدرائية العباسية يقول :
-مجبياً عن سؤال وجه إليه حول
الموضوع - كانت المسيحية ولا تزال
تدعو إلى الحجاب المتمثل في ستر
جميع الجسد وتغطية الرأس، وهو أمور
به في الكتب المقدسة.

ففي سفر التكوين عن آدم وحواء بعد
أكلهما من الشجرة المنهي عنها جاء :
«انفتحت أعينهما فعلما أنهما عريانان،
فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر».

ولكن الله لم يكتف بالمآزر التي خاطاها
بل : «صنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصه

- أي ستر جميع البدن وتغطية الرأس -
واجباً لا بد أن تلتزم به المرأة. والمجون
والخلاعة والاختلاط الجنسي حرام
ومرفوض في الدين المسيحي لأنه يؤدي
إلى إشاعة الفحشاء والفساد في
المجتمع، وهذا ما نهانا عنه الله في
الكتب المقدسة.

ويضيف : أنَّ المرأة في المجتمع
الشرقي عموماً محببة محتشمة منذ
قديم الزمن، لأن هذا أمر إلهي، والسفور
والعري الموجود الآن شيء دخيل على
مجتمعنا ولا يقره أي دين.

ويؤكد الانبا موسى أسقف هام
الشباب أنَّ الحجاب ولبس المرأة للثياب
الطويلة الفضفاضة وتغطية الرأس أمر
إلهي جاء في الكتاب المقدس لأنه يبرهن
على أدب المرأة وطاعتها لله، وهي بذلك
تسر الملائكة الذين يراقبوننا
ويحرسونها. وإن على المرأة أن لا تلتفت
أنظار الرجال إليها وتغريهم بتزينها
وسفورها وتثيرهم بمفاتنها، مما يوقعهم
في الخطايا، فالحجاب كما هو ضرورة

الاثارة والفساد الاخلاقي تماماً مثل كُل
الاديان الاخرى. والمسيحية تعتبر
الحجاب فضيلة ومأموراً به من الله تعالى
في الكتاب المقدس.

وأما الاب رويس في دير الانبا برسوم
العريان بحلوان فيقول : إن الحجاب
مطلوب لكل امرأة صغيرة أو كبيرة،
عذراء أو متزوجة، وينبغي للمرأة أن
تضع نصب عينيها مخافة الله، وأن لا
تضحي بمصيرها الأبدي في سبيل رغبة
عارضة وشهوة زائلة، وأن تحافظ على
طهارتها روحاً وجسداً ولا تتدنس
بالشهوات، ولا تكون سبباً للغواية
والإثارة.

فالكتاب المقدس يقول : «وأريد كذلك
أن تزين النساء ذواتهن بلباس الحشمة مع
حياء ووقار».

ويضيف قائلاً : إن الحجاب بالنسبة
للمرأة هو اللباس الكاسي لبدنها، ويجب
أن لا يكون ملاصقاً له يُبرز ما يجب
ستره، ولا شفافاً كاشفاً عما وراءه. والدين
المسيحي كبقية الاديان يعتبر الحجاب



مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى

وواجب في الاسلام فهو كذلك في
المسيحية.

* *

التلفزيون المصري يقدم برنامجاً

عن آل البيت

قدّم التلفزيون المصري خلال شهر
رمضان المبارك برنامجاً تحت عنوان (آل
البيت في مصر) على مدى خمس عشرة
حلقة.

ويهدف هذا البرنامج - كما أعلن عنه -
لإلقاء الضوء على ذرية
الرسول صلّى الله عليه وآله التي نجت من
المذبحة الشهيرة التي دبرها يزيد بن
معاوية في كربلاء بعد رفض الامام
الحسين عليه السلام مبايعته بالخلافة.

ويسرد البرنامج كيف هاجر إلى مصر
عدد ممن بقي على قيد الحياة من آل
البيت بعد فاجعة كربلاء المروعة، لسابق
معرفتهم بحب أهل مصر لآل
البيت عليهم السلام. وتعتمد الحلقات في
إطارها الديني التاريخي على السرد
القصصي الذي يحكي سيرة هؤلاء

الكرام، وتتحدث عن الامام
الحسين عليه السلام وأخته الطاهرة السيدة
زينب الكبرى والسيدة سكينة بنت الامام
الحسين وأختها رقية والامام علي بن
الحسين زين العابدين وغيرهم من أفراد
البيت النبوي الطاهر عليهم السلام أجمعين.

* * *

السودان

جمعية آل البيت الخيرية

تعتبر هذه الجمعية السودانية جمعية
فكرية سياسية تصطبغ بمسحة وطابع
روحي، وتضم في عضويتها عدداً من
المثقفين وأساتذة الجامعات، وهم ذوو
مسالك صوفية. ويشير النظام الداخلي
للجمعية إلى أنّ الهدف الرئيسي من
تأسيسها هو بلورة وإبراز الجانب
الشخصي والفكري لمشايخ الطرق
الصوفية. وتعلن الجمعية أنّ المحافظة
على الاسلام في المجتمع السوداني تقع
مسؤوليتها على عاتق المشايخ، ولذلك
فإنهم ملتزمون بوضع أسس نظام صالح

السودان.

للمجتمع.

وجاء في تعريف الجمعية : إن الجمعية حركة إسلامية تستلهم أفكارها من الكتاب والسنة، وقد اختارت الجمعية اسم آل البيت بهدف توحيد الكلمة حول محور واحد هو حب الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته الاطهار عليهم السلام، كي تتمكن من خلال هذا المحور توحيد الطرق الصوفية والمذاهب الفكرية المستلهمة من الدين الاسلامي أداء لرسالتها في تحقيق الوحدة الاسلامية.

الوهابية ومشايخ الطرق :

إن مهمة الطرق الصوفية ووظيفة مشايخها التي عرفت في السودان تنصب في الاساس على تدريس الطلاب العلوم القرآنية وتوجيههم. ويمكن القول : إن الناس في السودان لا يدركون مدى تأثير كلام المشايخ والوحدة التي بإمكانهم تحقيقها.

ونظراً لافتقارهم للوسائل الاعلامية المناسبة والاساليب التبليغية اللازمة،

أما هدفها السياسي فهو إظهار تواجد ومكانة المشايخ في المناسبات الدينية والمجالس الاجتماعية باعتبارهم الدعامة الاساسية للحركة الاسلامية والموجه لها في السودان.

والهدف الثالث من تأسيسها هو توحيد كلمة وموقف المشايخ في مجال تبين الافكار والآراء بخصوص دور الاسلام ودراسة تأثيراته في العالم الثالث الذي يتمتع بخصوصية منفردة.

وترى الجمعية أن الطرق الصوفية الموجودة في السودان ما هي إلا كيان واحد تتلخص أفكاره وتقاليده بهدف واحد هو حفظ الاسلام، والحيلولة دون الانحرافات الفكرية والتعلق بالدنيا ومفاسدها. كما أن تكريس هذه النظرة وتركيزها في الازهان أمر يحتاج إلى تخطيط وجهود عملية كبيرة. وتعتقد الجمعية أن القيادة الاسلامية هي حركة نابعة من صميم التعاليم الاسلامية، وإن لها الدور المؤثر والحساس في مصير

فقد أصبحوا عرضة لهجوم فكري وإعلامي وهابي مركّز. وتحاول جمعية آل البيت عليهم السلام من خلال تجمع المشايخ، وإصدار مجلة (الهدى المحمدي) إحباط التحركات الوهابية والتصدي لافكارها من خلال إشاعة وتوضيح آراء المشايخ ومواقفهم الفكرية، وتعمل بما تملكه من إمكانات متاحة على حفظ مكاتبتهم من خلال دعمهم مادياً وذلك بالمشاركة في المشاريع الاقتصادية والزراعية المربحة، وقد خطت خطوات لا بأس بها في هذا المضمار.

وإن الهدف الخيري الذي تبنته الجمعية وجعلته شعاراً لها إنما هو تأمين وخلق التوازن المعيشي في المجالات الصحية والثقافية والاجتماعية، وكذلك إيجاد وزرع روح المحبة والاخوة بين المسلمين. وتدار هذه الجمعية باشراف هيئة أمناء تتشكل من عدد من المشايخ. نشاطات الجمعية :

أنمرت نشاطات الجمعية الاجتماعية

والثقافية والسياسية عن نتائج ملموسة وجيدة حتى الآن. فقد أسفر البرنامج الاول للجمعية عن إقامة ندوة خاصة تحت عنوان (متدئ الوحدة الاسلامية) والتي أقيمت بمناسبة أسبوع الوحدة للفترة ١٢ - ١٧ ربيع الاول عام ١٤١٢ للهجرة في عيد المولد النبوي الشريف وفي صالة الصداقة بالخرطوم. وقد حضرها مشايخ الطرق الصوفية، ووزير التربية والتعليم، وعدد من الدبلوماسيين في العاصمة السودانية ومن بينهم الملحق الثقافي الروسي. وقد تحدّث رئيس الجمعية الشيخ نيل أبو قرون عن الرسول صلى الله عليه وآله وآثار محبته ومحبة آل بيته عليهم السلام. ثم أعقبه البورفسور عبد الله الطيب الاديب السوداني المعروف على صعيد الشرق الاوسط متحدّثاً عن مفهوم آل البيت عليهم السلام. واستمع الحاضرون إلى مدائح لأهل البيت نظمتها الطريقة البرهانية.

وفي مناسبة ذكرى مولد الصديقة

فاطمة الزهراء سلام الله عليها أقامت الجمعية احتفالاً رائعاً في صالة الشارقة بجامعة الخرطوم شارك فيه أصحاب الطرق الصوفية ومحجّبو الزهراء عليها السلام، وتحدّث الشيخ نيل أبو قرون عن مناقب سيدة نساء العالمين وتطرق إلى حقد أعداء الاسلام على أهل البيت ومحاولاتهم الاساءة للتاريخ الاسلامي. كما ألقى الدكتور التيجاني انجرومي والشيخ علي هاشم المتحدث باسم المجلس الصوفي الاعلى وأمينه العام كلمات حول مناقب وفضائل أهل البيت عليهم السلام.

* * *

غانا

جمعية الامامية في غانا

تأسست هذه الجمعية في شهر اكتوبر عام ١٩٨٢ م. وبدأت تحرّكها وفقاً لاهداف التالية :

١ - حفظ الثقافة الاسلامية وإشاعتها وترويجها.

٢ - توحيد الفرق الاسلامية المختلفة والتنسيق بينها.

٣ - تأسيس مراكز تعليمية للشباب، وتكريس حبّ محمد صلى الله عليه وآله بين أفراد الشعب الغاني.

٤ - إلقاء الكلمات والخطابات الدينية حول الاسلام من وحي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وخاصة في شمال غانا حيث الأغلبية الاسلامية.

٥ - تأسيس قاعدة مركزية في غانا للتنسيق بين نشاطات المسلمين من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

٦ - تأسيس مكتبة مركزية وتشجيع المسلمين في غانا على تأليف الكتب وتوزيعها في البلاد.

وللتعريف بالجمعية قام أعضاؤها بإلقاء الكلمات والخطب في القرى والندوات والاجتماعات. وحققوا نتائج مرضية.

التبليغ الاسلامي :

نظراً إلى أنّ الجمعية هي المؤسسة الوحيدة التي تستهدي مدرسة أهل

من أنباء القرى

الكتب المؤسسات والمراكز والشخصيات الإسلامية، ومع ذلك لا زال النقص واضحاً في هذا المجال، وذلك بسبب النشاطات الوهابية حيث أقدم الوهابيون المقيمون هناك وبدعم من حكومتهم بتأسيس مكتبة أخرى زودوها بكل ما تحتاج إليه من كتب تحمل أفكاراً معادية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

مشروع بناء مسجد :

أعدت المؤسسة منذ عام ١٩٨٣ م. قطعة أرض في تاميل لبناء مسجد ومدرسة، إلا أن المشروع توقف عن المتابعة بسبب عدم توفر الامكانيات اللازمة.

السعودية

انتهاكات خطيرة لحقوق الانسان

اتهم التجمع الوطني الديمقراطي في السعودية السلطة بقتل المعتقل السياسي صادق عبد الكريم مال الله. وذكر بيان أصدره التجمع أن هذا المعتقل قتل ظلماً

البيت عليهم السلام في أعمالها، فإن دعوات كثيرة توجه إليها لعقد اجتماعات الوعظ والارشاد والتعريف بمدرسة أهل البيت عليهم السلام. كما أن هناك العديد من الجامعات والمدارس وجهت طلبات مماثلة للمؤسسة لتقوم بالتبليغ فيها، لأنها تعتبر المصدر الوحيد للتعرف على الاسلام الحقيقي في تلك البلاد.

إن الإمكانات الضئيلة التي تملكها هذه المؤسسة تشكل عائقاً أمام تقدمها في مساعيها، ولذلك فهي تدعو جميع الجهات المعنية إلى تقديم يد المساعدة لها وإعطائها منحاً دراسية قصيرة الأمد لايفاد طلاب العلوم الدينية لتحصيل المعارف والعلوم الإسلامية، ليعودوا بعدها إلى بلادهم فيسندوا النقص الحاصل في مجال التبليغ.

المكتبات الإسلامية :

تقوم هذه المؤسسة منذ عام ١٩٨٧ م. بإدارة مكتبة إسلامية في تاميل، وهي منطقة تضم أكثر من نصف مليون نسمة، يشكل المسلمون ٩٧ ٪ منهم. وتؤمن لها

السعودية وبمقتضى سلطات استثنائية تقوم باعتقال مئات الافراد المشتبه في عضويتهم أو مناصرتهم لجماعة المعارضة. ومن أراد التفاصيل فليراجع تقرير منظمة العفو الدولية.

■ أبخازيا

المسلمون في أبخازيا

تناولت وكالات الانباء العالمية في الاسابيع الماضية أخبار الصراع بين جمهورية جورجيا والشعب المسلم في جمهورية أبخازيا، فما الذي يعرفه المسلمون في أنحاء العالم عن الشعب الابخازي وعن جذور الصراع في تلك البلاد التي كانت جزءاً فيما كان يسمى الاتحاد السوفياتي.

إن الهدف من هذا التقرير هو الاجابة على هذا السؤال وتنوير المسلمين في كل مكان بأوضاع وأحوال إخوانهم في الدين في تلك البلاد التي استبدت بها حكّام روسيا القيصرية أولاً، ثم حكّامها

دون تبرير من جانب السلطات السعودية التي ألصقت به تهمة الكفر والإلحاد.

ذكرت ذلك صحيفة اللواء الاردنية الصادرة بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٩٣ وقالت :

ولقد ندّدت لجنة الدفاع عن حقوق الانسان في السعودية بعمليات الاعتقال التي قامت بها السلطة الحاكمة مؤخراً لبعض مواطني المنطقة الشرقية. وأعربت اللجنة عن فزعها من هذا الاعتقال، وحذّرت من مغبة السكوت على خرق النظام السعودي لأبسط حقوق الانسان، واحتجاز المواطنين دون أحكام قضائية.

من جانب آخر، كشف تقرير لمنظمة العفو الدولية عن قيام السلطات السعودية بقتل وتعذيب العشرات داخل السجون، وقال التقرير : إن مئات الحالات التي تمّ الاعتقال فيها هي دون سند قانوني.

وأشار التقرير إلى تزايد حالات اعتقال سجناء الرأي في المملكة وقيام السلطات السعودية بحظر الاحزاب السياسية والتقابات المهنية بجميع أنواعها.

وقال التقرير : إن المباحث العامة

من أنباء القرم

الشيوعيون إلى أن دالت دولتهم وزالت، وأخذ المسلمون فيها يتطلعون إلى حياة إسلامية كريمة عزيزة.

تقع جمهورية أبخازيا على الساحل الشرقي من البحر الاسود بامتداد ٢٢٠ كيلو متراً على ذلك الساحل، ومساحتها ٨٦٠٠ كيلو متر مربع، وعدد سكانها حوالي نصف مليون، وعاصمتها تسمى (سوخومي). وتلي المنطقة الساحلية مرتفعات جبلية هي الغاية في جمال الطبيعة بغاباتها وأنهارها وبحيراتها، وتتصل جمهورية أبخازيا بالجمهوريات الإسلامية الاخرى في شمال القفقاز وتشكل المنفذ البحري الوحيد لتلك الجمهوريات.

وأبخازيا هي الوطن الأصلي للأبخاز منذ آلاف السنين، وخلال الحكم العثماني لتلك المناطق كانت أبخازيا إمارة لها استقلال داخلي. وفي النصف الثاني من القرن الماضي خضعت أبخازيا للحكم القيصري الروسي الذي قمع أهلها بقسوة ودموية أدت إلى تهجير

قسم كبير من سكانها المسلمين إلى تركيا والبلاد العربية وغيرها حيث أطلق عليها اسم (الأبازا) أو الأباطة وهو اسم معروف لعائلات كثيرة في العالم الاسلامي.

وبعد الثورة الشيوعية تقرر اعتبار أبخازيا جمهورية سوفياتية قائمة بذاتها، إلا أن التأمر بين جمهورية جورجيا والسلطات السوفياتية في موسكو أدّى إلى اعتبار أبخازيا جمهورية تابعة للاتحاد الفدرالي الجورجي، وذلك في سنة ١٩٩٢ م. وفي عهد بيريا سنة ١٩٣١ م تم القضاء على كثير من زعماء أبخازيا وازدادت سيطرة جورجيا عليها حتى أن الحكم الذاتي الممنوح لها أفرغ من محتواه، وقامت جورجيا بتشجيع مواطنيها على استيطان أبخازيا لتحقيق المزيد من السيطرة والضم.

والآن وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي فقد هبّ شعب أبخازيا ينشد حريته واستقلاله، غير أن جورجيا رفضت وعبات الجيوش لاسترجاع السيطرة على أبخازيا. وقد قام المسلمون في

جمهوريات شمال القفقاز وخصوصاً
الشيشان والشركس بمساعدة إخوانهم
الأبخاز بما يستطيعون من أسباب القوة..
وهكذا ظهرت القضية الأبخازية على
العالم بآلامها الكبيرة وبآمال المسلمين
فيها بالعيش من جديد في ظلال دينهم
وتقاليدهم.

بريطانيا

سلمان رشدي

حصان بريطانيا لزعامة أوروبا

رغم الطموح الذي يراود بريطانيا
لزعامة أوروبا إلا أنَّ الحكومة البريطانية
اختارت ظرفاً غير مناسب كي تلعب
بورقة سلمان رشدي على الصعيد
الدولي وهي تعاني من وضع اقتصادي
وسياسي متردٍ على مستوى أوروبا
والعالم، فقد بادرت الخارجية البريطانية
إلى إعلان حمايتها الجديّة للكاتب
المرتد في ذكرى إصدار الحكم
الاسلامي بارتداده وإعدامه.

وكان اللقاء الذي دار بين دوغلاس
هينغ وزير الدولة للشؤون الخارجية
البريطانية والكاتب المرتد قد وضع
القضية على حافة مرحلة جديدة. وأعلن
مسؤول كبير في الخارجية المذكورة أنَّ
بلادهم ومعها جميع الدول الاعضاء في
المجموعة الاوربية مؤيدة لرشدي.

وفي سبيل انصواء بريطانيا تحت
مظلّة أوروبا الموحدة يرى خبير سياسي
أنَّ بريطانيا لا تقبل بدور أقل من الزعامة
والمركزية. الامر الذي يقضي بقيامها
بمبادرة اقتصادية سياسية تغطي القارة
الاوربية، بينما هي تواجه إخفاقات دولية
في مختلف القطاعات بما فيها ازدياد
معدلات التضخم والبطالة، حيث بلغ
عدد العاطلين عن العمل في كانون الثاني
الماضي ثلاثة ملايين واثنين وستين ألف
عاطل كأحد المؤشرات المهمة على
تُرْدِي الاقتصاد البريطاني.

ويعتقد خبير سياسي أنَّ إخفاق
بريطانيا في الساحة السياسية العالمية
شدّد لديها الرغبة بأن تلعب بورقة

من أنباء الغري

رشدي، واستغلالها لتحقيق الاحلام التي تراودها بزعامة أوروبا الموحدة. كما إن بريطانيا أضعف موقفاً من ألمانيا وفرنسا من الناحية السياسية والعسكرية، ولهذا السبب فهي تفتقر إلى مؤهلات الزعامة على مستوى القارة الاوربية.

كما إن بريطانيا لم تسجل أي نجاح يذكر في حل القضايا الدولية والاقليمية، بل إنها زادت تعقيداً، فيرى الكثير من المراقبين والمحللين السياسيين أنَّ العامل الاساس في استمرار النزيف والمذابح الجماعية للمسلمين في البوسنة والهرسك يتمثل في حالة المراوغة والتهرّب والحذر التي تمارسها الحكومة المحافظة البريطانية.

ولم تعد الدول الاوربية تجاري بريطانيا في سياستها ومواقفها. فعندما صدرت الفتوى بإعدام رشدي قبل أربع سنوات كانت ألمانيا وفرنسا بين الدول الرئيسية التي استعجلت اتخاذ المواقف حول قضية رشدي، ويبدو أنَّ موقفيهما غير عقلانيين بتأييدهما لشخص تصدَّى

لمشاعر مليار مسلم.

وينبغي للدول الاوربية أن تكون قد أدركت مدى حساسية تلك القضية، وإن حكم الارتداد والاعدام بحق رشدي حظي بتأييد العالم الاسلامي كله، فقد أعلن عالم دين تركي أنَّ الاعدام هو حكم من يسيء إلى رسول الله، فسلمان رشدي محكوم بالموت من قبل جميع الطوائف الاسلامية بلا استثناء. كما أنَّ تظاهرات مسلمي العالم تأييداً لحكم الموت بحق رشدي هي إجماع إسلامي عالمي على تأييد هذا الحكم الإلهي الاسلامي العادل.

احتجاج إسلامي

على سياسة وزير التعليم البريطاني احتجت شخصيات إسلامية في بريطانيا ضد السياسة التي يمارسها وزير التعليم البريطاني (كريس باتن) المتمثلة بقصر الاستعانة في شؤون التعليم الديني في المدارس، بمستشارين يهود ومسيحيين، وعدم الاشارة إلى المسلمين

الذين يشكلون الجالية الاكبر في بريطانيا بعد المسيحيين.

وقد طالب المسلمون في احتجاجهم بأن يتلقَى أطفال المسلمين في بريطانيا دروساً في الدين على يد أساتذة مسلمين في حصص منفصلة تهدف إلى تعزيز الثقافة الاسلامية ومبادئ الاسلام عند الاطفال المسلمين.

وقد جاء هذا الاحتجاج بعد تلقي وزارة التعليم البريطانية نصائح من لجان مسيحية تدعو إلى العودة لتدريس الانجيل بالطرق القديمة، وتحفيز الاطفال مقاطع منه غيباً، وقد رَحَّب متحدث باسم الوزارة بالاقتراح، وفتحت الوزارة المجال أمام مشاركة رجال دين من طوائف مختلفة لمناقشة السياسة التعليمية الدينية في المدارس البريطانية. وقال المسؤول: إن الوزير (كريس) سوف يرحب بفكرة عقد مؤتمر بهذا الخصوص.

صدور

الترجمة الانجليزية لكتاب «التشيع»

صدرت الترجمة الانجليزية لكتاب «التشيع» تأليف البروفسور هاينز هالم الذي صدر عام ١٩٨٧ م. باللغة الالمانية، وقامت بترجمته إلى اللغة الانجليزية (جانيت واطسون) ونشرته مؤخراً دار جامعة أدنبرة بأسكتلندا، يحتوي الكتاب على معلومات مهمة وقيمة عن التشيع. ويتطرق المؤلف خلال البحث إلى التاريخ الاسلامي ودور الشيعة خلال عصوره الإسلامية المختلفة منذ وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وحتى المرحلة الحاضرة، مشيراً إلى الثورات والانتفاضات الشيعية وعلى رأسها قيام الامام الحسين عليه السلام بنهضته الكبرى، ثم يستعرض المؤلف بشيء من التفصيل في الفصل الثاني من الكتاب نشأة الشيعة الإمامية الاثني عشرية وتطور مدرستهم الفكرية والسياسية والفقهية وجوانب الازدهار فيها، والمصاعب والمعاناة التي اكتنفها منذ عصر الأئمة عليهم السلام

وحتى العصور المتأخرة.

الشمالية والحضارة اليابانية والحضارة
الاسلامية والحضارة الهندية والافريقية.
وأعرب «هانتغتون» عن قلقه الشديد
أزاء مخاطر الحضارة الاسلامية على
القيم الغربية وقال : إن المتطرفين
الاسلاميين سيعملون الحرب في
المستقبل على القيم الغربية. ودعا إلى أن
تنظّم أمريكا بعد الحرب الباردة
استراتيجيتها على الجمع بين الحضارة
الغربية التي تشمل أمريكا وأوروبا
بشطريها الغربي والشرقي تحت عَلمٍ
واحد مع إقامة علاقات طيبة مع روسيا
واليابان بهدف التصدي لما يُدعى بخطر
التوسع الاسلامي.

ويضيف «هانتغتون» القول : يجب
على إسرائيل أن تلعب دوراً جديداً
يتمثل في محاربة الصحوة الاسلامية كي
تستمر الحماية الغربية لاسرائيل
وبالخصوص الحماية الامريكية.

قطر

والكتاب يعتبر واحداً من البحوث
المهمة التي تعكس اهتمام الغرب
بالدراسات الشيعية ومعرفة تاريخهم
بدقّة وصولاً إلى الإحاطة بأحوال أتباع
أهل البيت في الوقت الحاضر.

الحرب المقبلة

ستكون بين الاسلام والغرب

نشرت إحدى الصحف اللندنية
تصريحاً لبروفيسور أمريكي في جامعة
هارفارد جاء فيه : إن الحرب القادمة
ستكون بين الحضارة الغربية والحضارة
الاسلامية.

وكان البروفيسور «هانتغتون» قد
عرض بحثاً على ندوة عُقدت في
واشنطن تتضمن جدولاً بتقسيم
الحضارات العالمية ومنها الحضارة
المسيحية من النموذج الغربي وبينها
المسيحية الأمريكية والاوربية والسلافية
والارثوذكسية واللاتينية مقابل الحضارة
الكونفوشيوسية في الصين وكوريا

واقع المسلمين في إفريقيا

في بداية الموسم الثقافي الاسلامي الخامس عشر نظمت وزارة الاوقاف القطرية ندوة بعنوان « واقع المسلمين في إفريقيا » حاضر فيها المشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الاسلامية والرئيس السابق للسودان.

في بداية الندوة قال سوار الذهب : كانت إفريقيا قارة مسلمة..وكانت كُـلّ دولها تدين بالاسلام قبل أن تدنّسها أقدام المستعمرين. وكان يحكم هذه الدول حكام مسلمون. وقد انتشر الاسلام فيها انتشاراً واسعاً.

وقد انصبّ تفكير الاستعمار عندما احتل إفريقيا على تغيير هويتها من الاسلام إلى المسيحية. وعمل بخطة ماهرة لتحقيق ذلك بأن عهد إلى الكنائس المسيحية بتولي وزارة التربية والتعليم في المناطق التي احتلها..وكان من الطبيعي ألا تقبل الهيئات التبشيرية بغير المسيحيين في مدارسها..وهذا ما حدث بالفعل في

السودان. وساعد على ذلك أنّ غالبية سكانه من قبائل لم تختلط بالمغرب إطلاقاً..أما شمال السودان فبقي على الاسلام. وركز الاستعمار جهوده لمنع الاسلام من الدخول إلى الجنوب.

ويضيف المشير سوار الذهب : أنّ الحرب على الاسلام لم تتوقف عند هذا الحد..بل ازدادت شراسة بمنع المسلمين من دخول المدارس..ومن أراد أن يتعلم فلا بد أن يتنصّر. وهذا ما حدث للأسف..فعندما استقل السودان وجدنا في الجنوب كثيرين يحملون أسماء مسيحية وآبائهم وأجدادهم من المسلمين مثل «جورج بلال» أو «بطرس محمد» (!!) ووجدنا ما هو أخطر : إنّ كُـلّ المتعلمين والمثقفين مسيحيين، وعندما بحثنا عن نسب إليهم الوظائف والمراكز الادارية وقيادات الجيش لم نجد أمامنا غير المسيحيين على اعتبار أنّ المسلمين غير متعلمين !!

وقال : هذا الوضع الشاذ لم يقتصر على السودان فقط.. بل على إفريقيا كلها،

من أنباء القري

شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً.. فدولة مثل تنزانيا يدين ٧٠ في المئة من سكانها بالاسلام وعاصمتها - كما أسماها المسلمون العرب - دار السلام.. وقصر الرئاسة مكتوب عليه بخط عربي واضح وجميل ﴿ادخلوها بسلام آمين﴾.. ومع ذلك كان يسكن هذا القصر جولوس نيريري الذي جعل غالبية وزرائه من المسيحيين واختار وزيرين فقط من المسلمين.

وفي غرب إفريقيا الوضع أسوأ: فغانا ٩٣ في المائة من سكانها من المسلمين، وكان يحكمها مسيحي حوّل البلاد إلى قطعة من فرنسا.

يضيف رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الاسلامية في ندوته : وعندما خرج الاستعمار، تولّى المسيحيون السلطة بحكم أنهم من المتعلمين المثقفين في الوقت الذي تعيش فيه المجتمعات المسلمة تحت خط الفقر.. وكان هذا المناخ طيباً للهيئات التبشيرية لتنشط بصورة كبيرة، ساعد

عليها موجة الجفاف والتصحر التي تعرضت لها القارة، حيث انهمرت مواد الاغاثة.. وكانت هذه المساعدات تقدم مجاناً مقابل دعوة واضحة للتنصير. وعندما يواجه الانسان الموت فإن الامر لا يفرق عنده إذا دخل المسيحية خاصة إذا كان لا يعلم عن الاسلام الا النزر اليسير. وبشيء من الأسى والحزن يضيف : ونتيجة للنشاط التبشيري المحموم فقد تنصّر ٩٠٠ ألف مسلم خلال ست سنوات بسبب الفقر المدقع الذي يعيشون فيه، وحتى من بقي على الاسلام فإنه لا يعلم من تعاليم دينه شيء.. ففي آخر مؤتمر للمنظمة في الخرطوم جاء وفد من نيجيريا واشتكوا من أنهم عندما أرادوا تخصيص كرسي للدراسات الاسلامية في الجامعة لم يجدوا من يدرّسه كما إنهم لم يجدوا من يدرّس مادة الدين الاسلامي لتلاميذ المدارس ووصل الأمر إلى حدّ أنّ مدرسين مسيحيين هم الذين يقومون بتدريس الاسلام. ومن الطبعي انهم يقومون بدس

بكامل إمكاناتها لا تكفي..ورغم ذلك
نجحنا في إنجاز الكثير.

وعن صعوبة الحرب يقول سوار
الذهب : يوجد في إفريقيا وحدها ٧٥
مجلة تبشيرية تنشر كُلاً شيء يتعلق
بنشاطها..واحدى هذه المجلات ذكرت
أنه أنفق على النشاط التبشيري ٣٢ مليار
دولار..فالكنيسة إمكاناتها ضخمة.

واختتم سوار الذهب حديثه بقوله :
للأسف فالمنظمة تتعرض لحرب تشهير
واطلاق اشاعات من أناس لا يريدون
لرسالتها أن تصل. وللأسف بعض من
يطلقون الاشاعات محسوب على الدين
الاسلامي..ورغم ذلك استطاعت
المنظمة إنجاز الكثير.

روسيا

النشاط الوهابي

في روسيا ودول آسيا الوسطى
يمارس الوهابيون نشاطاً واسعاً في
روسيا ودول آسيا الوسطى، ومن أبرز

ما يريدون من سموم تزرع ثقة التلاميذ
في دينهم.

الشيء الآخر الذي تعاني منه الدول
الافريقية، يتمثل في سيطرة المسيحيين
على الجيش الذي يعتبر له شأن كبير في
دول العالم الثالث. ففي دولة مثل نيجيريا
ورغم أن ٧٠ في المائة من افرادها
مسلمون. فأقل من ٢٠ في المائة من افراد
الجيش مسلمون..ورغم أن رئيسها مسلم
إلا أن الانقلابات المتتالية لا تريد أن تتركه
في حاله..وفي غانا ورغم أن رئيس الدولة
مسلم فمستشاروه لا يحترمون الاسلام
فالمسلمون يشكلون نسبة بسيطة في
أماكن صنع القرار.

ويضيف سوار الذهب : لقد أنشئت
منظمة الدعوة الاسلامية عام ١٩٨٠ م
لتحقيق أمرين : الدعوة إلى الاسلام..
ومساعدة المسلمين في إفريقيا بالارتقاء
بمستوى معيشتهم وتعليمهم ليتولوا
أمورهم..ومن خلال عملنا في إفريقيا
إكتشفنا مدى السوء الذي وصل إليه حال
المسلمين هناك..لدرجة أن ٢٠ منظمة

مِن أَنْبَاءِ الْهَرَمِيِّ

عرض مندوب حكومة صربيا وموتني نيغرو في منظمة الامم المتحدة تقريراً بشأن نقض قرار الحظر التسليحي والعسكري في يوغسلافيا إلى السكرتير العام للامم المتحدة. ويفيد التقرير : أنَّ المئات من المجاهدين والمتطوعين العسكريين من دول الجمهورية الاسلامية في إيران وتركيا والسعودية ولبنان والسودان قد التحقوا بالمعسكر الأخرى للمسلمين في البوسنة والهرسك. وخَصَّ التقرير بالذكر مشاركة جماعة من أعضاء حزب الله لبنان مشيراً إلى أنَّ عددهم يبلغ ٣٢٠ شخصاً.

الكويت

استنكار أتباع أهل البيت في الكويت

لمقال بذيء

شهدت المساجد والمجامع الدينية التابعة لأتباع أهل البيت عليهم السلام في الكويت موجة من الغضب والاستنكار الشديد على أثر مقال نُشر في مجلة

تلك النشاطات إقامة معسكرات أو مخيمات للشباب في روسية تتضمن برامجها تأسيس دورات ثقافية متعددة يحضرها قرابة الألف شخص كُلَّ يوم، ويلقي معلّمون سعوديون خلال هذه الدورات محاضرات ثقافية بالإضافة إلى دروس أخرى في الفن والرياضة. ويشرف على هذه المعسكرات مجموعة من المبلّغين والعلماء الوهابيين يقومون بمراقبة سير العملية التثقيفية. كما إن للوهابيين علاقة مع اليهود الروس، وهناك اتحادات وجمعيات مشتركة بينهم يرأسها أشخاص من اليهود، فمثلاً : أكاديمية العلوم البشرية برئاسة (نانغ) قد تأسست على أيدي اليهود الروس، ويدعمها الوهابيون، ولهم بها ارتباط وثيق.

البوسنة والهرسك

ادّعاء

تواجد قوات حزب الله في البوسنة

الطلیعة الاسبوعية التي تصدر في
الکویت، والمقال یسیء إلی معتقدات
الشیعة وتعرض إلی شخصیاتهم بالتهم
والإساءة.

کاتب المقال محمد مساعد الصباح
-وهو من کتّاب مجلة الطلیعة - هزأ
بالخمس وانتساب السادة الهاشميين إلی
رسول الله صلی الله علیه وآله، ووصف
انتساب المرحوم الامام الخميني قدس سره
إلی النبی الأکرم صلی الله علیه وآله بأنه

مجرد دعوی.

وقد وصف العلماء وأئمة المساجد
والجماعات في الكويت هذا الأمر بأنه
حركة مفرقة بین صفوف المسلمين،
وطالبوا بمواجهة کاتب المقال مواجهة
صارمة ووضع حدّ لأمثال هذه
التجاوزات والتعدّيات والمساس
بالمقدسات الإسلامية وشخصياتها
البارزة.

قَالَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عَلَيَّْ وَعَلَى بَيْتِي
وَأَهْلِ بَيْتِي
وَلَنَا الشَّاهِدُ

کفایة الطالب ص ۲۳۵

نَفَقَاتُ الْحَجِّ لِمَجَلَّةِ رِسَالَةِ الثَّقَلَيْنِ

السيد عبد الله الحسيني

رسالة الثقلين رسالة القرآن الكريم وعترته المصطفى الموصوف بأنه ﴿لعلنى خلق عظيم﴾^١. فما أبعد مغزاها ! وما أوسع مداها ! إنها رسالة الله الحكيم للبشرية جمعاء على مدى الأجيال، ورسالة الله ﴿الرحمن الرحيم﴾ لا تختص بفئة معينة، وليست حكراً على طبقة خاصة، ولا لصف محدّد. إنها رسالة الرحمة، ورسالة الهداية الموصلة للكمال. فالمتوقع هو أن تخاطب الجميع كما خاطب القرآن جميع الناس قائلاً: ﴿ولقد يسنرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾^٢. وتكفي نظرة واحدة سريعة على الاعداد الثلاثة الاولى لهذه المجلة المباركة لنلاحظ ما يلي :

١ - قلة تنوع الموضوعات المطروحة، بل الابواب المعنونة.

٢ - كبر حجم الدراسات نسبياً.

٣ - اختصاصها بمستوى فكري خاص من القراء.

٤ - قلة محطات الاستراحة وعدم تنوعها.

- فهناك أبواب تستحق الاهتمام، كما إن هناك موضوعات تستحق التوجّه أيضاً، وهناك أمور فنيّة في إخراج المجلة، ولمجموع هذه الامور نقترح ما يلي :
- ١ - أن لا يزيد عدد صفحات كل دراسة عن ١٠ صفحات.
 - ٢ - أن تجمع بين العمق وسهولة العرض.
 - ٣ - تنوّع مستويات الدراسات.
 - ٤ - طرق كل الحقول التي تعرّض لها القرآن الكريم والعنبرة المصطفاة المفسّرة للقرآن الكريم.
 - ٥ - الاهتمام بكل حقل بقدر اهتمام الثقلين نفسيهما بذلك الحقل.
 - ٦ - التعريف بالثقلين نفسيهما بشكل تفصيلي وعلمي، وعلى ضوءهما (القرآن الكريم وسنّة الرسول العظيم وأهل بيته الأطهار).
 - ٧ - أن تهتم كل دراسة باستنطاق الثقلين فيما تتعرّض له وتهتم به.
 - ٨ - أن يكون لكل صنف ومستوى علمي فكري حقل خاص في المجلة، أو يكون لكل صنف مجلة خاصة عملاً بقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم﴾^١، وكقولهم عليهم السلام : «ما كلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله العباد بكنه عقله»^٢، و«نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»^٣.
 - ٩ - إتباع أساليب العرض المثيرة فكرياً، والداعية إلى التأمل والسؤال من القراء.
 - ١٠ - أن يتضمّن كل عدد هديّة في ورقة واحدة مكتوبة بخط جميل تتضمّن حكمة قرآنية، أو رواية تفيد المؤمن في حياته اليومية، بحيث يمكنه فصلها من المجلة وجعلها أمامه في بيته أو في محل عمله ليعتبر بها.
 - ١١ - الاهتمام بالفقه الميسّر في العرض، والمهمّ هو بيان مستحدثات المسائل الفقهية

قراءة في المَعْدِ الْمَاضِي

وذلك بطريقة ميسرة للقراء، وألا فالبحوث الفقهية متوافرة في شتى المجالات، ولا بأس بأن يكون العرض مشفوعاً بدليل من الكتاب أو السنة أو سيرة أهل البيت عليهم السلام. ونقترح عرض المسائل المتسالم عليها بين فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، كما نقترح الإشارة إلى أهم الأقوال في المسألة الخلافية، إن فُتِحَ باب التعرُّض للمسائل الخلافية.

ويمكن رفع مستوى الثقافة الفقهية للقراء بعرض القواعد الفقهية مشفوعة بنصوص من الكتاب أو السنة من دون الإقحام في دائرة الاستدلال والمناقشات التخصصية.

١٢ - الاهتمام بمواضع العبرة من سيرة أهل البيت عليهم السلام في كل عدد بدءاً من سيرة النبي صلى الله عليه وآله ثم سيرة أوصيائه عليهم السلام.

١٣ - الاهتمام بالتراث الفكري لعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في كل الحقول التي اهتموا بها وألّفوا فيها. ويمكن عرض بعض الرسائل العلمية الصغيرة التي ألفت من قِبلهم.

١٤ - دراسات قرآنية مقارنة على أساس آراء كبار المفسرين من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وفي مختلف الحقول.

١٥ - الاهتمام بحقل الدعاء والمناجاة المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام تحقيقاً وتحليلاً وتفسيراً، وهذا حقل اهتم به أهل البيت عليهم السلام، ولعلهم تفرّدوا به تبعاً للقرآن الكريم الذي أولاه اهتماماً كبيراً كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبا بكم ربّي لولا دعاؤكم﴾^١.

وهذا الشدّ العاطفي الواعي للمسلم المؤمن بربّه وقيادته الربّانية، له آثاره العظيمة ولا سيما في الحياة الصاخبة بكل المغريات والمبغّدات عن الله سبحانه والحياة الهادفة.

١٦ - الاهتمام بالدراسات في ظلال الثقلين بشكل عام، بل الادب بمختلف حقوله

بشكل خاص. فان للادب في عالمنا اليوم دوره الخاص في تربية الاجيال تربية صالحة أو طالحة.

١٧ - الاهتمام بالتربية العقائدية والاخلاقية للقراء، ومن ينبغي للمجلة أن تهتم بتربيته. فإن أهداف المجلة لا تقتصر على قرائها مباشرة، بل إنها تمتد إلى كل من ترتبط بهم ولو بواسطة القراء الذين تهتمهم تربية الاجيال الناشئة.

١٨ - الاهتمام بالجانب السياسي دراسة وتحليلاً وتقداً وتثقيفاً، فإنه «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^١. و«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^٢. وإعطاء الثقافة السياسية دورها هو الحجر الاساس لاتخاذ المواقف السياسية الموقفة في عالم لا يعرف غير السياسة، ولا يهتم سوى السيطرة على كل مصادر العطاء والطاقة، ولا يقنع بما في الارض، بل يتسلق عنان السماء لعله يبلغ الاسباب، فيطلع إلى إله الانبياء لعله يقضي عليه، ويتخلص من كل مقاومة أصولية تحمل رمز الانبياء، وتصده عن هذا الهجوم الشرس الذي يكاد يعصف بكل شيء في عالمنا اليوم.

١٩ - وللمجلة أن تصدّي بالنقد البناء لكل المجلات والصحف والكتب التي ترتبط بأهدافها من قريب أو بعيد، وتفتح باباً للتأملات والآراء لقرائها بعنوان (منبر المجلة) وبريدها، وتهتم بشؤون المرأة والأسرة، والصحة، والاقتصاد، والحقوق، بل العلوم بشئى حقولها، وكل ما للاسلام فيه كلمة أو رأي.

وختاماً فإني إذ أشكر لهيئة التحرير وكل العاملين لاجراء المجلة - بالشكل المرموق والمحتوى المطلوب - جهودهم واهتماماتهم، أود أن يكون للمجلة أكبر عدد من القراء والمخاطبين، ويكون لها دورها الفكري والتربوي الريادي في الساحة، إذ تعبّر عن «رسالة الثقليين» بكل ما ينطوي عليه هذا العنوان من عمق وسعة أفق وشمولية لكل شؤون الحياة.

الصفحة الاولى من الغلاف الداخلي : لوحة فنية من مجموعة «كنز النور» بخط المعقلي
«بنائي» اثر الاستاذين : عطار هروي وجواد سبتي .
نص اللوحة : بسم الله الرحمن الرحيم «اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام ديناً» صدق الله العلي العظيم.
الصفحة الثانية من الغلاف الداخلي : لوحة فنية اثر الخطاط جواد سبتي وتذهيب سيد عبد
الحسين نجومى .

نص اللوحة : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ...» .



THE AHL UL BAIT (AS)
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Year 1, Vol.1, No.3, december,1992 - March,1993

قسمة الاشتراك

الاسم

العنوان

المدينة

البلد

المهنة

مدة الاشتراك

ابتداء من

عدد النسخ

الاشتراك	بلد
السوي / لمدة ٦ اشهر	الارسال
٢٠٠٠	١٠٠٠
<input type="checkbox"/> الجمهورية الاسلامية في ايران (بالريال)	
١٥	٣٠
<input type="checkbox"/> باقي دول العالم (بالدولار) (او مايعادله)	

يرافق اشتراكي: ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حواله بريدية
أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى أحد العنوانين التاليين:
 • الجمهورية الاسلامية في ايران . قسم ص.ب ٣٧١٨٥ / ٨٩٤
 • الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران ص.ب ٣٥١٦ / ١٥٨١٥

الاشتراكات:

- ❑ في داخل الجمهورية الاسلامية الايرانية تسدد قيمة الاشتراك السنوي (١٠٠٠ ريالاً) بحواله مصرفية على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران قم بنك تجارت شعبه مركزى رقم الحساب الجاري ٢٦١٨ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين.
- ❑ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً امريكياً أو مايعادلها) تسدد بحواله مصرفية على العنوان التالي: